

الفكر السليم
عند المجمع المدرسي

لجنة مناقشة الرسالة:

- ١- أ.م.د. مهدي صالح (رئيسًا). ٢- أ.م.د. خليل مخيف لفتة (عضوًا).
 - ٣- م.د. جاسم محمد عبدالكريم (عضوًا) ٤- أ.م.د. أمل هندي كاطع (مشرّفًا).
 - رشح الرسالة للمناقشة رئيس قسم الفكر السياسي: أ.م.د. سناء كاظم كاطع.
 - صادق مجلس كلية العلوم السياسية على قرار لجنة المناقشة عميد كلية العلوم السياسية: أ.د. عبدالجبار أحمد عبدالله.
- رجب - ١٤٣٤هـ / إيار - ٢٠١٣م.

الفكر السياسي

عند المجمع التدريسي

رسالة مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في العلوم السياسية - قسم الفكر السياسي، تقدمت بها الطالبة

رغد إبراهيم علوان كاظم

جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية

إشراف الاستاذ المساعد الدكتور

أمل هندي كاطع الخزعلي

رجب - ١٤٣٤هـ / إيار - ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

تعريف الكتاب

* الكتاب: الفكر السياسي عند المرجع المدرسي.

(رسالة نيل درجة الماجستير من جامعة بغداد).

* المؤلف: رعد إبراهيم علوان كاظم.

* الطبعة: الأولى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م. (٣٤٠ صفحة).

* الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر - بيروت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾

سورة آل عمران: الآية ٨٥



الإهداء

إلى إمام المرسلين وسيد الخلق أجمعين
أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله أصحاب
الآيات الواضحات والنجوم الزاهرات
علي وبنوه العظام راجياً
شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا
من أتى الله بقلب سليم
أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث



مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تُعرف الأمم والقرون برجالها وقياداتها ومجديها الأفذاذ الذين لا يألون جهداً في العمل من أجل إصلاح الأمور، وتغيير الواقع إلى الأفضل، ووضع سلام الرقي والتقدم في طريق الأمة.

ومن سعادة أية أمة أن تكتشف هؤلاء الرجال وهم بين ظهرانيها، فتسير وراءهم، وتقتدي بهم، وتلتقط إشارات المسير نحو المستقبل الأفضل دنيماً وآخرة من إرشاداتهم وتوجيهاتهم.

وفي البلاد المتقدمة تعمل الجامعات العلمية ومراكز الدراسات ومؤسسات البحث العلمي على اكتشاف مثل هؤلاء الرجال وتعريف الشعوب بهم من خلال عرض أفكارهم ورؤاهم وتأثيراتهم على الواقع إلى جانب نقدها وتمييز نقاط القوة والضعف فيها.

وللأسف الشديد فإن مثل هذا التوجه قلما نجده في بلادنا التي تعاني جامعاتها ومراكزها الدراساتية والعلمية من التبعية المفروضة عليها للحكومات وعدم الاستقلالية في البحث والدراسة والتحقيق.

وبعد اندحار نظام الطغيان والقمع والاستبداد في العراق، وسقوط الطاغوت وحزبه، تنفست الجامعات والمراكز العلمية بعد معاناة الاضطهاد والإرهاب والتعسف لعقود، وبدأت رحلة الانطلاق بعيداً عن إرهاب السلطة وقيود وأغلال الحزب المتسلط الواحد.

وكان من ثمار ذلك أن دراسات ورسائل البحث العلمي للمراحل الدراسية المختلفة في الجامعات أخذت تتجه أكثر فأكثر نحو ما ينفع الأمة، وما فيه مصلحة الشعب بعيداً عن فرض السطوة. وبدأ الطلبة والأساتذة يشعرون بحرية أكثر في انتخاب العنوان الذي يروونه مستحقاً للبحث والتحقيق، ويجدون فيه خدمة للأمة والوطن.

لذلك وجدنا في السنوات الأخيرة الكثير من الرسائل العلمية في الجامعات قد اختارت دراسة وعرض الشخصيات الدينية أو السياسية التي كانت ولا تزال ذات تأثير إيجابي في مسيرة التغيير.

وهذه الرسالة التي ترقد بين أنامل القارئ الكريم، والتي قدمتها الطالبة (رغد إبراهيم علوان كاظم) عن (الفكر السياسي عند المرجع المدرسي) لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية - قسم الفكر السياسي في جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية، وتحت إشراف الأستاذ المساعد الدكتور (أمل هندي كاطع الخزعلي)، هذه الرسالة تعد واحدة من ثمار هذه المرحلة.

وللحقيقة نقول: إن الشخصية التي تسلط هذه الرسالة الضوء على جانب واحد منها وهو الفكر السياسي، تعد من الشخصيات ذات التأثير الكبير على مسيرة العملية التغييرية والإصلاحية في العقود الأخيرة من تاريخ العراق المعاصر.

فسماحة المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله هو من الرجال الأفاضل الذين عرفتهم الساحة الدينية والسياسية والعلمية في مجالات العمل الرسالي والتغيير والإصلاح، ليس على الصعيد العراقي فحسب، بل على صعيد

المنطقة والكثير من الدول الإسلامية.

ويُعدّ المرجع المدرسي من النوع الذي جمع إلى جانب الفقه والمرجعية الدينية، اهتماماً بالغاً بالعمل الرسالي، وبالسياسية، وبرسم الخطوط العريضة للدولة الإسلامية المنشودة، وبكل ما يرتبط بمصير الأمة، إذ إن الحوادث الواقعة التي علينا الرجوع فيها إلى الفقيه هي -في أبرز مصاديقها- التطورات السياسية والاجتماعية في الأمة والتي تحتاج إلى موقف سديد من المؤمنين، ولا يمكن الوثوق بسلامة الموقف -سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي- إلا بالرجوع إلى الفقيه العارف بالزمان. فما أحوج الأمة إلى فقهاء عدول يحملون همومها، إلى جانب التعمق في مصادر التشريع وكفاءة الاجتهاد، فقهاء ذوي بصائر ثاقبة في الدين، ورؤى بعيدة في أمور الحياة وتطورات الواقع، ورؤية صائبة في بناء الدولة الإسلامية العصرية، لكي يقودوا الأمة في منعطفاتها الخطيرة، ومواجهة التحديات الكبرى.

لذا كان من الضروري دراسة الفكر السياسي لسماحة المرجع المدرسي حفظه الله، والذي تبلور في العقود الثلاثة الماضية في المواقف، والتحليلات، والرؤى، والتوجيهات والكتابات السياسية التي كان يثري بها مسيرة الأمة، ويغني بها النخبة النشطة في ساحات العمل الرسالي، ليس في العراق فحسب، بل في العديد من البلاد الإسلامية.

ورغم أن هذه الرسالة -ولأسباب عديدة- لم تخط بكل جوانب الفكر السياسي لسماحة المرجع المدرسي، إلا أنها تعد إضاءة في هذا الطريق.

نسأل الله تعالى أن يوفق الباحثة رغد إبراهيم علوان كاظم للمزيد من العطاءات الإيجابية والمفيدة لإثراء المكتبة الإسلامية. والله الموفق وهو المعين.

الناشر

١١ / رمضان / ١٤٣٥ هـ



شكر وتقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الخاتم أبي القاسم محمد ﷺ وأهل بيته الكرام وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لكل من كان له الأثر الطيب في إخراج هذا الجهد المتواضع إلى ميدان البحث العلمي، وأخص منهم بالذكر الأستاذة الفاضلة الدكتورة (أمل هندي كاطع الخزعلي) لما أبدته طوال مدة الدراسة من رعاية وتشجيع لي، وتحملها مشاق الإشراف على البحث.

والشكر الموصول إلى الدكتورة (ناهدة) مديرة مكتبة العلوم السياسية، وزميلي الدكتور (عمر)، والدكتور (خالد)، والدكتور (عباس) زملائي في مرحلة الماجستير.

والشكر الموصول إلى الشيخ (حيدر مطشر) لمساعدتي بدعمي بأهم المصادر العلمية التي هي من مؤلفات السيد (محمد تقي المدرسي)، وكذلك السيد (قيس) صاحب مكتبة في منطقة الكاظمية المقدسة، والواجب يدعوني أن أتقدم بفائق الشكر والاحترام لمتسبي مكتبة الجوادين في حضرة الإمامين

الجوادين، وكذلك منتسبي مكتبة الصحن الحيدري الشريف، ولا أنسى ما أبداه الأستاذ (رائد) صاحب مكتبة نور الهدى لجهوده الموصولة في طباعة الرسالة وتحملته وعائلته الكريمة عناء طبع هذه الرسالة.

ولعلي أتقدم بالشكر الجزيل لجميع أفراد عائلتي الكريمة وبيت عمي وزوجي العزيز في مساعدتي لإكمال هذه الرسالة.

واستكمالاً لعرفان الجميل يطيب لي أن أقدم فائق الاحترام لسماحة السيد (محمد تقي المدرسي) لما أولاه من رعاية ودعم وسعة أفق ورحابة صدر في فسحه المجال لي في أن أخوض في غمار فكره.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتور (علي عبود المحمداوي) أستاذ في كلية الآداب / قسم الفلسفة، لدعمي في المصادر، وكذلك مدير الإدارة الأستاذ (أبي فاطمة) في منظمة العمل الإسلامي لرفدي بمصادر السيد محمد تقي المدرسي، وكذلك منتسبي مكتبة كلية التراث العربي لحسن معاملتهم ومساعدتهم لي في كتابة هذه الرسالة.

وأخيراً اشكر كل من ساعدني في كتابة هذه الرسالة، وأتقدم بالاعتذار إذا نسيت أي شخص...

المحتويات

الإهداء	٧
مقدمة الناشر	٩
شكر وتقدير	١٣
المحتويات	١٥
المقدمة	٢٣
إشكالية البحث	٢٥
أهمية البحث	٢٥
هدف البحث	٢٥
صعوبة الدراسة	٢٦
فرضية البحث	٢٦
منهجية البحث	٢٧
هيكلية البحث	٢٧
الملخص	٣١
الفصل الأول: السيرة الذاتية للمرجع المدرسي وسلوكه السياسي داخل العراق وخارجه .	٣٣
المبحث الأول: السيرة الذاتية	٣٧

المطلب الأول: الولادة والنسب	٣٨
المطلب الثاني: نشأته العلمية	٤٣
المطلب الثالث: منهجه العلمي	٤٦
أولاً: اعتماد العقل والوحي	٤٦
ثانياً: الحوادث الواقعة	٤٨
المبحث الثاني: السمات الأساسية لآراء المرجع المدرسي	٤٩
المطلب الأول: السمات الأساسية لآرائه	٤٩
١ - استنطاق الكتاب	٥٠
٢ - دراية بالسنة	٥٠
٣ - الاستغناء عن الثقافات الدخيلة	٥٠
٤ - التكامل ما بين النصوص	٥١
٥ - ردّ الفروع إلى الأصول	٥١
٦ - الاحتياط في التعامل مع الروايات	٥٢
٧ - دراسة محتوى الروايات	٥٢
٨ - احترام آراء الفقهاء السابقين	٥٣
٩ - التمييز بين الثوابت والمتغيرات	٥٣
١٠ - فقه المتغيرات	٥٤
المطلب الثاني: المرتكزات الفكرية التي اعتمدها المرجع المدرسي	٥٥
أولاً: الاستلهام من القرآن	٥٥
ثانياً: حضارية الفكر	٥٦
ثالثاً: إيجابية الفكر	٥٧
رابعاً: تأصيل الثقافة	٥٨
المطلب الثالث: آثاره العلمية	٦٥
أولاً: مكتبة القرآن الكريم	٦٥
ثانياً: مكتبة الفقه والأصول	٦٦

٦٦	ألف: المطبوع
٦٨	عن الرسالة العملية للسيد المدرسي
٦٩	باء: المخطوط
٦٩	ثالثاً: مكتبة المعارف والفكر الإسلامي
٧٠	رابعاً: مكتبة السيرة والتاريخ الإسلامي
٧٢	خامساً: مكتبة المجتمع الإسلامي
٧٢	سادساً: مكتبة الثقافة الإسلامية
٧٣	سابعاً: مكتبة العمل الإسلامي
٨٠	ثامناً: المكتبة الصوتية
٨١	المبحث الثالث: السلوك السياسي للمرجع المدرسي داخل العراق وخارجه ..
	المطلب الأول: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة
٨٢ ...	الممتدة بين عامي (١٣٨٨هـ - ١٣٩٩هـ)، (١٩٦٨م - ١٩٧٩م) ...
	المطلب الثاني: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة
٨٦	الممتدة بين عامي (١٣٩٩هـ - ١٤٠٧هـ) (١٩٧٩م - ١٩٨٧م) ...
٩١	أولاً: الدعوة إلى العمل داخل العراق
٩٢	ثانياً: تحريك الساحة الجماهيرية
	المطلب الثالث: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة
٩٣	الممتدة بين عامي (١٤٠٧هـ - ١٤١١هـ) (١٩٨٧م - ١٩٩١م) ...
	المطلب الرابع: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة
٩٨ ...	الممتدة بين عامي (١٤١١هـ - ١٤٣٤هـ)، (١٩٩١م - ٢٠١٣م) ...
٩٨	أولاً: الحرية والتعددية
٩٩	ثانياً: وحدة العراق
٩٩	ثالثاً: إعادة الإعمار
١٠٠	رابعاً: العلاقة مع الجيران
١٠٤	١- الموقف من الاحتلال الأمريكي

- ٢- الموقف من الفتنة الطائفية ١٠٥
- ٣- الموقف من الدستور ١٠٥
- ٤- الموقف من المصالحة الوطنية ١٠٧
- الفصل الثاني: الدولة في فكر المرجع المدرسي ١١١**
- المبحث الأول: مفهوم الدولة ونشأتها ١١٥**
- المطلب الأول: ١١٥**
- أولاً: الدولة لغة واصطلاحاً ١١٥
- ثانياً: الدولة اصطلاحاً ١١٧
- المطلب الثاني: الإسلام دين ودولة ١١٩**
- المطلب الثالث: نشأة الدولة ١٢٢**
- المبحث الثاني: خصائص وأهداف الدولة في فكر المرجع المدرسي .. ١٢٩**
- المطلب الأول: خصائص الدولة في فكر المرجع المدرسي ١٣٠**
- أولاً: دولة عقائدية ١٣٠
- ثانياً: دولة حضارية وعالمية ١٣٣
- ثالثاً: دولة أخلاقية ١٣٦
- المطلب الثاني: أهداف الدولة في فكر المرجع المدرسي ١٣٩**
- أولاً: العدالة ١٣٩
- ثانياً: احترام الاختلاف ١٤١
- ثالثاً: التوازن بين الجوانب المادية والروحية ١٤٥
- رابعاً: حسن التدبير ١٤٨
- خامساً: حماية المستضعفين ١٥٠
- المبحث الثالث: وظائف الدولة في فكر المرجع المدرسي ١٥٣**
- المطلب الأول: الوظائف السياسية ١٥٣**
- المطلب الثاني: الوظائف الاجتماعية ١٥٩**

أولاً: قانون التفاضل بالسعي	١٦٢
ثانياً: قانون التعاون	١٦٢
ثالثاً: قانون التكافل والضمان الاجتماعي	١٦٣
رابعاً: قانون إعطاء المجتمع حق العيش بكرامة	١٦٣
خامساً: المحافظة على العلاقة المشروعة بين الجنسين	١٦٣
المطلب الثالث: الوظائف الاقتصادية	١٦٤
الفصل الثالث: السلطة في فكر المرجع المدرسي	١٧١
المبحث الأول: مصدر شرعية السلطة	١٧٥
المطلب الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للسلطة	١٧٥
المطلب الثاني: الولاية التكوينية	١٧٩
المطلب الثالث: الولاية التشريعية	١٨٢
أولاً: الولاية	١٨٣
ثانياً: الدين	١٨٤
ثالثاً: العبادة	١٨٥
١ - نظرية الحلول	١٩٤
٢ - نظرية التراضي	١٩٥
المبحث الثاني: ولاية الفقيه	١٩٧
المطلب الأول: ولاية الفقيه	١٩٧
المطلب الثاني: السيادة	٢٠٩
المطلب الثالث: شروط الولي الفقيه	٢١٥
المبحث الثالث: وظيفة السلطة	٢٢١
المطلب الأول: الوظيفة الحضارية	٢٢١
المطلب الثاني: الوظيفة التشريعية والقضائية	٢٢٧
أ - وضع الدستور	٢٢٧

- ب- القانون ٢٢٧
- ج- اللائحة ٢٢٨
- المطلب الثالث: الوظيفة التنفيذية ٢٣٠
- المبحث الرابع: الحكومة الإسلامية ٢٣٥
- المطلب الأول: مفهوم الحكومة الإسلامية ٢٣٥
- المطلب الثاني: رئيس الحكومة الإسلامية ٢٤٠
- أولاً: مسؤوليات رئيس الحكومة الإسلامية ٢٤٠
- ثانياً: سلطة الرئيس ٢٤٣
- ثالثاً: صفات الرئيس ٢٤٤
- رابعاً: عند غياب الرئيس ٢٤٥
- المطلب الثالث: مؤسسات الحكومة الإسلامية ٢٤٥
- أولاً: هيئة كبار العلماء ٢٤٥
- ثانياً: مجلس الشورى ٢٤٦
- ثالثاً: القضاء ٢٤٧
- الفصل الرابع: حقوق الإنسان عند المرجع المدرسي ٢٤٩
- المبحث الأول: مفهوم حقوق الإنسان والمفاهيم المقاربة لها ٢٥٣
- المطلب الأول: مفهوم الحق لغة، واصطلاحاً ٢٥٣
- أولاً: مفهوم الحق لغة ٢٥٣
- ثانياً: مفهوم الحق اصطلاحاً ٢٥٥
- المطلب الثاني: القوى الإجرائية للحقوق والحريات وضمائنها ... ٢٦٢
- أولاً: الإيمان ٢٦٣
- ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٦٤
- ثالثاً: التربية ٢٦٤
- رابعاً: العقوبة ٢٦٥

المطلب الثالث: الحقوق والحريات العامة في المفهومين الغربي والإسلامي .	٢٧٢
أولاً: الحقوق والحريات العامة في النظام الرأسمالي	٢٧٣
١ - الحرية السياسية	٢٧٣
٢ - الحرية الاقتصادية	٢٧٣
٣ - الحرية الفكرية	٢٧٤
٤ - الحرية الشخصية	٢٧٤
ثانياً: الحقوق والحريات العامة في النظام الاشتراكي	٢٧٧
ثالثاً: الحقوق والحريات العامة في النظام الإسلامي	٢٨٠
المبحث الثاني: الحقوق والحريات العامة في الإسلام	٢٨٧
المطلب الأول: الحقوق والحريات المدنية والسياسية	٢٨٨
أولاً: الحق في الحياة	٢٨٨
ثانياً: الحق في المساواة	٢٩٢
ثالثاً: الحق في المحاكمة العادلة	٢٩٤
رابعاً: الحق في الحرية	٢٩٥
١ - الحرية الشخصية	٢٩٥
٢ - حرية الاعتقاد	٢٩٥
٣ - حرية التعبير والرأي	٢٩٦
٤ - حرية التجمع أو الاجتماع	٢٩٧
٥ - حرية المشاركة في الحياة العامة	٢٩٨
٦ - حرية الانتقال والسكن	٣٠١
خامساً: الحق في الزواج و تكوين أسرة	٣٠٢
سادساً: حقوق الفئات المستضعفة	٣٠٣
المطلب الثاني: الحقوق والحريات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ..	٣٠٤
أولاً: حرية العمل	٣٠٤
ثانياً: حق التملك	٣٠٦

٣٠٧		ثالثاً: الحق في الضمان الاجتماعي
٣٠٨		رابعاً: حرية التجارة والصناعة والزراعة
٣٠٩		خامساً: الحق في التربية والتعليم والثقافة السليمة
٣١٢		سادساً: حق التمتع ببيئة سليمة
٣١٥		الخاتمة
٣٢١		The Abstract
٣٢٣		المصادر
٣٢٣		أولاً: الكتب
٣٣٨		ثانياً: الدوريات والمقالات والمحاضرات والصحف والمجلات والكراسات
٣٤٠		ثالثاً: المقابلات
٣٤٠		رابعاً: الرسائل الجامعية والأطاريح
٣٤٠		خامساً: الشبكات الدولية للمعلومات (الانترنت)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق رسولنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين مصابيح الدجى والعروة الوثقى وسلم تسليماً كثيراً.

يمثل الفكر الديني المتجسد بالفتوى المتفاعلة مع التحولات السياسية أبرز العوامل الفاعلة في تشكيل وتحريك اتجاهات الرأي العام؛ لما تحتزنه الفتوى من تأثير في ذهنية العقل الجمعي، وهذا ما يلاحظ على امتداد التأريخ السياسي المعاصر إذا ما أمعنا النظر والتحليل للمواقف السياسية ومنعطفات الحركة الإسلامية التي حظيت برعاية المؤسسة الدينية وتأييد أبرز الفقهاء المعاصرين.

ويعد السيد المدرسي من الشخصيات الإسلامية المعاصرة التي تميزت بالقدرة على التجديد من خلال تحديده للهدف الأساس الذي تتوخاه حركة الاجتهاد الفقهي وتتاثر به، وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الإسلامية في المجالين الفردي والاجتماعي، الفردي بالقدر الذي يتعلق بسلوك الفرد أو تصرفاته، والاجتماعي بالقدر الذي يتعلق بإقامة حياة الجماعة البشرية وما يتطلبه ذلك من علاقات اقتصادية واجتماعية وسياسية.

لقد تعددت الرؤى والطروحات الفكرية للسيد المدرسي لتشمل كل

جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتبلورت في كتبه وبحوثه العلمية التي حاول من خلالها تأكيد شمولية الإسلام لمعالجة كل تلك المجالات الحيوية، وسنقتصر في دراستنا هذه على تناول الفكر السياسي عند السيد محمد تقي المدرسي، من خلال متابعتنا للأفكار التي صاغها حول مواضيع سياسية في غاية الأهمية، كموضوع الدولة وأحوال نشأتها وأبرز وظائفها، وموضوع السلطة السياسية ومصدريتها ومشروعيتها، هذا فضلاً عن الدراسات المتعلقة بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

تلك الأفكار كانت استنتاجاً من تحليله للنصوص الإسلامية التي جاءت متضمنة لكل تلك المواضيع، فضلاً عن اعتماده المنهج المقارن من خلال استعراضه للنظريات الأساسية في العالم المعاصر، كالنظرية الرأسمالية والنظرية الشيوعية، وذلك في محاولة لمسايرة التحولات الفكرية الحديثة والتعاطي معها، مع الاحتفاظ بخصوصية النظرة الإسلامية إزاء تلك النظريات السياسية.

كما تكمن أهمية دراسة الفكر السياسي للسيد المدرسي في كونه لم يقتصر على الجانب التنظيري الفكري البحت، وإنما كانت له محاولات على صعيد التطبيق والسلوك السياسي، من خلال منظمة العمل الإسلامي، التي حظيت برعاية السيد واهتمامه، لتكون منبراً إسلامياً لتجسيد رؤية الإسلام في الواقع الحركي للأمة.

إشكالية البحث

نحاول الإجابة في هذه الرسالة عن عدة تساؤلات هامة تتعلق بالسلطة والدولة والحقوق والحريات العامة في فكر السيد محمد تقي المدرسي، فنطرح في هذا المجال تساؤلات عدة منها:

ما هي السلطة؟ وما مصدر نشوئها؟ وما هي الدولة؟ وما هي خصائصها وأهدافها؟ وما هي وظائفها؟ ومفهوم حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي؟ هل قاعدة حقوق الإنسان أوسع في مفهوم الغربي أم الإسلامي؟... إلخ

أهمية البحث

يمكن القول: إن أهمية البحث تأتي في إطار الدراسة والمتابعة والإفادة الأكاديمية من فكر السيد محمد تقي المدرسي، والاستفادة من الطروحات التي طرحها وعلى كافة الأصعدة: السياسية، الدينية، الاقتصادية، الاجتماعية.

هدف البحث

إن لكل بحث علمي هدفاً محدداً يسعى الباحث للوصول إليه من خلال دراسته، ومن أجل ألاّ يتشتت جهده ويجني ثمار دراسته. والهدف من هذه

الدراسة الذي وضعه الباحث أمامه، هو التحقق من منطلقاته الفكرية، وإبراز العوامل المؤثرة في صياغتها، ومدى قدرة أفكاره وآراءه على مواكبة الواقع المعاصر والتحديات الفكرية في ظل الواقع المعاصر.

صعوبة الدراسة

صعوبة هذه الدراسة قد تمثلت في قلة المصادر عن السيد محمد تقي المدرسي، مما اضطرني البحث عن هذه المصادر في محافظة كربلاء المقدسة، ولمدة طويلة جداً، هذا من جانب، ومن جانب آخر إن هذه المصادر يتناولها الخاصة وليس عامة الناس، وقلتها في المكتبات العامة، وكذلك ندرة الدراسات السياسية السابقة عن فكره، كما تمثلت صعوبة هذه الدراسة في قلة الدراسات السياسية المنهجية الجادة من بين الكتابات التي تناولت فكره السياسي.

فرضية البحث

يفترض البحث نقطتين أساسيتين، هما المنطلق الأهم الذي تحاول هذه الدراسة إثباتها:

الأولى: احتل الجانب السياسي مساحة واسعة ومهمة من فكر السيد محمد تقي المدرسي، فهو يؤمن بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ويغطي جوانب الحياة كافة.

الثانية: يؤمن السيد محمد تقي المدرسي، بمرونة الإسلام وحيويته وقدرته على المعاصرة، والقيادة والحكم، فهو يُعد من المجددين في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، وأفكاره السياسية تتناسب مع الطروحات الحديثة من جانب، ولا تخالف الدين الإسلامي من جانب آخر، ولهذا نحاول عرض الجانب السياسي من فكره، بشكل يتفق مع إثبات هذه الفرضية.

منهجية البحث

لابد من إقرار حقيقة مهمة، وهي أن جوهر عملية البحث العلمي يجب أن تُبنى وفقاً لخطّة علمية مرسومة تعتمد منهجاً معيناً، وتسير بخطوات منظمة يتخذها الباحث اطاراً عاماً لموضوع بحثه، ويتتبع من خلالها ما لديه من معلومات ومصادر، وما متوافر لديه من عدة معرفية للوصول إلى نتيجة دراسته.

لذا فقد اعتمدت هذه الدراسة منهجين بحثيين هما:

الأول: المنهج التاريخي: الذي استعملته الباحثة في تقصي حياة وفكر السيد المدرسي، سواء داخل العراق أم خارجه.

الثاني: المنهج المقارن: القائم على أساس مقارنة طروحاته بطروحات غيره من المفكرين، من أجل الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين أفكاره وأفكار غيره من المفكرين الذين عاصروه، ولمعرفة مدى أصالة فكره وتلمّس نقاط القوة والضعف فيها.

هيكلية البحث

ارتأت الباحثة تقسيم خطة بحثها على أربعة فصول، فضلاً عن مقدمة وخاتمة، وملخص للدراسة، وبالشكل الآتي:

بما أن معالجة فكر السيد محمد تقي المدرسي تتطلب التعرّف إلى طبيعة البيئة الاجتماعية التي ترعرع فيها، وأبرز المؤثرات التي أسهمت في صياغة منهجه وآرائه؛ لذلك تم تقسيم الفصل الأول على ثلاثة مباحث أساسية، المبحث الأول تضمن سيرته الذاتية في المطلب الأول منه، وتضمن المطلب الثاني نشأته العلمية، وتناول المطلب الثالث منهجه العلمي. أما المبحث الثاني فهو يتناول السمات الأساسية لآرائه في مطلبه الأول، والمرتكزات الفكرية التي اعتمد عليها

في مطلبه الثاني، أما المطلب الثالث فقد تناول آثاره العلمية. أما المبحث الثالث تناول السلوك السياسي للسيد المدرسي داخل العراق وخارجه، فقد تجلّت زعامته السياسية في تصديه للعمل في مختلف الأبعاد للقضية العراقية، سواء عبر تأسيس واجهات سياسية، أم على شكل إرشادات أم توجيهات معارضة للنظام. ولمعرفة سلوكه السياسي داخل العراق وخارجه تطلب تقسيم المبحث الثالث على أربعة مطالب أساسية مثلّت دوره السياسي خلال الحقب التاريخية التي عاشها داخل العراق وخارجه، فقد تضمن المطلب الأول سلوكه السياسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٣٨٨هـ - ١٣٩٩هـ)، أما المطلب الثاني فقد تضمن سلوكه السياسي خلال عامي (١٣٩٩هـ - ١٤٠٧هـ)، والمطلب الثالث تضمن سلوكه خلال عامي (١٤٠٧هـ - ١٤١١هـ)، والسلوك السياسي للسيد محمد تقي المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٤١١هـ - ١٣٣٤هـ) تناولناه في المطلب الرابع.

وإذا كانت الدولة تعد من المسائل الأكثر جوهرية في (علم السياسة)، فإن الفصل الثاني من فصول هذه الدراسة يعالج الدولة عند السيد محمد تقي المدرسي، من خلال ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول مفهوم الدولة ونشأتها، والذي قسم على ثلاث مطالب، المطلب الأول تناول مفهوم الدولة لغة واصطلاحاً، أما المطلب الثاني منه يعالج قضية كون الإسلام دين ودولة، أما نشأت الدولة فهذا ما يبحثه المطلب الثالث، وللدولة خصائص وأهداف عند السيد محمد تقي المدرسي فهذا الموضوع يبحثه في المبحث الثاني في مطلبين، المطلب الأول منه يعالج خصائص الدولة، في حين يتطرق المطلب الثاني، على أهداف الدولة، أما المطلب الثالث فقد تطرق إلى وظائف الدولة، والذي قسم على ثلاثة مطالب، تناول المطلب الأول الوظائف السياسية للدولة أما المطلب الثاني فقد تناول الوظائف الاقتصادية أما الوظائف الاجتماعية للدولة فقد اختص بدراستها المطلب الثالث.

إن الفصل الثالث يعالج رؤية السيد محمد تقي المدرسي للسلطة السياسية، والذي يقسم على أربعة مباحث، المبحث الأول منه يناقش مصدر شرعية السلطة، والذي يقسم على ثلاثة مطالب، المطلب الأول يتناول الدلالة اللغوية والاصطلاحية للسلطة، أما الولاية التكوينية فيتناولها المطلب الثاني، ويتناول المطلب الثالث موضوع الولاية التشريعية، في حين يتطرق المبحث الثاني إلى موضوع ولاية الفقيه والذي يبحث في ثلاثة مطالب، الأول يتعلق بمفهوم ولاية الفقيه، وأما موضوع السيادة فهذا ما يبحثه المطلب الثاني، ويتناول المطلب الثالث موضوع شروط الولي الفقيه، أما المبحث الثالث فيتناول وظائف السلطة في ثلاثة مطالب، تناول المطلب الأول الوظيفة الحضارية للسلطة، أما المطلب الثاني فقد تناول الوظيفة التشريعية والقضائية، والوظيفة التنفيذية تناولها في مطلبه الثالث، أما المبحث الرابع فقد تناول أفكار السيد محمد تقي المدرسي عن صيغة الحكومة الإسلامية المستجيبة لمتطلبات الواقع الراهن (الوضعي). ولمعرفة أفكاره عن الحكومة الإسلامية فقد قسم المبحث على ثلاثة مطالب، المطلب الأول منه يبحث مفهوم الحكومة الإسلامية، أما موضوع رئيس الحكومة الإسلامية فيبحث في المطلب الثاني، وموضوع مؤسسات الحكومة الإسلامية، فيبحث في المطلب الثالث.

لقد أخذت قضية حقوق الإنسان حيزاً واسعاً في الفكر السياسي للسيد محمد تقي المدرسي، ولتسليط الضوء على ذلك بحثنا في الفصل الرابع موضوع حقوق الإنسان في فكر السيد محمد تقي المدرسي والذي يقسم على مبحثين، المبحث الأول تناول مفهوم حقوق الإنسان والمفاهيم المقاربة له، والذي يقسم على ثلاثة مطالب، المطلب الأول منه تناول مفهوم الحق لغة واصطلاحاً، أما المطلب الثاني فقد تناول القوى الإجرائية للحقوق والحريات وضماناتها، أما الحقوق والحريات العامة في المفهومين الغربي والإسلامي فقد تناوله المطلب الثالث، أما موضوع الحقوق والحريات العامة في الإسلام فقد تناولها المبحث

الثاني الذي يقسم على مطلبين، تناول الأول منه الحقوق والحريات المدنية والسياسية، أما المطلب الثاني فقد تناول موضوع الحقوق والحريات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وانتهت هذه الدراسة إلى مجموعة من الخلاصات التي تدعو إلى إثبات فرضية البحث وتحقيق هدف الدراسة.

الملخص

تنطوي هذه الرسالة (الفكر السياسي عند السيد محمد تقي المدرسي) على عدة محاور أساسية في إطار الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، انطلاقاً من حياة المفكر، مروراً بتحليل واستيضاح أفكاره السياسية والأفكار الأخرى التي تصب في إطار الفكر السياسي الإسلامي المعاصر.

فبدأت الدراسة بمقدمة ثم تناولنا السيرة الذاتية لتكون مدخلاً لمعرفة مدى تأثير شخصية السيد (محمد تقي المدرسي) بالبيئة التي ولد فيها وتربى ونشأ وصقلت أفكاره فيها، ومدى انعكاس هذا التأثير على صياغة فكره السياسي.

ثم تنتقل الدراسة إلى محاولة معرفة هذا الفكر السياسي للسيد محمد تقي المدرسي من خلال البحث في موضوعات متعددة من الفكر السياسي كالدولة والسلطة والحقوق والحريات العامة، فقد عالج الفصل الثاني موضوع الدولة التي وصفها السيد محمد تقي المدرسي بكونها دولة قانونية؛ لأنها تتقيد بالقانون الإلهي، لذا فإن الحاكم والمحكوم سواسية أمام القانون الإلهي. أما الفصل الثالث فقد عالج موضوع السلطة؛ إذ إن مصدر شرعيتها هو الله سبحانه وتعالى، منطلقاً من نظرية (إن الحكم إلا لله). أما الفصل الرابع فقد عالجنا فيه موضوع حقوق الإنسان في الإسلام، واصفاً المنظومة الإسلامية لحقوق الإنسان هي أوسع مما

هي عليه في المنظومات الغربية. ثم جاءت الخاتمة والاستنتاجات لتضع خلاصات مكثفة ومركزة لهذه الدراسة التي توضح وتحلل نهاية ما توصلنا إليه في إطار دراسة الفكر السياسي للسيد محمد تقي المدرسي. ثم تأتي المصادر التي اعتمدنا عليها في تناول ودراسة وتحليل هذه الرسالة.

الفكر السياسي عند المرجع المدرسي

الفصل الأول

السيرة الذاتية للمرجع المدرسي وسلوكه السياسي داخل العراق وخارجه

المبحث الأول: سيرته الذاتية، ونشأته العلمية، ومنهجه العلمي.

المبحث الثاني: السمات الأساسية لآراء المرجع المدرسي، المرتكزات
الفكرية التي اعتمد عليها وآثاره العلمية.

المبحث الثالث: السلوك السياسي داخل العراق وخارجه.



الفصل الأول

السيرة الذاتية للمرجع المدرسي وسلوكه السياسي داخل العراق وخارجه

إن الطروحات الفكرية للمفكرين والفلاسفة لا تنفصل بشكل من الأشكال عن الحياة الشخصية والأسرية والاجتماعية، والأحوال والأحداث السياسية والثقافية، والتطورات الفكرية التي عاشها هذا المفكر أو ذاك، إذ يشير أغلب علماء الاجتماع إلى أن دراسة أي فكر أو مدرسة فكرية تقتضي تفكيك العوامل الدافعة لولادة ذلك الفكر أو الموقف.

فالإنسان يخضع لمحيطه في بلورة رؤيته الفكرية وتنمية قدرته بحسب ما يؤكدّه أحد المفكرين الإسلاميين -كون الإنسان- محكوم في بنائه الفكري وعلاقته مع الآخر ضمن إطار النظام الاجتماعي والمنظومة القيمية المتحكمة في ذلك المجتمع^(١).

وتأسيساً على ذلك فإن معالجة فكر السيد محمد تقي المدرسي تتطلب التعرف إلى طبيعة البيئة الاجتماعية التي ترعرع فيها، وأبرز المؤثرات التي أسهمت في صياغة منهجه وآرائه، ثم متابعة مسيرته العلمية والانتقال بعد ذلك

(١) انظر: علي شريعتي، الإنسان والتاريخ، ترجمة خليل علي، قم - بيك فذك، ٢٠٠٦م، ص ٤٦.

لتتبع سلوكه السياسي ومواقفه على مستوى الداخل والخارج، هذا ما سيختص به هذا الفصل من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يتناول سيرته الذاتية، ونشأته العلمية، ومنهجه العلمي.

المبحث الثاني: السمات الأساسية لآراء المرجع المدرسي، المرتكزات الفكرية التي اعتمد عليها وأثاره العلمية.

المبحث الثالث: السلوك السياسي داخل العراق وخارجه.

المبحث الأول

السيرة الذاتية

إن الأسرة تعمل على تطوير مهارات الطفل وقدراته، وتصحيح المسارات الأولية من طريق استعمال لغة التوجيه والنصح، والتركيز على الدلالات والمؤشرات الإيجابية وتطويرها، وذلك خلاف النمط القسري في التنشئة الاجتماعية، والذي يؤدي إلى خلق شخصية متمردة وقلقة، ومشحونة بالتوتر النفسي تجاه الآخر، فالأسرة وما تحتزنه من قيم إنسانية وحضارية تؤدي دوراً مهماً في فاعلية وتشكيل الأنماط السلوكية التي تنعكس على حركية الفرد، وتنمية وعيه المجتمعي، والتعامل مع الآخر مستقبلاً.

لقد أسهمت أسرة السيد محمد تقي المدرسي في غرس حب العلم لديه، وخلق ورعاية بواكير منطلقاته الفكرية، ورؤاه الدينية و السياسية، ولذلك تطلب تقسيم هذا المبحث على ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الولادة والنسب.

المطلب الثاني: نشأته العلمية.

المطلب الثالث: منهجه العلمي.

المطلب الأول: الولادة والنسب

ولد السيد محمد تقي بن السيد محمد كاظم بن السيد محمد باقر بن السيد محمد جواد الحسيني المدرسي في مدينة كربلاء المقدسة في العراق عام (١٣٦٤هـ)^(١)، والده السيد محمد كاظم المدرسي (١٣٢٩ / ١٤١٤هـ)، والذي عرف في وسط الحوزات العلمية^(٢) بكربلاء المقدسة ومدينة مشهد المشرفة

- (١) للمزيد انظر: الموقع الإلكتروني للسيد محمد تقي المدرسي www.almodarresi.com
- (٢) الحوزة العلمية: وهي كلمة تطلق على الجامعة العلمية الفقهية في المذهب الشيعي، إذ تمثل كياناً علمياً وبشرياً يؤهل للاجتهد في علوم الشريعة الإسلامية ويتحمل مسؤولية تبليغ الأمة وقيادتها، وقد ظهر منها عدد من الحوزات العلمية مثل:
- أ- الحوزة العلمية في بغداد: ومؤسسها أحد أبرز شيوخ الطائفة الشيخ المفيد الذي كان من أعظم الفقهاء والمتكلمين في المذهب الإمامي الجعفري.
- ب- الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة: وقد أسسها الفقيه المحدث حميد بن زياد النيوئي المتوفى سنة ٣١٠ هـ، وتخرج فيها علماء كبار في الفقه والتقليد الشيعي وفي العمل السياسي.
- ج- الحوزة العلمية في النجف: مؤسسها الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في سنة ٤٤٨ هـ، وكان يقصدها الناس للدراسة، فمنذ أوائل القرن الثالث للهجرة نرى أساء علمية بارزة تُنسب إلى النجف، مثل: شرف الدين بن علي النجفي، وأحمد بن عبد الله الغروي، وابن شهریار وغيرهم.
- د- الحوزة العلمية في الحلة: وقد أسسها سيف الدولة صدقة بن دبیس المزيدي سنة ٤٩٥ هـ، وتخرج فيها جماعة من العلماء الأعلام والمحققين العظام أمثال الشيخ ابن إدريس الحلي، والمحقق الحلي، وأبو المطهر سديد الدين يوسف بن علي الحلي وغيرهم.
- هـ- الحوزة العلمية في اصفهان: وقد أسسها الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨م)، وكان من أبرز علمائها الشيخ البهائي، والسيد مير باقر الداماد والشيخ لطف الله، وقد اضمحلت هذه الحوزة في زمن الغزو الأفغاني لأصفهان، وقد قام بتجديدها الشيخ الوحيد البهائي.
- و- الحوزة العلمية في قم: تأسست على يد الشيخ عبد الكريم الحائري سنة (١٣٤٠ هـ - ١٩٢١م) بعد أن غادر العراق إلى إيران، وهي تضم اليوم عشرات الآلاف من الطلاب من مختلف أنحاء العالم.
- وللمزيد من الاطلاع على هذه الحوزات العلمية راجع:

فقيهاً وعالمًا وعارفاً وأستاذاً للمعارف الإسلامية^(١)، أخذ علومه ومعارفه على يد جملة من العلماء أبرزهم الشيخ ميرزا مهدي الاصفهاني^(٢) (١٣٠٣/ ١٣٦٥هـ)، وللسيد محمد كاظم المدرسي مؤلفات مخطوطة ينتقد فيها الفلاسفة والعرفان القائلين عليها، أشهرها كتاب (العلم)^(٣).

جده الأعلى هو السيد محمد باقر المدرسي، الذي كان مرجعاً للتقليد في زمانه^(٤)، سكن مدينة النجف الأشرف وسامراء وكان من أصحاب المجدد

-
- محمد الحسين الشيرازي، وصولاً إلى حكومة واحدة، ط ١، بيروت، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٧، ص ٣٦ - ٤١.
 - علي أحمد البهادلي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: معالمها وحركتها الإصلاحية، ط ١، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص ٨٣ - ٩٤.
 - صحيفة العمل الإسلامي، العدد ٦، ١٢ / كانون الثاني ٢٠٠٤، (صحيفة تصدر عن منظمة العمل الإسلامي)، ص ٦ - ٩.
 - مجلة الشهيد، العدد ٦٣، ٣ حزيران / ١٩٨١، ص ٢٠.
 - إبراهيم المطيري، في رحاب الوعي، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ٢٠٠٤م، ص ٥.

- (١) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، ط ١ (بغداد، هيئة قائم آل محمد، ٢٠٠٩) ص ١.
- (٢) الشيخ مهدي ميرزا الاصفهاني: ولد بأصفهان ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٤ م انتقل إلى مشهد خراسان واستوطنها في ١٣١٥ هـ، وبقي فيها، سعى جاداً في مشهد لمقاومة الأفكار والاتجاهات الصوفية والفلسفة والعرفان المتأثرة بفلسفة اليونان، بقي في مشهد مدرساً وجاداً في إحياء علوم القرآن، ومعارف أهل البيت عليهم السلام، له مؤلفات مخطوطة أشهرها: كتاب أبواب الهدى، معارف القرآن، مصباح الهدى، توفي عام ١٣٦٥ هـ، ودفن في دار الضيافة الرضوية. للمزيد راجع: بلا مؤلف، محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ٣.
- (٣) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، ط ١، (كربلاء المقدسة)، دار الهدى للثقافة والإعلام، ٢٠٠٥م، ص ٣.
- (٤) مرجع للتقليد: ليس المقصود به (التقليد) هنا محاكاة أعمال وتصرفات الغير دون وعي وإدراك، فهذا عمل مذموم عقلاً وشرعاً، إنما تعني الكلمة هنا: اتباع الواعي والبصير للعالم الذي تجتمع فيه مؤهلات وشروط معينة يحكم بها العقل والشرع ويثق بها الإنسان فيجعله قائداً لنفسه في الحياة. ولزيد من الاطلاع راجع: محمد تقي المدرسي: أحكام الإسلام، ط ٤، إيران، دار محبي الحسين عليه السلام، ٢٠٠٥م، ص ٣٧.

الميرزا الشيرازي^(١)، هاجر إلى طهران، إذ اعترض مع رفيق عمره الشيخ فضل الله النوري على حركة الدستور (المشروطة)^(٢)، بعدها اضطر للهجرة إلى مدينة مشهد المشرفة والتصدي للمرجعية وتوجيه حوزتها العامرة آنذاك^(٣)، توفي ودفن في مرقد الإمام الرضا عليه السلام^(٤).

وجده السيد محمد جواد المدرسي الذي كان أستاذاً في الفقه والأصول^(٥)، سكن مدينة كربلاء المقدسة وتوفي في النجف الأشرف ودفن بجوار مرقد النبي هود والنبي صالح في دار السلام^(٦).

من جهة الأم: ينتمي السيد محمد تقي المدرسي إلى أسرة الشيرازي^(٧) (إذ عرفت هذه الأسرة بالعلم والجهاد والمرجعية)، فأمه بنت المرجع السيد ميرزا مهدي الشيرازي^(٨) (ولد سنة ١٣٠٤ هـ، توفي سنة ١٣٨٠ هـ).

(١) عبد الحسين الصالح، آل الشيرازي وتاريخ المرجعية العظمى، مجلة النبأ، العدد ٦٩، دمشق، المستقبل للثقافة والإعلام، ٢٠٠٣، ص ٢١.

(٢) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ٢.

(٣) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، مصدر سابق، ص ٣.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٣.

(٥) بلا مؤلف: المرجع الديني آية الله العظمى الحاج السيد محمد تقي المدرسي، ط ٥، كربلاء المقدسة، دار الهدى للثقافة والإعلام، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، ص ٢٠.

(٦) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) أسرة الشيرازي: عرفت هذه الأسرة في مدينة شيراز الإيرانية مطلع القرن الثالث عشر الهجري للمزيد راجع:

- عبد الحسين الصالح، المصدر السابق نفسه، ص ٢٠.

- محمد طالب الأديب، رحلة في آفاق الحياة: الف كلمة وكلمة، للمجدد الشيرازي الثاني، ط ١، بيروت، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ٢٠٠٤ م، ص ١٢.

(٨) ميرزا مهدي الشيرازي: ولد في مدينة كربلاء المقدسة ونشأ بها، درس المقدمات الأولية على أيدي جملة من علماء كربلاء، ثم هاجر إلى سامراء ودرس فيها الحساب والهندسة والأخلاق، ثم عاد إلى كربلاء، بعدها هاجر إلى النجف الأشرف وحضر الأبحاث العلمية

ومن أقربائه من جهة أمه أيضاً الشيخ الميرزا محمد علي الشيرازي من تلامذة الشيخ الأنصاري والمجدد الشيرازي وهو الأخ الأكبر للميرزا محمد تقي الشيرازي (توفي سنة ١٣٩١ هـ)، الذي شارك في ثورة العشرين في العراق «وقاد نضال الشعب العراقي ضد الاستعمار الإنجليزي فنال العراق استقلاله بعد هذه الثورة»^(١).

ومن أجداده المجدد الكبير السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي^(٢) (١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ).

ومن أخواله المرجع الديني السيد محمد مهدي الشيرازي^(٣) (١٣٤٧ -

على يد السيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ حسين النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي، ثم عاد إلى كربلاء المقدسة سنة ١٣٥٥ هـ، ونزل بها مرجعاً للتقليد وإماماً للجماعة يقيمها في الصحن الحسيني الشريف، وتخرج من حلقاته الدراسية العليا (بحث الخارج) جملة من العلماء، أمثال: ولده المرجع السيد محمد الشيرازي، والشيخ محمد الهاجري، والشيخ محمد الكرباسي، وغيرهم.

للمزيد راجع:

- بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، مصدر سابق، ص ٤.

- بلا مؤلف: المرجع والأمة (إطلالة على السيرة العلمية والعملية لساحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج السيد محمد تقي المدرسي، ط ٥، كربلاء المقدسة، دار الهدى للثقافة والإعلام، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م، ص ٢٠ - ٢١.

(١) بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ١٢ - ٢٢.

(٢) محمد حسن الشيرازي: حمل لواء الجهاد ضد الإمبراطورية البريطانية، في مدينة سامراء، إذ أفتى بحرمة استخدام التبغ الذي احتكرته الشركات البريطانية في إيران، وهو ما أرغم الملك ناصر الدين على إلغاء الامتياز الذي أعطاه لشركة إنجليزية، وتواصل بعدها جهاد الشعب الإيراني حتى طرد الاستعمار البريطاني من إيران. للمزيد من الاطلاع يراجع:

- بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٢١.

- محمد الحسيني الشيرازي: أسئلة حول أحداث إيران والحكومة الإسلامية المرتقبة، ط ١، بيروت، دار صادق للتحقيق والنشر، ٢٠٠٢ م، ص ٩ - ١٠.

(٣) محمد مهدي الشيرازي: وهو صاحب أكبر نهضة إسلامية فكرية شهدتها الأمة الإسلامية، ألف موسوعته الفقهية في مائة وخمسين مجلداً، والعديد من الموسوعات الأصولية، حتى

١٤٢٢هـ)، الذي أولى السيد محمد تقّي المدرسي الاهتمام الكبير من التعليم والتربية، فكان يعده «ساعده الأيمن في عمله ونشاطه الاجتماعي والتوعوي، وجهاده ضد الظلم والطغيان الحاكم في العراق خلال حقبة حكم صدام حسين»^(١).

وخاله الشهيد السيد حسن الشيرازي^(٢) (١٣٥٤/١٤٠٠هـ)، ومن

بلغت مؤلفاته المطبوعة الألف كتاب وكراس، وعمل على تأسيس المؤسسات الدينية والحوزات العلمية في كربلاء، وأسهم مساهمة فعالة في بلورة الوعي الديني لدى الشباب المؤمن في العراق، وجاهد ضد الحكومات الظالمة هناك، فاضطر إلى الهجرة من العراق إلى الكويت، إذ مكث فيها ما يقارب العشر سنوات، مواصلاً نشاطه الديني فيها، وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران هاجر إلى قم المقدسة وأقام فيها، ليواصل نشاطه الديني والمرجعي فيها، توفي في الثاني من شهر شوال سنة (١٤٢٢هـ) ودفن في حرم السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام. للمزيد راجع:

- محمد الحسيني الشيرازي: اغتنام الفرص، ط١، بيروت، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٧، ص ٢١.

- بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

- بلا مؤلف: قالوا في الإمام الشيرازي، مجلة النبأ العدد ٦٥، دمشق، المستقبل للثقافة والإعلام، ٢٠٠٢، ص ٨٧.

- حسن آل حمادة، رسالة الإمام الشيرازي إلى الكتاب الإسلاميين، مجلة النبأ، العدد ٥٨، دمشق، المستقبل للثقافة والإعلام، ٢٠٠١، ص ٢٠.

- راجي أبو هيف، قرارات في النظرية الثقافية عند الإمام الشيرازي، مجلة النبأ، العدد ٨٥، كربلاء المقدسة، مؤسسة النبأ الثقافية، ٢٠٠٧، ص ٤٨.

(١) بلا مؤلف، المرجع والأمة، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٢) حسن الشيرازي: هو حسن بن مهدي الشيرازي، ولد في النجف الأشرف سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، اشتهر بالأوساط العلمية بالعلم والفقاهة والذوق الأدبي والعمل الدؤوب، وكان في صراع مع الحكومات العراقية المتعاقبة مما جعله عرضة للاعتقال والتعذيب، ترك العراق وهاجر إلى سوريا ولبنان سنة (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) فأسس المراكز والمدارس والحسينيات، وأسس الحوزة العلمية الزينية في سوريا، سنة (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، اغتيل في لبنان سنة (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، وقد ترك مؤلفات عديدة منها: موسوعة الكلمة في خمسة وعشرين مجلداً، خواطري عن القرآن ثلاثة مجلدات، الأدب الموجه، دواوين شعرية؟ للمزيد من الاطلاع يراجع:

- محمد الحسيني الشيرازي، كيف ولماذا أخرجنا من العراق، ط١، بيروت، مؤسسة المجتبى

المعاصرين من أخواله المرجع السيد صادق الشيرازي، الذي يعد «عالمًا محققًا، وله العديد من المؤلفات الأصولية والفقهية والعقائدية»^(١).

وخلاصة القول فإن السيد محمد تقي المدرسي هو سليل أسرة كان لها دور كبير في الجهاد والعلم لأكثر من قرن من الزمن، واشتهر فيها سبعة مراجع تقليد وخمسين عالمًا من علماء الدين أبرزهم^(٢):

- المجدد الميرزا السيد حسن الشيرازي (شارك في ثورة التنبك).
- الميرزا محمد تقي الشيرازي (شارك في ثورة العشرين).
- المجدد السيد محمد مهدي الشيرازي (رائد الصحوة والنهضة الإسلامية وصاحب الموسوعات الفقهية والأصولية).

المطلب الثاني: نشأته العلمية

لقد بدأ السيد محمد تقي المدرسي الالتحاق بمحافل العلم والمعرفة في حوزة كربلاء المقدسة منذ صغره^(٣)، ولذلك استطاع قطع مراحل التعليم الحوزوي في مدة قصيرة نسبيًا^(٤)، وهنا نذكر عاملين أسهما في بناء شخصيته العلمية^(٥):

-
- للتحقيق والنشر، ٢٠٠٢، ص ١٣.
- بلا مؤلف: في رحاب الإمام الشيرازي، الفائد الأسوة، ط ٦، كربلاء المقدسة، دار صادق للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص ٤.
- (١) محمد الحسيني الشيرازي، لماذا يجاربون القرآن؟ ط ٢، كربلاء المقدسة، مؤسسة الرسول الأكرم ﷺ، ٢٠٠٣، ص ٩ ص ١١.
- (٢) عبد الغني عباس، تطلع أمة (قراءة في أفكار آية الله السيد محمد تقي المدرسي)، ط ١، طهران، دار محبي الحسين ﷺ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢١.
- (٣) بلا مؤلف، المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٢٤.
- (٤) عبد الغني عباس، تطلع أمة، قراءة في أفكار آية الله السيد محمد تقي المدرسي، مصدر سابق، ص ٢١.
- (٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الأول: أنه بدأ دراسته في وقت مبكر وهو في الثامنة من عمره وقد كان يدرس الفقه في الوقت الذي يتعلّم فيه القراءة والكتابة، كما كان يتعلّم القراءة من القرآن الحكيم، ويتعلّم الكتابة من خلال كتابته للأحاديث الشريفة والأشعار النافعة، وبعد إتمامه لهذه المراحل دخل في سلك مدارس العلوم الدينية، وأتيحت له الفرصة لأن يرتقي سلم الدراسة بشكل سريع، لا سيما وأنه كان (مجدداً في دراسته ولم يكن يسمح لوقته بالضياء).

الثاني: أنه تلقى دروسه في أكثر من مدرسة، وتعلم أكثر من طريقة لتعلم المعارف الدينية، وهذا ما أعطاه انفتاحاً أوسع وأعمق تجاه المدارس الفكرية المختلفة.

ونستطيع أن نقسم دراسته على مجالين^(١):

١ - مجال الدروس العلمية السائدة في الحوزات الدينية من الفقه والأصول وعلوم اللغة العربية من النحو والصرف والبلاغة، فمنذ سنه المبكر ولشدة شوقه لمباحث الفقه حفظ متون كتاب (تبصرة المتعلمين)، كما حفظ متون كتاب (الصمدية) في الصرف والنحو، كذلك حفظ عن ظهر قلب ألف بيت من الشعر من ألفية ابن مالك في الصرف والنحو، ودرس (كتاب السيوطي) في الصرف والنحو (٧ مرات في صغره، كما درس كتابي (معالم الأصول) و (كفاية الأصول) ثم كتب شرحه عليهما في عهد الشباب، كذلك شرح بحوث الصلاة من كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، وكذلك بحوث الصيام والخمس والجهاد، درس السيد المدرسي على أيدي كبار أساتذة الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة مثل^(٢):

١ - والده العالم العارف الفقيه السيد كاظم المدرسي.

(١) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ٦ - ٧.

(٢) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، مصدر سابق، ص ٦.

٢- الشيخ محمد الكرباسي.

٣- الشيخ محمد الشاهرودي.

٤- الشيخ جعفر الرشتي.

فيما تابع بحث الخارج (البحوث الاجتهادية) على يد الأساتذة الكبار بالذات خاله السيد محمد الشيرازي والشيخ يوسف الخراساني البيارجمندي^(١).

فبلغ درجة الاجتهاد، وشرع في مدينة كربلاء المقدسة بتدريس دروس الخارج في سن مبكرة وعمره لا يتجاوز (٣٠) عاماً، يحضر دروسه جملة كبيرة من العلماء والخطباء، وتمكن بعدها من الكتابة في (الفقه الاستدلالي)^(٢) فضلاً عن تصديده للإفتاء^(٣).

٢- مجال الدروس الفكرية التي ترتبط بالوعي الديني وبدراسة القرآن الكريم والسنة الشريفة المروية عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، وفي هذا المجال تباحث -في أيام دراسته- في موسوعة (بحار الأنوار ١١٠ مجلداً) مع زميل له، ومازال المدرسي يستند إلى هذه الموسوعة بوصفها مصدراً أخبارياً لفهم واستيعاب روح الوحي الإلهي من خلال سيرة وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام. ولقد بدأ الدراستين المتقدمتين معاً، فدرس الفقه والأصول بموازاة

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٧.

(٢) الفقه الاستدلالي: هو علم يبحث فيه عن قواعد استنباط أحكام التشريع الإسلامي من أدلتها التي هي مصادره، ومستنداته والتي يرجع إليها في معرفة أحكامه هي: اجتهادية وفقهية - الكتاب والسنة والإجماع والعقل والاستصحاب والبراءة والاحتياط والتخيير، للمزيد ينظر:

- عبد الهادي الفضلي، مبادئ أصول الفقه، مطبعة الإمامين، ط ١، النجف الأشرف، ١٩٦٧م، ص ٤ - ١٤.

(٣) عبد الغني عباس، تطلع أمة، قراءة في أفكار السيد محمد تقي المدرسي، مصدر سابق، ص ٢٢.

اطلاعه على الرؤى الإسلامية، وهذا ما أعطاه نمطاً خاصاً في إدراك الأمور وتحديد المواقف وفهم العلوم.

قام المدرسي بالتدريس مبكراً، لاسيما وأن كربلاء المقدسة في سبعينات القرن العشرين كانت تعيش حالة من التجديد في حوزتها الدينية، لاسيما في مجالات التدبر في القرآن الكريم، ودراسة السنة الشريفة، وتطوير مناهج الفقه والأصول والمنطق السائدة، والتنظير لمناهج وآليات العمل الإسلامي^(١)، وفي هذا المنحى كان يدير السيد المدرسي ندوات وجلسات أسبوعية لمختلف الطبقات، ويشارك في إقامة المهرجانات وغيرها من النشاطات الدينية الأخرى^(٢).

المطلب الثالث: منهجه العلمي

ينطلق المنهج العلمي للسيد المدرسي من بصيرتين أساسيتين^(٣):

أولاً: اعتماد العقل والوحي

يرى أحد المفكرين الإسلاميين أن من المهمات الأساسية للمفكر، مهمة التوفيق بين الحوادث المتجددة والخطوط العريضة للفكر المتبع، بمعنى آخر كيفية تحديد الحلول للقضايا الحادثة، وفي هذا المجال تبرز حيوية ومرونة الفكر الإسلامي النابعة من إيمانه بفكرة الاجتهاد في الأمور المعاصرة، وهذا يعني بدوره الاعتماد على دور العقل سواء في الفقه أم السياسة أم الاجتماع وغير ذلك، في إرجاع كل شيء إلى أصله^(٤)، فالعقل هو ذلك النور الذي يمتلكه كل إنسان من بني البشر ويستطيع بواسطته أن يميز بين الخير والشر، وبين الصالح والفساد، وهذا يعني أن وظيفة العقل الأساسية هي الكشف بين أمور متباينة ومتشابكة، وبها أن دور

(١) بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥ - ٢٩.

(٣) بلا مؤلف، المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٢٩.

(٤) انظر: عبد الغني عباس، تطلع أمة، المصدر نفسه، ص ٤٢.

الوحي الأساسي إثارة العقل، ومن ثم ينطلق العقل إلى فعل كل خير وعمل كل فضيلة، وهذا ما يراه السيد المدرسي إذ يقول: «إن عقل الإنسان كلما زاد قرباً من تعاليم الدين سوف يكون صاحبه أرفع درجة عند الله عز وجل»^(١)، واعتماداً على هذا الدور الكبير الذي أعطاه الإسلام للعقل نشأت القاعدة الشرعية المشهورة التي يؤمن بها بعض الفقهاء، وهي «كل ما حكم به العقل، حكم به الشرع»، إن هذه القاعدة هي امتداد للفكرة القائلة بأن الوحي يثير العقل وينطلق هو بعدئذٍ لتحديد الأشياء، ولعل السيد المدرسي ينطلق من حقيقة مفادها أن المنهج السليم للثقة بالعقل وأحكامه هو التعرف إلى الحقائق بأية صورة وبأية طريقة كانت دون التقييد بمنهج معينة ومحددة اكتشفها بعض المفكرين والفلاسفة في الماضي؛ وذلك لأن لكل عقل أسلوبه الخاص به في الوصول إلى الحقيقة بحجة أنه لم يتبع أسلوباً معيناً حدده مفكر ما في وصوله لحقيقة ما^(٢)، هذا هو المنهج الأسلم الذي يراه السيد المدرسي للإفادة من العقل، شريطة ملاحظة ثلاثة أمور^(٣):

الأول: إن العقل يستقل بمعرفة الحسن والقبيح، لكن هذه المعرفة بحاجة إلى الوحي، لكي تنزكي النفس وتنمو الإرادة وتثار دفائن العقول.

الثاني: إن الوحي بين كل ما يحتاجه البشر من الأحكام على هيئة أصول وقواعد يستفيد منها العقل في التفاصيل والفروع.

الثالث: إن وظيفة العقل تتجلى في ثلاث مهمات:

- أ- تصديق الوحي.
- ب- فقه الشرائع.
- ج- معرفة التفاصيل.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣.

(٢) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ٧.

(٣) عبد الغني عباس، المصدر السابق نفسه، ص ٤٤.

وانسياقاً مع ما تقدم فإن السيد المدرسي يعد الناس جميعاً مطالبين بإعادة ترتيب العلاقة بين العقل والوحي، حتى تكون الأصالة في الفكر الإسلامي مناطة بالعقل المستنير بالوحي وإلا فإن مجرد تغليب أحدهما على الآخر مدعاة إلى الانحراف عن جادة الدين والعقل أيضاً^(١).

ثانياً: الحوادث الواقعة

إن الأمور المستجدة والحوادث الواقعة هي مسار حركة العقل ومجال إضاءة الوحي^(٢)، والسيد المدرسي يرى أن نرجع فيها إلى رواة أحاديث أهل البيت عليهم السلام وإلى الفقهاء المتعلمين منهم والمقتفين أثرهم؛ لأنهم هم الخبراء الراشدون الذين يستنبطون من معادن حكمة العقل والوحي أحكامها الدقيقة^(٣). لقد تمثل المنهج العلمي للسيد المدرسي القائم في اعتماده للعقل والوحي والحوادث الواقعة في مؤلفاته العلمية الكثيرة التي تناولت مختلف المجالات ومنها: الفقه، مبادئ الاستنباط (الأصول)، مجال المعارف الإسلامية، ولكن الأهم من ذلك كله - حسب رأي الكثير من العلماء والمفكرين - هو العمل القرآني الذي قدّمه والمتمثل في تفسير (من هدى القرآن)، الذي يحتوي على تدبرات وتأملات في آيات الذكر الحكيم واستلهاهم القيم والأحكام والمبادئ الإلهية لمعالجة الأوضاع الراهنة وحل مشكلات العصر الحديث على ضوء كتاب الله العزيز^(٤).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٤.

(٢) د. حسين سلمان: دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ط ١، النجف الأشرف، مطبعة الشروق، ٢٠١٠، ص ٢٤.

(٣) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ٨.

(٤) بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٣١ ص ٣٢.

السمات الأساسية لآراء المرجع المدرسي

إن منهجية السيد المدرسي في الفقه والأصول والثقافة التي تجلت في المنطلقات الثلاثة: (العقل والوحي والحوادث الواقعة)، ميّزت آراءه بمجموعة من السمات، وساعدت على تكوين منظومته الفكرية التي توزّعت على العديد من الدراسات والكتب والبحوث والتجارب الميدانية التي كشفت نقاطاً مضيئة في الفكر الإسلامي، سواء فيما يخص الإنسان والمجتمع، أم العلوم كالتاريخ والاجتماع والمنطق والفكر والعرفان... من أجل ذلك قسّمنا المبحث الثاني على ثلاثة مطالب أساسية هي:

المطلب الأول: السمات الأساسية لآراء السيد المدرسي.

المطلب الثاني: المرتكزات الفكرية التي اعتمد عليها.

المطلب الثالث: آثاره العلمية.

المطلب الأول: السمات الأساسية لآرائه

إن منهجية السيد المدرسي في الفقه والأصول والثقافة التي تجلّت في المنطلقات الثلاثة (العقل والوحي والزمن) ميّزت آراءه بالسمات الآتية^(١):

(١) للمزيد من الاطلاع يراجع:

- بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ٨ - ٩.

- بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٣٣ - ٣٤.

١- استنطاق الكتاب

وهذه الميزة في فكر السيد المدرسي تظهر في تفسيره للكتاب العزيز (من هدى القرآن)، وفي موسوعته الفقهية (الوجيز في الفقه الإسلامي) التي تضمنت فتاواه لعامة الناس، وفي موسوعته الأصولية - الفقهية المفصلة (التشريع الإسلامي) التي احتوت على آرائه الفقهية الأصولية للعلماء والباحثين، إذ تجده يسرد المزيد من الآيات والروايات التي تدل بنسبة أو بأخرى على الحكم والقيم التي تستنبط منها الأحكام حتى تكتمل المعرفة لمن أراد فقه الدين. ودليله في هذا السرد العقل، الذي يتقد بنور الوحي فتزداد النفس يقيناً وسكينة بالحكم الشرعي.

٢- دراية بالسنة

الدراية في الأحاديث هي الوسيلة التي يتبعها العقل في استنباط الأحكام، واستلهاهم المعارف، وتعني الدراية: التأمل العميق في الأحاديث إلى أن تتبين معاريضها، وآفاقها، ودلالاتها.

والتكامل بين الكتاب والسنة يقوم بدور أساسي في منهجية السيد المدرسي كما هو التكامل بين العقل والوحي؛ لأن الكتاب يوثق الحديث، والحديث يشرح الكتاب، وما في الروايات من علم وحكمة وحكم إنما هو تفسير للأصول التي بينها الكتاب، وعلى الفقيه - في رأي السيد المدرسي - أن يسعى جاهداً وأبداً من أجل كشف العلاقة بين الكتاب والسنة.. وقد قام السيد المدرسي بهذا السعي في موسوعة (التشريع الإسلامي) ابتداءً من الجزء الرابع وإلى الجزء التاسع، إذ يعتمد كلياً على منهجية التكامل بين القرآن والحديث.

٣- الاستغناء عن الثقافات الدخيلة

إن القرآن الكريم فيه بيان لكل شيء وفي الأحاديث الماثورة تفسير كل

الحقائق، فإن علينا «أن نستغني بالوحي عن الثقافات الدخيلة التي كان منشؤها فكر الفلاسفة الهنود والفرس واليونان قبل ظهور نور القرآن في الآفاق، تلك الثقافات التي تسربت إلى ثقافة المسلمين بعد عنصر الترجمة وانتشرت في أحوال التخلف»^(١).

وقد قام السيد المدرسي بالعمل على فصل تلك الثقافات، سواء في العقائد والحكمة، أم في المنطق، أم في الأصول.

٤- التكامل ما بين النصوص

يرى السيد المدرسي: أن دراسة القرآن الكريم واستلهاهم أصول المعارف ومنها حكم التشريعات منه، هي الضمانة للفهم الصحيح للفقه، وكما في الآيات والروايات كذلك الأدعية الماثورة إنها هي الأخرى كلمات مضيئة ترمي إلى تزكية النفس، وتطهير الروح، وفتح نوافذ المعارف عليها، وتكريس القيم المثلى التي جاءت الشريعة لتفصلها، وتبين حقائقها ومصاديقها.

وهكذا يتبع السيد المدرسي منهجية التكامل بين مختلف النصوص ولا يعترف بالتقسيمات الحادة بين مختلف أنواع النصوص، ونرى جانباً من هذه المنهجية في فصول موسوعة (التشريع الإسلامي) حيث يستفيد من كل النصوص في بيان الأحكام وحكمتها الأصلية.

٥- ردّ الفروع إلى الأصول

من أجل فهم أعمق لعلل الشرائع وحكمتها، والتي هي الأصول العامة للفقه، والمرجع للأحكام المتشابهة، من أجل ذلك يرى السيد المدرسي: ضرورة رد كل الفروع الواضحة التي تدل عليها نصوص واضحة أو تهدينا إليها أدلة قطعية، بهذه الوسيلة يزداد الفقيه غوراً في معرفة الأصول فيسهل عليه رد الفروع

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٤ ص ٣٥.

المتشابهة إليها، لقول السيد المدرسي: «إن على الفقيه ألا يكلّ في طلب علم الشرع، بل يجتهد في سبيل الوضوح في الأحكام، حتى لا ينزلق إلى اتباع الهوى والظنون والقياسات الخاطئة»^(١).

٦- الاحتياط في التعامل مع الروايات

ليس كل إنسان مهياً لفهم حقائق الدين؛ إذ ليس كل الدين قد جاء لفهم كل الناس، من هنا كان في آيات الذكر كما في الأحاديث الشريفة محكمات ومتشابهات، فالمحكم ما كان واضحاً لك، والمتشابه ما لم يكن واضحاً لك، ولكنه قد يكون واضحاً لغيرك.

وهكذا اختلفت درجات الناس في المعرفة عموماً وفي علم الدين بالذات، من هنا لا يجوز للإنسان أن يردّ النصوص التي لا يفهمها ويتهم روايتها بالضعف، أو يرمي محتوياتها بمخالفة المحكمات.

إن الاحتياط الشديد ضروري في التعامل مع الروايات، والبحث عن أسباب صدورها، والتوقف عندها.. حتى لو كان يريد أن يعمل بها الفرد لوجود أقوى، فإن عليه أن يدعها في خانة البحث المستقبلي حتى لا يُبتلى برد النصوص. إن منهجية التشكيك في الرواة وتضعيفهم بأدنى سبب، ورمي أحاديث المشايخ بالشدوذ فور معارضتها بغيرها أو غموضها على فهم الفرد، إنها منهجية خاطئة جداً في رأي السيد المدرسي^(٢).

٧- دراسة محتوى الروايات

وبدل التعمق في أحوال الرواة، والبحث عن نقاط الضعف في بعضهم، يرى السيد المدرسي الاهتمام بدراسة محتوى الروايات وعرضها على بعضها، أو

(١) بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٧.

على محكمات الكتاب وروح شرائعه، أو على العقل؛ لأنه كما جاء في الحديث الشريف: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقِّ حَقِيقَةً، وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُورًا، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخَذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ».

وهذه المنهجية تفتح آفاق المفكر لتغور في معاني الأخبار، وتستفيد منها دقائق جديدة، كما أنها توسع على المؤمنين للإفادة من سهولة الشريعة، إذ جاء في الحديث الشريف: «بأيهما أخذت من باب التسليم وسعك».

٨- احترام آراء الفقهاء السابقين

علماء الإسلام هم الرجال الراشدون الذين كانوا محتاطين جداً على الدين، وإذا اشتهرت بينهم رواية تناقلوها بينهم بالتسليم، فإن ذلك يزيدنا طمأنينة بصحة الرواية. من هنا كان من منهجية السيد المدرسي احترام آراء الأقدمين من الفقهاء، وبالذات في ترجيح العمل بحديث دون آخر عند التعارض، ولكن لا يعني ذلك غلق أبواب الاجتهاد ولا سيما عند معرفة خلفية رأي الفقهاء مثل أتباع منهج الاحتياط في الدين، إذ قد يكون الرأي الآخر قائماً على أساس منهج سهولة الشريعة.

٩- التمييز بين الثوابت والمتغيرات

الأحكام الشرعية تنطبق على الموضوعات الخارجية، وتختلف بحسبها ومعرفة الموضوعات بدقة كافية ذات أهمية قصوى في الحكم عليها، وبوصف اختلافها من عصر لعصر، ومن مصر لمصر، فإن على الفقيه الاطلاع على متغيرات الزمان والمكان قبل أن يصدر أحكامه على الموضوعات الفقهية.

وهنا تأتي قضية الأولويات والأهم فالمهم في الفقه، والتي يبحثها الفقهاء في باب التزامهم، ومن هنا يفتح السيد المدرسي باباً أساسياً في الاجتهاد، هو باب الثوابت والمتغيرات.

والثوابت هي الأحكام، وما المتغيرات سوى موضوعاتها، «حيث إن قيم ومبادئ وأصول الشريعة من وجهة نظر السيد المدرسي لا تتغير -خلافًا لما يتصوره الجاهلون- وإنما الزمان يتغير في إطار الشريعة الثابتة، إلا أن المزيد من دراسة الشريعة يعطي الفقيه نظرة ثاقبة في بيان حكم المتغيرات الذي يستنبطه من الشريعة ذاتها»^(١).

وقد اسهب السيد المدرسي في بيان العلاقة بين الثوابت والمتغيرات في الجزء الثاني من موسوعة (التشريع الإسلامي)^(٢).

١٠- فقه المتغيرات

والنقطة الحاسمة في منهجية السيد المدرسي التي يهدف الوصول إليها من خلال جملة من بحوثه الفقهية، هي اعتماد فقه المتغيرات وإعطاء الفتاوى الواضحة في الحوادث الواقعة، اعتماداً على الأصول العامة التي نراها في الكتاب العزيز، وأيضاً تلك التي ألقاها علينا الأئمة المعصومون عليهم السلام، وقالوا: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»، وقولهم: «يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عز وجل».

فالناس اليوم يحتاجون إلى فهم حكم الله -مثلاً- في المعاملات البنكية، وفي المخدرات واستعمالها وفي التجارة بها، وفي أنواع جديدة من العقود المستجدة، وفي أحكام المرور، والبلديات، والصحة الوقائية، والصحة العلاجية، مثل زرع الأعضاء وانتزاعها من الأحياء قبيل وفاتهم وما أشبه.

إن كثيراً من مسائل الفقه كانت فتاوى لحوادث سابقة، وقد آن الأوان أن نهتم أكثر فأكثر بفقه حوادث تقع اليوم، وهذا هو ما يضعه السيد المدرسي في أولويات اهتماماته العلمية^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩.

(٢) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، مصدر سابق ص ٢.

(٣) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ١٠.

المطلب الثاني: المرتكزات الفكرية التي اعتمدها المرجع المدرسي

وهذه المرتكزات نوجزها في الآتي:

أولاً: الاستلهام من القرآن

يرى السيد محمد تقي المدرسي أن القرآن الكريم هو الملهم الدائم والمخطط الصائب لنهضة الأمة وتقدمها، فهو الوحي الإلهي الذي يحتوي بين دفتيه بلسماً شافياً لجراحات الأمة وآلامها، بما يتوافر فيه من بصائر وهدى يعينان الإنسان على حل مشكلاته المتجددة^(١)، ويضيف قائلاً: «بيد أن المشكلة التي رافقت تعامل المسلمين دوماً مع القرآن الكريم، تكمن في أسلوب الإفادة الخاطيء من بصائره، أن لم نقل هجرتهم له وابتعادهم عنه، كما تشير إليه بعض الآيات.. وبناء على هذا النمط من التعامل مع بصائر القرآن، أصبحت الأمة الإسلامية وللأسف فاقدة للمؤجّه الحكيم الذي يدرك ملاسبات الأوضاع والمشكلات، ويحدد الحلول الناجعة بلحاظ هذه الأوضاع، على هذا الأساس أصبح التعامل مع القرآن الحكيم تعامللاً سطحياً أدى إلى التغافل عن حيوية القرآن، وإمكانية التفاعل الإيجابي معه في الحالات المتجددة في حياة الأمة»^(٢)، ويرى أحد المفكرين الإسلاميين: أن السيد المدرسي «أدرك سر التعامل مع القرآن الحكيم وكيفية الإفادة منه، وحسب معطيات هذا السر بدأ مشواره المبارك مع القرآن واستنتج الأفكار الأصيلة منه، ودعا إلى إقامة علاقة جذرية ودائمة وسليمة معه. ويتضح هذا الاهتمام في ثنايا دراساته الفكرية ومحاضراته الجماهيرية، إذ يركز في جميعها على أن القرآن هو الملجأ الآمن للمؤمنين، إذ يحتوي على البصائر الربانية في مقابل الأفكار الوضعية التي يتم نشرها هنا وهناك»^(٣). ويضيف قائلاً: «ومن هنا يعد

(١) بلا مؤلف: المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) عبد الغني عباس، المصدر السابق نفسه، ص ٣٨.

السيد المدرسي رائد (منهج التدبر) في كتاب الله العزيز في عصرنا الحاضر، إذ يدعو في منهجه إلى ممارسة التدبر من فئات المجتمع كافة؛ لأن كتاب الله الحكيم جاء للناس جميعاً، وعلى الجميع أن يفهموا الكتاب ويستوعبوا قيمه ومبادئه تمهيداً لتطبيقها في الحياة»^(١).

ثانياً: حضارية الفكر

من عوامل تقدم الأمة الإسلامية الساعية إلى تحقيق أهدافها في الحياة، هو الاعتماد على نظرة متكاملة وشاملة للأحداث الجارية، هذه النظرة التي يصطلح عليها بالنظرة الحضارية في دراسة المشكلات وتحديد عوامل السير ولوازم التقدم.

وقد أحاط السيد محمد تقي المدرسي نظرتة إلى مشكلة الأمة الرئيسة بمنظار حضاري، إذ يقول بعد تشخيصه لمشكلات الأمة: «تعيش الأمة الإسلامية اليوم تحدياً حضارياً صارخاً ليس من الحضارة الغربية فحسب، بل وأيضاً من لدن الحضارات التي تعد نفسها صياغة متطورة منها كالحضارة الشرقية»^(٢).

إن حضارية فكر سماحة السيد المدرسي تبرز من دعواته المتكررة إلى بناء حضارة إسلامية في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والذي يراجع إصداراته الثقافية ويلمس بوضوح هذه الدعوات، وهذا ما يتأكد من خلال مراجعة دراساته ومحاضراته الجماهيرية التي القاها ويلقيها بشكل مستمر في مناسبات عدة، تعطي جميعها قراءة جديدة للحالة التي يعيشها المسلمون، وتؤكد على فتح جبهة عريضة ضد التخلف بكل أشكاله^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، ط ٢، كربلاء المقدسة، المركز الثقافي الإسلامي، ١٣٨٩ هـ، ص ٢٥.

(٣) انظر الموقع الإلكتروني للسيد المدرسي: www.almodarresi.com

ويرى السيد المدرسي أن بناء شخصية إسلامية ملتزمة بالتعاليم الدينية والإلهية هي الخطوة الأولى في طريق بناء الحضارة الإسلامية الشاملة في جميع مجالاتها، كما يؤمن بضرورة الاعتماد على بصائر القرآن وتجارب التاريخ كلازمتين في هيكلية الشخصية الإسلامية، ويؤكد على ضرورة بناء مجتمع حيوي فاعل يسهم في تطبيق الرفاه الاقتصادي عبر استغلال الموارد الوطنية واستثمارها، وهو في نظر أحد المفكرين من أوائل من دعا إلى إنشاء سوق إسلامية مشتركة لتنسيق السياسة الاقتصادية بين الدول الإسلامية، كما أنه يؤكد على ضرورة انبثاق الأنظمة الاجتماعية والسياسية عن إرادة شعبية، حتى تسهم جميع هذه المجالات في تحقيق التقدم الاجتماعي والحضاري^(١).

كما أن نظرة السيد المدرسي في التقدم الحضاري نابعة من أنه لا يعالج القضايا والأحداث من وجهة نظر علمية بحثية أو سياسية محض، بقدر ما يعطيها بُعداً الحضاري الواسع استلهاماً من كتاب الله العزيز وسيرة المعصومين عليهم السلام، حتى تكون الحلول والمعالجات مناسبة ونافعة^(٢).

ثالثاً: إيجابية الفكر

ونلاحظ إيجابية الفكر لدى السيد المدرسي من خلال صفتين بارزتين تصبغان كل أفكاره وتوجهاته وخطته^(٣):

أ- عدم انطلاقه من موقع المثبط أو المتشائم أو اليائس من مسألة تقدم المسلمين، ورؤيته لعموم القضايا الإسلامية - حتى في أحلك الأوضاع - بوجهة نظر إيجابية. فعلى سبيل المثال وبالرغم من قساوة المواقف الدولية المناوئة للقضايا

(١) بلا مؤلف، المرجع والأمة، المصدر السابق نفسه، ص ٤٤ ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٥.

(٣) للمزيد راجع:

- صحيفة العمل الإسلامي، مصدر سابق، ص ٦ ص ٩.

- مجلة الشهيد، مصدر سابق، ص ٢٠.

الإسلامية هنا وهناك، فإن السيد محمد تقي المدرسي ينظر إلى كل ذلك من موقع المتفائل للمستقبل، والاندفاع للعمل الجدي المركز الذي يسهم في تغيير الواقع الفاسد، ومن رؤيته بأن قدرة الأمة وإمكانيتها والدعم الإلهي لها سيمكنها من تجاوز الواقع المتخلف، ومواجهة كل التحديات.

ب- التركيز على طرح الحالات الإيجابية في الأمة وإعطائها البعد السليم في عملية التغيير نحو الأفضل، فحين ينتشر خبر الانتفاضة الإسلامية في فلسطين أو العراق أو التوجه نحو العودة إلى الإسلام في أفريقيا، أو حالات الصحوة الإسلامية في مختلف الديار الإسلامية، فإنه يعطيها الآفاق الحقيقية في عملية الصراع الإسلامي الجاهلي، ولا يأخذها بنظرة أحادية أو سلبية مثلاً، حتى لا تصاب الأمة بزيادة الإحباطات النفسية نحو التقدم والعطاء، بل يحاول الإمساك بالنقاط الإيجابية لكي ينمي في الأمة روح العمل والتحرك نحو الأفضل.

رابعاً: تأصيل الثقافة

لقد أدرك السيد المدرسي ضرورة القيام بعملية تأصيل للثقافة الإسلامية، دون استيراد أي شيء من الخارج؛ لأن الإسلام من وجهة نظره لا ينقصه أدنى شيء، وهذا لا يعني بالطبع التحجر في قوقعة التخلف وعدم الاستفادة من حضارة الغرب وتقنياته^(١).

ولعل فتح باب الاجتهاد هو من أهم أبواب الإسلام تقدماً ومواكبة للعصر، إذ لا يسمح للمسلمين بالجمود على الماضي بقدر ما هو إيجاد أحكام للموضوعات المتجددة اعتماداً على قواعد عامة بينها الإسلام من ذي قبل.

يرى السيد المدرسي «أن الاستلهام من الدين الصحيح يشكل القاعدة والمنطلق والأصالة، والتفتح على الحياة يشكل المسير والتفاعل، فنحن اذن

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

بحاجة إلى (تأصل) و (تفتح) ولا بد أن نحققهما عبر مراحل ثلاث:

- ١ - مرحلة التأصل، وفيها نحاول استيعاب الفكرة الحضارية التي تتمثل في الدين الإسلامي إيماناً وعلماً.
- ٢ - مرحلة البعث، وفيها نتحسس بالتخلف ونستيقظ من سباتنا العميق، ونريد أن نحيا.
- ٣ - مرحلة التفتح، وفيها نحاول الاستفادة من معطيات العلم الحديث^(١).

ويضيف السيد المدرسي قائلاً:

«إن هذا هو الخط الواضح القويم الذي لا يمكننا أن ننجح دون الالتزام به، والوفاء بمتطلباته»^(٢).

وقد أكدت كتابات السيد المدرسي على ضرورة التأصيل وبالذات في كل من كتاب (المنطق الإسلامي، والفكر الإسلامي، والعرفان الإسلامي)، كما أن اهتمام السيد المدرسي بالبصائر القرآنية هو دليل واضح على أصالة فكره وتوجهه إلى منابع الإسلام الأصيلة.

أما عن مشاريعه فقد تمحورت من خلال:

الاهتمام بالحوزات العلمية والسعي لتطويرها نحو الأفضل ذلك؛ لأن الحوزات العلمية حسب اعتقاد السيد المدرسي هي: «الأداة الأهم لتغيير واقع الأمة من التخلف والفساد والتبعية إلى التقدم والسلامة والاستقلال»^(٣)، ويوجه السيد المدرسي عدة تساؤلات لعل أهمها:

«هل تستطيع الحوزات العلمية أن تقوم بأية عملية تغييرية جذرية في واقع

(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: محمد تقي المدرسي، المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٥١.

الأمة من دون أن تغير نفسها، وتقضي على عوامل الضعف والتخلف في داخلها، وتتسلح بنقاط القوة من أجل قيادة عملية تغير الواقع»^(١).

لذلك فالسيد المدرسي - المنحدر من أسرة ترعرعت أباً عن جد في مختلف الحوزات العلمية عبر عقود متطاولة من الزمن - كان اهتمامه منصباً على مراجعة البرامج العلمية والتربوية للحوزات وتطويرها، بما يجمع الحفاظ بين الأصالة وجوهر العلوم الدينية، والاستجابة لمتطلبات الحياة المتغيرة، وحل مشكلاتها المستجدة سواء في المحتوى أم الأسلوب أم مناهج الدراسة.

لذلك أكد على ضرورة أن تقوم الحوزات بدورها الريادي في وضع برنامج رسالي يواكب العصر، وإعطاء الزخم الحضاري الكافي لتنفيذ ذلك البرنامج، من خلال قيامها بدورين متكاملين: دور المحافظة على حدود الشريعة وأصالة الأمة، ودور تطوير الحياة وتنمية المجتمع. وهكذا ينتقد السيد المدرسي توقف الحوزات الدينية عن التطوير الذاتي ومواكبة العصر في الاستجابة للتحديات في إطار الأصالة وثوابت الشريعة^(٢).

وانطلاقاً من هذه الرؤية الطامحة لتطوير الحوزات الدينية بما يتناسب ومسؤوليتها الكبيرة في قيادة مسيرة الأمة، قام السيد المدرسي - منذ انطلاقه في ساحة العمل الرسالي في الستينات في كربلاء المقدسة - بوضع اللبنة الأولى لعملية التغير الحوزوي من طريق تشكيل دورات وحلقات دراسية لطلبة العلوم الدينية تتضمن تغييراً في البرامج والأساليب الدراسية، وعبر ثلاثة عقود من الزمن تكاملت أطروحة السيد المدرسي لبناء الحوزة الدينية المنشودة فقد:

١ - تأسست وبتوجيه منه العديد من الحوزات الدينية في مختلف الدول،

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٤.

(٢) محمد تقي المدرسي، المعهد الإسلامي بين الأصالة والتطوير، ط ١، كربلاء المقدسة، دار المدرسي، ١٤١٣ هـ - ص ٢١٢.

وكان أبرزها حوزة القائم في طهران التي درس فيها طلاب من أكثر من (٣٥) دولة، وتخرج فيها حوالي (١٢٠٠) كادر ديني، توزعوا في مختلف أرجاء العالم لأداء واجباتهم الرسالية في مجالات القيادة والتوجيه وإمامة المساجد والخطابة والإعلام والتدريس وما أشبه ذلك.

وعلى ذات المنهج الرسالي أسست حوزة القائم في منطقة (السيدة زينب عليها السلام) إحدى ضواحي العاصمة السورية دمشق.

وفي العراق تأسست حوزة القائم في كل من مدينة كربلاء المقدسة والعاصمة بغداد ومحافظة البصرة، ومحافظة واسط.

وفي مدينة كربلاء تأسست أيضاً حوزة الإمام الرضا عليه السلام، وحوزة الإمام الجواد عليه السلام، وحوزة الإمام الصادق عليه السلام.

وقد أسست عدة حوزات نسائية في كربلاء، منها:

حوزة العقيلة زينب عليها السلام، وحوزة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وحوزة الحوراء زينب عليها السلام.

كما تأسست حوزات دينية في مشهد وأفغانستان، وعلى غرار ذلك تأسست أكثر من حوزة في الخليج.

٢- كما أولى السيد المدرسي اهتماماً بمجال الإعلام الإسلامي، حيث يرى أن الإعلام بمثابة (السلطة الأولى في العالم)، فتم تحت إشرافه وبدعمه تأسيس جرائد ومجلات إسلامية تقوم بدورها البناء في نشر أنباء العالم الإسلامي بوصفها منبراً مهماً من منابر العمل في سبيل الله، وفي هذا الصدد أيضاً تشكلت تحت رعايته وضمن مؤسسات حوزة القائم في كل من معهد إعلامي لتخريج كوادر إعلامية وصحفية تعمل على كشف المؤامرات الخفية التي تحاك ضد الإسلام وأبنائه، كما اهتم السيد المدرسي بخطط أهل البيت عليهم السلام إعلامياً، والولاء لهم بوصفهم

الصفوة التي اختارها الله تعالى ترجماناً لكتابه العزيز، الذي يعد أكبر معجزة إلهية ينبغي أن تخلد عبر استيعاب حكم وقيم آياته إلى يوم الساعة، وبتوجيه منه صدرت عدة صحف ومجلات وفصائيات منها^(١):

- * صحيفة (الشهيد) التي لاقت شعبية كبيرة في العالم الإسلامي. وكان لها الأثر الكبير في نشر الثقافة الرسالية في الأوساط العربية الإسلامية.
- * مجلة (البصائر) الفصلية، التي تُعنى بقضايا الأمة وما يخصها من وسائل فكرية وثقافية، أسسها السيد عباس المدرسي بتوجيه من السيد المدرسي، وذلك عام ١٤٠٣ هـ كأول مجلة دراسية تصدر في العالم الشيعي.
- * صحيفة (عاشوراء) التي تصدر سنوياً في عدد من البلاد الإسلامية بمناسبة ملحمة الطف، ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، مخلدة بذلك ذكرى الثورة التي انتصر فيها الدم على السيف.
- * فضائية أهل البيت عليهم السلام - التي يراها أخوه السيد هادي المدرسي - وذلك للدفاع عن قضايا وهموم الأمة وبالذات هموم أتباع أهل البيت عليهم السلام.
- * صحيفة (الهدى) التي تصدر الآن من كربلاء المقدسة بعد عودة السيد المدرسي إلى مسقط رأسه.
- * إذاعة وتلفزيون الهدى في كربلاء المقدسة وبغداد والكوت.

٣- تحت رعايته وبتوجيه مباشر من السيد المدرسي تم تأسيس مراكز إسلامية في مختلف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، مهمتها نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم الدين الحنيف.

٤- بتوجيه من السيد المدرسي أسست أكثر من دار لنشر الكتب، تقوم بطبع ونشر الكتاب الإسلامي ومنه^(٢):

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) بلا مؤلف، محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، مصدر سابق، ص ٣٠.

أ- دار المركز الثقافي.

ب- دار المدرسي.

ج- دار البقيع.

هـ - دار محبي الحسين عليه السلام.

٥- تحت رعاية السيد المدرسي تم في مختلف بقاع العالم تأسيس الكثير من المساجد والحسينيات ومراكز البحوث والمعاهد الدينية ومراكز صحية وخدمية. ومؤخراً أنجز في العراق مشاريع عدة كالحوزات العلمية -الرجالية والنسائية- والمؤسسات الخيرية، الاجتماعية، الثقافية، والعديد من المساجد والحسينيات.

أما بالنسبة إلى أبرز نشاطاته فهي كالآتي^(١):

١- في مدينة طهران ومنذ العام ١٤٠٩ هـ وحتى سقوط نظام صدام حسين كان يحرص في صباح كل يوم على إلقاء درسه في الفقه الإسلامي على مستوى (بحث خارج)، وهو أعلى مستوى دراسي في الحوزة العلمية، إذ يناقش أدق المسائل الفقهية والأمور الدينية.

٢- يدير شؤون عدد كبير من طلبة العلوم الدينية والدعاة والمصلحين في مختلف دول العالم، ولم تتوقف عملية الإصلاح والتوعية الدينية عند العالم الإسلامي، بل شملت نشاطاته العالم الغربي والعديد من دول الشرق الأدنى وأستراليا.

٣- دأب منذ سنوات طويلة على إلقاء المحاضرة الإسلامية في ليلة الخميس من كل أسبوع، فيحضرها حشد من أفراد المجتمع الإسلامي، ويتناول في كل

(١) بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، مصدر سابق، ص ٣٢.

مرة رؤية جديدة يستلهمها من القرآن الكريم ويربطها بآخر المستجدات على مستوى العالم الإسلامي.

٤- يشارك في العديد من المؤتمرات والندوات الدينية والثقافية التي تقيمها الجماعات الإسلامية في أرجاء العالم، ويقدم فيها وجهات نظره إزاء القضايا المطروحة.

٥- أسهم بتوجيهاته وإرشاداته للعديد من الحركات الإسلامية المعاصرة.

ويواصل السيد المدرسي نشاطاته عبر سفراته من بلد إلى آخر للتبليغ والعمل الرسالي، وبين مدة وأخرى كان يسافر إلى مدينة مشهد، ليلتقي فيها بالمؤمنين والزوار القادمين من مختلف الدول وفيها يلقي محاضراته التوجيهية والتبليغية، وكذلك دروسه كما يطلع على آخر مستجدات العمل الرسالي هنا وهناك.

وفي كل صيف كان يسافر إلى سورية -السيدة زينب عليها السلام - ليتابع آخر مستجدات وإنجازات البرامج الرسالية في حوزة القائم التي هي الفرع الثاني لحوزة القائم في طهران بعد حوزة مشهد، كما يحضر المؤتمر السنوي (العودة إلى القرآن) الذي تقيمه الحوزة بتوجيهاته وإرشاداته، في الوقت نفسه يُلقي المحاضرات والدروس التي يحضرها جمع غفير من الطلبة والمقيمين والزوار من مختلف مناطق العالم لمقام السيدة زينب عليها السلام.

وفي موسم الحج -وجرياً على العادة السنوية- يلتقي السيد المدرسي خلال بعثته الدينية للحج بالحجاج من مختلف بلاد العالم ليحجّب عن أسئلتهم الدينية والفقهية، ويطلع على أوضاعهم بشكل مباشر^(١).

ويرى السيد المدرسي أن الحج «هو أحد المواسم الكبرى في الإسلام، وينبغي أن يتحول إلى مؤتمر للتشاور بين المسلمين، وعلى فقهاء الأمة وقادتها أن يشاركوا الحجاج دائماً في هذا المنسك الإلهي لبحثوا قضايا الأمة وهموم أبنائها،

(١) محمد تقي المدرسي، مناسك الحج، ط ٢، مشهد، دار محبي الحسين عليه السلام، ٢٠٠٣ م، ص ٣٧.

أسوة بسنة الرسول ﷺ وسيرة الأئمة المعصومين ﷺ الذين كانوا يواظبون على الحضور في هذا المكان المقدس، مما يسهم هذا الأمر أيضاً في معرفة موضوعات الأحكام الدينية التي تتعلق بالحج وباقي الفرائض الأخرى^(١).

المطلب الثالث: آثاره العلمية

لقد أغنى السيد المدرسي المكتبة الإسلامية بمجموعة كبيرة من الدراسات والكتب التي تناولت مجالات متعددة، وعالجت قضايا مختلفة، برؤى إسلامية أصيلة استلهمها من القرآن الحكيم وأحاديث النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ، إذ اشار في لقاء معه أنه ألّف أكثر من (٥٠٠) كتاب خلال مسيرة حياته^(٢)، نشير إلى أبرزها:

أولاً: مكتبة القرآن الكريم

تتميز كل كتابات ومحاضرات وأحاديث السيد المدرسي بصبغة قرآنية واضحة، تدل بشكل بيّن على أنه ينطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأحاديث العترة الطاهرة أولاً وأخيراً في صياغة رؤاه وبصائره حول مختلف الأمور، إلا أننا نشير هنا إلى أهم كتبه القرآنية التي تدور حول محور القرآن فقط:

١- بحوث في القرآن الحكيم (١٣٩٢هـ)

وفيه تحليل علمي لخصائص القرآن وأساليب فهمه السليم، وذلك بالاعتماد على التدبر في الآيات القرآنية الذي ورد الحث عليه كثيراً في أحاديث السيرة لاستنتاج الرؤى الأصيلة منه، وقد وضع السيد المدرسي بعض موضوعات هذا الكتاب في مقدمة تفسير: (من هدى القرآن).

(١) البيان السنوي إلى حجاج بيت الله الحرام، مجلة البصائر، العدد ١٢٧، (وهي نشرة أسبوعية تصدر عن المكتب الإعلامي للسيد المدرسي)، ص ٤.

(٢) مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد المدرسي بتاريخ ١٥ / ٤ / ٢٠١١م في جامع الإمام موسى الكاظم ﷺ في كربلاء المقدسة، استغرقت المقابلة ساعتين فقط.

٢- تفسير: من هدى القرآن (١٨ مجلداً)

وهو محاولة لربط الآيات القرآنية بالواقع الاجتماعي والتربوي، واستنباط ما يصلح لهذا الواقع من أفكار حضارية أصيلة تهدي إلى حياة سعيدة.

وقد قدم السيد المدرسي منهجاً خاصاً في تفسير القرآن والتدبر في آياته يتوخى منه ملامسته للحالة الاجتماعية، ويتعد فيه عن طرح القضايا المعقدة والمثالية التي لا تحتاج إليها حالة النهضة الإسلامية، وهذا بذاته أعطاه ميزة خاصة انفرد بها عن سائر التفاسير التي تزخر بها المكتبة الإسلامية، وقد طرح هذا المنهج في مقدمة تفسير (من هدى القرآن).

٣- بصائر القرآن في التحرك الإسلامي (١٤٠٨هـ).

٤- القرآن حكمة الحياة (١٤١٥هـ).

٥- في رحاب القرآن (١٤٢٢هـ).

٦- مقاصد السور في القرآن الكريم (١٤٢٧هـ).

ثانياً: مكتبة الفقه والأصول

ألف: المطبوع

١- الفقه الإسلامي.. قسم المعاملات - الأصول العامة (وهو كتاب استدلالي في الأصول العامة للمعاملات)، (١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م) ط ١.

٢- الفقه الإسلامي.. أحكام العبادات (وهو الجزء الأول من الرسالة العملية للسيد المدرسي)، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) ط ٨.

٣- الفقه الإسلامي.. أحكام المعاملات (وهو الجزء الثاني من الرسالة العملية لساحة السيد المدرسي)، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) ط ٢.

٤- أحكام الإسلام.. (منتخب أحكام العبادات وأحكام المعاملات)، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ط ٥.

٥- الفقه الإسلامي.. تعليقات على العروة الوثقى ومهذب الأحكام، (٤ أجزاء) (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، ط ١.

٦. استفتاءات (ج ١ ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) ط ١.

٧- سلسلة الوجيز في الفقه الإسلامي، (وهي سلسلة كتب في أبواب الفقه الإسلامي المختلفة، تضم فتاوى السيد المدرسي إلى جانب الإشارة إلى بعض من الآيات والروايات المرتبطة بالموضوع)، صدر منها حتى الآن:

أ- أصول العقائد وأحكام التقليد والبلوغ.

ب- أحكام المطهرات والنجاسات.

ج- فقه التطهر وسنن الزينة.

د- أحكام الدماء الثلاثة.

هـ- آداب المرض وفقه الوفاة.

و- أحكام مقدمات الصلاة.

ز- أحكام أفعال الصلاة.

ح- فقه الخلل وأحكام سائر الصلوات.

ط- أحكام الصيام وفقه الاعتكاف.

ي- أحكام الزكاة وفقه الصدقات.

ك- أحكام الخمس.

ل- مناسك الحج.

م- فقه الجهاد وأحكام القتال.

ن- فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية.

س- فقه الحياة الطيبة.

- ع- فقه العقود - أصول عامة.
- ف- عقود العين وعقود الضمان (البيع، الصلح، الوكالة، الحوالة، الكفالة، الضمان، الغصب، الإقرار).
- ص- عقود المنفعة وعقود الشركة (الإجارة، الجعالة، الزراعة، المساقاة، السبق والرماية، الشركة، الشفعة، المضاربة).
- ق- عقود الإحسان (القرض والدّين، العارية، الوديعة، الهبة، الرهن).
- ر- فقه العهود والمواثيق (الوصية، النذر والعهد، اليمين، الحجر، الكفارات).
- ش- فقه المصالح العامة (الطعام والشراب، الصيد والذبابة، الأرض والمرافق العامة، الوقف والصدقات الجارية، اللقطة).
- ت- أحكام الزواج وفقه الأسرة.
- ث- أحكام الطلاق ومعالجة تفكك الأسرة.
- خ- فقه القضاء وأحكام الشهادات.
- ٨- موسوعة (التشريع الإسلامي.. مناهجه ومقاصده) (١٠ أجزاء)، وهي رؤية تجديدية في الفقه والأصول، بل يُعد (الجزآن الأول والثاني) أطروحة جديدة في أصول الفقه.
- ٩- المعهد الإسلامي بين الأصالة والتطوير (ويُعد هذا الكتاب أطروحة متكاملة لنظرية السيد المدرسي في تطوير الحوزات الدينية ومعالم الشخصية الرسالية لعالم الدين).
- ١٠- فقه الاستنباط - دراسات في مبادئ علم الأصول (قيد الطبع).

عن الرسالة العملية للسيد المدرسي:

- ١- سلسلة: الوجيز في الفقه الإسلامي.
- ٢- أحكام العبادات.
- ٣- أحكام المعاملات.

٤- أحكام الإسلام.

٥- الفقه الإسلامي - تعليقات على العروة الوثقى ومهذب الأحكام.

باء: المخطوط

١- بحث استدلالي في فقه الصلاة.

٢- بحث استدلالي في فقه الزكاة.

٣- بحث استدلالي في فقه الخمس.

٤- بحث استدلالي في فقه الحج.

٥- شرح كفاية الأصول.

٦- شرح معالم الأصول.

٧- كتاب المعاملات بحث استدلالي (الجزء الثاني).

٨- الفقه الإسلامي: تعليقة وشرح على (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي.

ثالثاً: مكتبة المعارف والفكر الإسلامي

للسيد المدرسي بحوث في موضوع المعارف، وقد أجرى مقارنة بين الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفة السائدة في العالم الغربي اليوم من جهة، ومعارف الإسلام التي تتمثل في القرآن الحكيم وأحاديث النبي وأهل البيت عليه السلام من جهة ثانية. وتتميز كتابات السيد المدرسي من وجهة أحد المفكرين الإسلاميين في مجالات الفكر والمعارف: «أنها بقلم كاتب مجتهد قرآني قدير، فليست تجميعاً من كتب وأفكار الآخرين - كما هي صبغة الكثير من الكتب - بل هي نتائج استنباطات كاتب مجتهد عكف - ولا يزال - على دراسة القرآن والسنة للاستلهام من ينابيع الوحي واستخراج الأفكار والقيم والمبادئ منها»^(١)، ومن

(١) عبد الغني عباس، المصدر السابق نفسه، ص ٨.

أهم كتاباته في هذا المجال هي الآتية:

- ١- الفكر الإسلامي .. مواجهة حضارية (١٣٨٩هـ).
- ٢- المنطق الإسلامي .. أصوله ومناهجه (١٣٩٧هـ).
- ٣- العرفان الإسلامي .. بين نظريات البشر وبصائر الوحي (١٤٠٥هـ).
- ٤- الدعاء معراج الروح ومنهاج الحياة .. (١٤٠٥هـ).
- ٥- في رحاب الإيمان .. (١٤١٧هـ).
- ٦- التوحيد يتجلى في الحياة .. (١٤١٨هـ).
- ٧- مبادئ الحكمة بين هدى الوحي وتصورات الفلسفة .. (١٤٢٠هـ).
- ٨- تأملات في دعاء الافتتاح .. (١٤٢٣هـ).
- ٩- ليلة القدر، معراج الصالحين .. (١٤٢٤هـ).
- ١٠- على أبواب الآخرة .. (١٤٢٥هـ).

وقد ترجمت الكتب الأربعة الأولى إلى اللغة الفارسية، وطبعت باللغتين مرات عدة.

رابعاً: مكتبة السيرة والتاريخ الإسلامي

كتب عن التاريخ الإسلامي قرابة (٣٠) كتاباً تناول في أكثر من (٢٠) منها سيرة الرسول الأعظم ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام بنظرة اجتهادية قرآنية، وأبرز هذه الكتب:

- ١- مع الرسل على الطريق الشائك: عرض موجز لحياة الأنبياء أولي العزم عليهم السلام، صدر في العام ١٣٨٥هـ.
- ٢- التاريخ الإسلامي دروس وعبر (دراسة تاريخية للمدة ما بين العام ٦١ - ٢٥٠ من الهجرة النبوية) الصادر في عام ١٤٠٤هـ، والذي ناقش فيه

الحركات التصحيحية في صدر الإسلام، ويعتقد السيد المدرسي أن قراءة التاريخ يجب أن تكون من أجل الاطلاع على أحداث تاريخية وقعت في الماضي للاستفادة منها للتنظير في المستقبل^(١).

٣- عاشوراء امتداد لحركة الأنبياء (١٤٠٧هـ).

٤- سلسلة قدوة وأسوة: وهي عرض موجز لسيرة وحياة الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته عليه السلام، جاء في أربعة عشر كتاباً، ثم جُمع في مجلدين تحت عنوان: (النبي وأهل بيته)، صدر في العام ١٤١٢هـ وترجم لعدة لغات حية، وطبع منه طبعات كثيرة.

٥- الإمام علي عليه السلام قدوة الصديقين (١٤١٣هـ).

٦- الإمام الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة (١٤١٦هـ).

٧- الصديقة زينب شقيقة الحسين عليه السلام (١٤١٦هـ).

٨- العباس بن علي نصير الحسين عليه السلام (١٤١٦هـ).

٩- مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام (١٤١٦هـ).

١٠- الإمام المهدي والإيمان بالغيب (١٤١٧هـ).

١١- النبي محمد ﷺ قدوة المؤمنين (١٤١٨هـ).

١٢- علي الأكبر سليل الحسين عليه السلام (١٤١٨هـ).

١٣- أنجال الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء (١٤١٨هـ).

١٤- فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين (١٤٢١هـ).

١٥- الإمام الحسين عليه السلام قدوة الصديقين (١٤٢٢هـ).

(١) محمد تقي المدرسي، التاريخ الإسلامي دروس وعبر، قراءة في تاريخ الحركة الإسلامية للمدة ما بين عام (٦١ - ٢٥٠هـ)، ط ١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٠٤هـ، ص ٨.

١٦ - الإمام المهدي عليه السلام قدوة الصديقين (١٤٢٢هـ).

خامساً: مكتبة المجتمع الإسلامي

للسيد المدرسي دراسات كثيرة حول القضايا الاجتماعية، يعالج فيها قضايا المجتمع برؤية رسالية قرآنية، منها:

- ١ - المرأة في المجتمع الإسلامي (١٣٩٧هـ).
- ٢ - البناء الحضاري بين لا ونعم (١٣٩٨هـ).
- ٣ - المجتمع الإسلامي، منطلقاته وأهدافه (١٤٠٣هـ).
- ٤ - كيف تحيا سعيداً (١٤٠٨هـ).
- ٥ - التمدن الإسلامي، أسسه ومبادئه (١٤١٢هـ).
- ٦ - المرأة بين مهمات الحياة ومسئوليات الرسالة (١٤٢٠هـ).
- ٧ - الأخلاق، عنوان الإيمان ومنطلق التقدم (١٤٢٣هـ).
- ٨ - معالم الحضارة الإسلامية، آفاق وتطلعات (١٤٢٣هـ).
- ٩ - حوار عن الأسرة وقضايا المرأة (١٤٢٥هـ).
- ١٠ - جهاد النفس، بصيرة العقل واستقامة السلوك (١٤٢٧هـ).
- ١١ - على طريق الحضارة (١٤٢٨هـ).

سادساً: مكتبة الثقافة الإسلامية

صدر للسيد المدرسي في المسائل الثقافية ما يأتي:

- ١ - الفكر لا المدفع (١٣٩٣).
- ٢ - الإسلام ثورة اقتصادية (١٣٩٣هـ).
- ٣ - الزلزال الثقافي قبل الثورة الشاملة (١٤٠٢هـ).

- ٤- عن الإعلام والثقافة الرسالية (١٤٠٥هـ).
- ٥- هكذا يتحدى الفكر الإسلامي (١٤٠٦هـ).
- ٦- كيف نقهر التخلف الحضاري؟ (١٤٠٧هـ).
- ٧- الإسلام ثقافة الحياة (١٤١٨هـ).
- ٨- لنكون خير أمة (١٤٢٠هـ).
- ٩- لكي نواجه النفاق (١٤٢٠هـ).
- ١٠- على طريق الوحدة (١٤٢٠هـ).
- ١١- الإسلام حياة أفضل (١٣٢٢هـ).
- ١٢- الابتلاء مدرسة الاستقامة (١٤٢٣هـ).
- ١٣- معالم التربية الإسلامية (١٤٢٣هـ).
- ١٤- لنكن من التائبين (١٤٢٦هـ).
- ١٥- الإنسان وآفاق المسؤولية (١٤٢٨هـ).

سابعاً: مكتبة العمل الإسلامي

كتب السيد المدرسي عن الحركة الإسلامية ودورها الحقيقي في العالم انطلاقاً من تجربته الميدانية القيادية في مجال العمل الرسالي، ومعايشته للكثير من التحولات في مجال الحركات الإسلامية في العالم المعاصر، نشير إلى عدد من كتبه في هذا المجال:

- ١- العمل الإسلامي (ثلاثة أجزاء) (١٤٠٥هـ).
- ٢- البعث الإسلامي (١٤٠٤هـ).
- ٣- آفاق الحركة الإسلامية (١٤٠٥هـ).
- ٤- مستقبل الثورة الإسلامية (١٤٠٨هـ).

- ٥- الجهاد حصن الاستقلال (١٤٠٧هـ).
 - ٦- عن العراق والحركة الإسلامية (١٤٠٨هـ).
 - ٧- العراق ثورة تنتصر (١٤٠٦هـ).
 - ٨- الوعي الإسلامي (١٤١٠هـ).
 - ٩- التحدي الإسلامي (١٤١٠هـ).
 - ١٠- تأملات في مسيرة الحركة الإسلامية (١٤١٠هـ).
 - ١١- النهج الإسلامي (١٤١١هـ).
 - ١٢- الانتفاضة الشعبانية في العراق، الأسباب والنتائج (١٤١١هـ).
 - ١٣- معالم على طريق الخلاص (١٤١٢هـ).
 - ١٤- هكذا نبني عراق الغد (١٤١٣هـ).
- كما ألف كتباً أخرى ناقش فيها مختلف القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية والتربوية، وعالج في قسم منها الأوضاع السياسية القائمة في العالم الإسلامي، وهي على النحو الآتي:
- ١- ميلاد الأمة الإسلامية متى وكيف؟ (١٤٠٢هـ).
 - ٢- النظام الفكري للمجتمع الإسلامي (١٤٠٦هـ).
 - ٣- نعم لحركات الاصطدام (١٤٠١هـ).
 - ٤- هكذا نحول المأساة إلى انتصار (١٤٠٧هـ).
 - ٥- هكذا انتظر الإمام الحجة (عج) (١٤٠٦هـ).
 - ٦- كيف نواجه التحديات المضاعفة (١٤٠٧هـ).
 - ٧- أضواء على أزمة الخليج (١٤١١هـ).
 - ٨- رؤى في التغيير والانفتاح (١٤١٠هـ).

- ٩- شهر رمضان معراج المؤمنين (١٤٠٧هـ).
- ١٠- العقل دليل التوحيد (١٤٠٩هـ).
- ١١- كل الحراب ضد الطاغوت (١٤٠١هـ).
- ١٢- كلمتان.
- ١٣- كيف انطلقت الثورة الإسلامية في إيران ولماذا؟ (١٤٠٠هـ).
- ١٥- كيف تكون القيادة الرسالية (١٤٠١هـ).
- ١٦- كيف تتنصر الثورة الإسلامية في إيران؟ (١٤٠٥هـ).
- ١٧- كيف نتحدى التبعية والتخلف؟ (١٤٠٧هـ).
- ١٨- كيف نحقق ثبات النفس؟ (١٤٠١هـ).
- ١٩- كيف نغتني الفرص؟ (١٤٠٥هـ).
- ٢٠- كيف يقاوم المظلوم سلطات الظالمين؟ (١٤٠١هـ).
- ٢١- لكي نلبي نداء الحسين (١٤٠٧هـ).
- ٢٢- المجاهدون وحب المجتمع (١٤٠٦هـ).
- ٢٣- المجاهدون ومغفرة الله (١٤٠٦هـ).
- ٢٤- المجاهدون ومعرفة الله (١٤٠٦هـ).
- ٢٥- مراحل الثورة (١٤٠١هـ).
- ٢٦- مستقبل الثورة الإسلامية (١٤٠٥هـ).
- ٢٧- المسجد منطلق الثورة الرسالية (١٤٠١هـ).
- ٢٨- مسؤوليتنا تجاه الاعلام الثوري (١٤٠٦هـ).
- ٢٩- الصحافة تحاور العلامة المدرسي (١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ).
- ٣٠- الصراع مع الجاهلية ضرورة حياتية (١٤٠١هـ).

- ٣١- الطريق إلى النصر.
- ٣٢- عاشوراء ملحمة البطولة والفداء (١٤٠٩ هـ).
- ٣٣- عاشوراء ثانية في إيران (١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ).
- ٣٤- العراق إلى أين؟ (١٤٠٤ هـ).
- ٣٥- العراق بين ولاية الله ورايات الجاهلية (١٤٠٢ هـ).
- ٣٦- العزة الإيمانية حصن الاستقلال (١٤٠٦ هـ).
- ٣٧- عالمية الثورة الإسلامية (١٤٠٢ هـ).
- ٣٨- فاطمة الزهراء رائدة الثورة الرسالية (١٤٠١ هـ).
- ٣٩- الفاعلية التي تسقط الطاغوت (١٤٠١ هـ).
- ٤٠- في السلوك الرسالي.
- ٤١- في لبنان ندفع ثمن تخلفنا (١٤٠٢ هـ).
- ٤٢- قوم يونس تجربة التوبة المقبولة (١٤٠١ هـ).
- ٤٤- حزب البعث الفتنة أشد من القتل (١٤٠٢ هـ).
- ٤٥- حضارتنا في عصر البترول (١٣٩٨ هـ).
- ٤٦- حضارة بلا مصير (١٣٩٨ هـ).
- ٤٧- حضارة في بيت العنكبوت (١٣٩٨ هـ).
- ٤٨- حوار مع العلامة المدرسي حول العراق - لبنان - مصر (١٤٠٢ هـ).
- ٤٩- الخطط الجديدة للاستكبار العالمي (١٤٠٦ هـ).
- ٥٠- خلايا المقاومة الرسالية (١٤٠١ هـ).
- ٥١- الدعاء معراج روحي ومدرسة تربوية (١٤٠١ هـ).
- ٥٢- دماء القادة ضهان لخط الثورة (١٤٠١ هـ).

- ٥٣- الديمقراطية في مفهوم الطغاة (١٤٠١هـ).
- ٥٤- رسالتنا في شهر رمضان (١٤٠٤هـ).
- ٥٥- الرسالي بين صدق العمل وقوة التوسل (١٤٠١هـ).
- ٥٦- رسالة السماء لا ثقافة الشعراء (١٣٠٣هـ).
- ٥٧- رمضان مدرسة الإنسان الحكيم (١٣٩٨هـ).
- ٥٨- رؤى إسلامية في العمل الثوري (١٤٠٦هـ).
- ٥٩- السبيل إلى تعبئة الخبرة الإسلامية (١٤٠٢هـ).
- ٦٠- سحرة الأنظمة بين دعوة موسى وإرهاب فرعون (١٤٠١هـ).
- ٦١- سنة الله في بوار الظالمين (١٤٠٦هـ).
- ٦٣- تجارب رسالية (١٤٠١هـ).
- ٦٤- التحدي بين الموت والشهادة (١٤٠٦هـ).
- ٦٥- التواصل الثوري لماذا؟ وكيف؟ (١٤٠٦هـ).
- ٦٦- الثائرون من أجل القيم (١٤٠١هـ).
- ٦٧- الثقافة التبريرية أرضية الفساد (١٤٠٢هـ).
٦٨. ثمن الحرية ندفعه بالدم (١٤٠٢هـ).
- ٦٩- ثورة الإمام الحسين أهدافها - أبعادها - دورها (١٣٨٨هـ).
- ٧٠- الثورة بين الرؤية المثالية والنظرة الواقعية (١٤٠٦هـ).
- ٧١- ثورة الحسين تجسيد رسالة النبي ﷺ (١٤٠٧هـ).
- ٧٢- الحج دعوة للتطوير الحضاري (١٤٠٦هـ).
- ٧٣- حرب الاستقلال ومنهجية العمل الثوري (١٤٠٦هـ).
- ٧٤- الحركات الإسلامية بين الصراع والتنافس (١٤٠١هـ).

- ٧٥- الحركة الإسلامية الواحدة والمؤامرات المضادة (١٤٠١ هـ).
- ٧٦- الحركة الإسلامية بين التمني والسعي (١٤٠٦ هـ).
- ٧٧- الحركة الإسلامية في العراق مشاكلها وحلولها (١٤٠٦ هـ).
- ٧٨- الحركة الإسلامية بين الشورى والتحزب (١٤٠٢ هـ).
- ٧٩- الإمام الحسين عليه السلام (١٤٠٦ هـ).
- ٨٠- الإمام علي قدوة الهدى والاستقامة (١٤٠١ هـ).
- ٨١- الأمة الإسلامية تقاوم تحديات الجاهلية (١٤٠٢ هـ).
- ٨٢- الأمة الإسلامية ومسؤوليتها تجاه الطليعة (١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ).
- ٨٣- الأمة بين القيادة الرسالية والقيادة المزيفة (١٤٠٦ هـ).
- ٨٤- انتصارات الفاو والإعلام المضاد (١٤٠٦ هـ).
- ٨٥- الإيمان بالله حياة وأمل (١٤٠٢ هـ).
- ٨٦- الإيمان بالله وإصلاح النواقص الذاتية (١٤٠٦ هـ).
- ٧٨- الإيمان منطلق الحركة الرسالية (١٤٠٢ هـ).
- ٨٨- الإيمان والحضارة (١٣٩٣ هـ).
- ٨٩- بالسيف نقاوم الاموية الجاهلية في العراق (١٤٠٦ هـ).
- ٩٠- بالوحدة الرسالية نتحدى الصلح الطاغوتي (١٤٠١ هـ).
- ٩١- البعد الحضاري للحركات الإسلامية (١٤١٠ هـ).
- ٩٢- أساليب الاستعمار في ترويض الشعوب (١٤٠٦ هـ).
- ٩٣- الاستقامة في طريق النصر (١٤٠١ هـ).
- ٩٤- الإسلام المحارب في بلاده (١٤٠٤ هـ).
- ٩٥- الإمامة الإسلامية منهج حركي ونظام سياسي (١٤٠٢ هـ).

- ٩٦- الإمام الحسين قائد المسيرة المقدسة (١٣٩٣هـ).
- ٩٧- الإمام الحسين مسيرة ثورية وهدف مقدس (١٤٠٥هـ).
- ٩٨- الإمام الحسين يقظة الروح ومصباح الهدى (١٤١٢هـ).
- ٩٩- الانتفاضة الشعبية في العراق (١٤٠٩هـ).
- ١٠٠- أحكام الإسلام.
- ١٠١- البيان الإسلامي.
- ١٠٢- التاريخ الإسلامي الصغير.
- ١٠٣- الإنسان آفاق المسؤولية.
- ١٠٤- على طريق الحضارة.
- ١٠٥- كيف نبني حضارتنا الإسلامية.
- ١٠٦- قيم التقدم في المجتمع الإسلامي.
- ١٠٧- القيادة السياسية في المجتمع الإسلامي.
- ١٠٨- شهر رمضان بصائر وأحكام.
- ١٠٩- على أبواب الآخرة.
- ١١٠- تأملات في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام.
- ١١١- خصال الإيمان.
- ١١٢- الإسلام حياة أفضل.
- ١١٣- الابتلاء.
- ١١٤- معالم الحضارة.
- ١١٥- الأخلاق.
- ١١٦- رؤى في طريق العودة.

١١٧- رسالة عاشوراء.

١١٨- فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية (١٤٢٤هـ).

١١٩- الحكم الإسلامي في مدرسة الإمام علي عليه السلام (١٤٣١هـ).

ثامناً: المكتبة الصوتية

لقد حفظت له المكتبة الصوتية أكثر من (٣٠٠٠) شريط على جميع الأصعدة الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية للأمة، وأبرز ما حفلت به المكتبة الصوتية:

- * دروس تفسير القرآن - وتشمل كل سور القرآن الكريم.
- * دروس في خارج الفقه والأصول (باللغة العربية).
- * دروس في خارج الفقه - دورة كاملة - (باللغة الفارسية).
- * دروس في التدبر يلقيها في شهر رمضان سنوياً، يحضره جمع غفير من العلماء وطلبة العلوم الدينية، وبدأت عام ١٤٠١هـ، وما زالت حتى يومنا هذا.

* تأملات في رسالة الحقوق.

* الدعاء معراج الروح.

* التاريخ الإسلامي.

* التمدن الإسلامي.

* المجتمع الإسلامي.

فضلاً عن مئات المحاضرات العامة، إذ أُلقيت في المناسبات المختلفة.

السلوك السياسي للمرجع المدرسي داخل العراق وخارجه

بوصف السيد المدرسي زعيماً سياسياً ومفكراً إسلامياً ومنظراً حركياً فقد تجلّت زعامته السياسية في تصديه للعمل في مختلف الأبعاد للقضية العراقية، سواءً عبر تأسيس واجهات سياسية أم على شكل إرشاد وتوجيه معارضة للنظام، ولمعرفة سلوكه السياسي داخل العراق وخارجه تطلب تقسيم المبحث على أربعة مطالب أساسية، وهي كالآتي:

المطلب الأول: السلوك السياسي للسيد المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٣٨٨هـ - ١٣٩٩هـ)، (١٩٦٨م - ١٩٧٩م).

المطلب الثاني: السلوك السياسي للسيد المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٣٩٩هـ - ١٤٠٧هـ)، (١٩٧٩م - ١٩٨٧م).

المطلب الثالث: السلوك السياسي للسيد المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٤٠٧هـ - ١٤١١هـ)، (١٩٨٧م - ١٩٩١م).

المطلب الرابع: السلوك السياسي للسيد المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٤١١هـ - ١٤٣٤هـ)، (١٩٩١م - ٢٠١٣م).

المطلب الأول: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٣٨٨هـ - ١٣٩٩هـ)، (١٩٦٨م - ١٩٧٩م)

يؤكد السيد المدرسي على عوامل عدة أسهمت في انقلاب عام (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) بعضها عوامل إقليمية وأخرى محلية، ومنها^(١):

- ١- هزيمة الجيوش العربية في حرب (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).
- ٢- بروز ونمو الحركة الإسلامية في العراق.

إن الحركات الإسلامية في العراق قد استعادت نشاطها وحيويتها بعد ثورة ١٤ تموز، وكان من المتوقع أن تقوم هذه الحركات بدور قيادة الشعب لتحقيق مطالب عادلة ومشروعة.

وكانت من مظاهر قوة التيار الديني الاحتفالات الجماهيرية الواسعة التي تُقام في المناسبات الدينية، ففي كربلاء المقدسة على سبيل المثال تشهد في مولد الإمام علي عليه السلام في الثالث عشر من شهر رجب حضوراً جماهيرياً واسعاً من كل محافظات العراق، وهكذا في النجف الأشرف في مولد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان، هذا فضلاً عن الحركة الاجتماعية الناشطة، سواء من تشكيل المؤسسات الخيرية ذات النفع الاجتماعي أم المتدييات الأدبية والثقافية التي تؤكد وجود صورة مناقضة للنظام السياسي الحاكم.

إن هذه القوة في التيار الديني في العراق تزامنت مع ضعف نظام عبد الرحمن عارف الذي كان من الممكن أن يهتز لأية بادرة من هذا التيار، ولأجل هذا الوضع الداخلي بما يحويه من قوة في التيار الديني والمصلحة الخارجية المرتبطة بوضع الصراع العربي - الإسرائيلي، عمدت القوى الخارجية إلى تغيير نظام عبد الرحمن عارف، وكانت النتيجة مجيء حزب البعث إلى السلطة، وبعد أن بدأ

(١) عبد الغني عباس، مصدر سابق، ص ١٦٢.

حزب البعث مرحلة السيطرة على السلطة كان من أولى اهتماماته -وفقاً لرأي السيد المدرسي- هو القضاء على المرجعية الدينية، وهذا بالطبع يعني إعلان الحرب على الدين وعلى من يمثلونه، وبالأخص الحركات الإسلامية^(١).

وقد قام النظام بخطوات عدة في هذا المجال، فعمد إلى سياسة النيل من المرجعية الإسلامية التي كانت متمثلة آنذاك في السيد محسن الحكيم^(٢).

واعتقل عبد العزيز البديري^(٣) وجماعة كبيرة من المؤمنين والحركيين في عام (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، وتواصلت حملة الإعدامات فقد طالت عدد من العلماء عام (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، وهي مجموعة الشيخ عارف البصري^(٤)، وتلت ذلك موجة تصفيات وتسفير لأبناء الحركة الإسلامية^(٥).

واتجاه هذا التصعيد من حزب البعث، قام علماء الدين بأدوار رائدة في مقابلة هذا التصعيد، وكان من أبرز هؤلاء السيد حسن الشيرازي الذي حمل على عاتقه فضح هذا النظام، وتحرك لإيجاد برنامج عمل جدي لإسقاطه، معتمداً على تشكيل جبهة عريضة ضد النظام تشمل الحركيين بمختلف توجهاتهم وأبناء المرجع الحكيم، لا سيما وأن العلامة السيد محمد مهدي الحكيم كان يقوم بدور

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٦٤.

(٢) محمد باقر الحكيم، نظرية العمل السياسي عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر في مجموعة باحثين، (الإمام الشهيد محمد باقر الصدر (سمو الذات وخلود العطاء)، كتاب المنهاج، ط ١، بيروت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠م)، ص ٢٤٢.

(٣) الشيخ عبدالعزيز البديري: أحد علماء السنة البارزين الذين عارضوا حزب البعث في العراق، واستشهد تحت التعذيب في سجون بغداد عام ١٩٦٩م.

(٤) الشيخ عارف البصري: أحد علماء الدين المجاهدين، استشهد عام ١٩٧٥م مع عدد من المؤمنين الدعاة، وهم: السيد عز الدين القبانجي، السيد نوري طعمة، السيد عماد التبريزي، وحسين جلوخان، بعد أن قضوا رداً من الزمن تحت التعذيب في سجون السلطة.

(٥) توفيق الشيخ، عن العراق والحركة الإسلامية (حوارات مع العلامة محمد تقي المدرسي)، ط ١، لندن، الصفا للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٧.

رائد في النجف الأشرف في تصديه للنظام غير أن النظام لاحق هاتين الشخصيتين مما اضطرهما إلى هجرة العراق ومواصلة مشوار المعارضة من الخارج^(١).

كان دور المدرسي خلال هذه المرحلة يتواصل مع الجهاز المرجعي المتمثل في السيد محمد الشيرازي، الذي أوجد في كربلاء المقدسة، وبالحصوص في الحوزات الدينية، نشاطات جهادية وسياسية جعلها سباقة على صعيد الحوزات في هذا التحرك، تحرك البناء الذاتي والمواجهة السياسية^(٢).

وبعد اعتقال السيد حسن الشيرازي كان السيد المدرسي يمارس أنواع الضغوط كافة السياسية والاجتماعية من أجل إجبار النظام على إطلاق سراح العلماء المعتقلين، وتحت هذه الضغوط اضطر النظام للإفراج عنهم، حتى أن السيد الشيرازي أطلق سراحه بعد ستة أشهر بعد أن حُكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، غير أن دور السيد المدرسي كان أكبر من ذلك وأعمق، حيث عمل على توضيح معالم نظرية سياسية في مواجهة النظام بعد أن كانت المواجهة تقليدية، بمعنى أن الشعب كان معارضاً للنظام، وإيماناً منه بأن مواجهة هذا النظام لا يمكن أن تتم إلا ببناء تحتي مركّز، فقد دأب على العمل في أوساط المثقفين العراقيين والجامعيين بالذات، فعقد الكثير من ندوات الحوار والجلسات من أجل توضيح معالم المواجهة الشاملة بين التيار الإسلامي والنظام القائم، ومن ثمّ اتخذ التدابير اللازمة، فكان هدفه من هذه الخطوات بناء الشخصية المؤمنة المؤهلة لمرحلة المواجهة.

فضلاً عن هذا الدور كان السيد المدرسي يُشرف شخصياً على العديد من الإصدارات الثقافية، من المجلات والصحف والمنشورات والكراسات، مثل إشرافه على سلسلة (منابع الشخصية الإسلامية) التي تُصدر شهرياً كتاباً إسلامياً، أو إصداره كتاب (مع الرسل على الطريق الشائك) الذي كتبه وهو في

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٨.

(٢) هيثم غالب الناهي، خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية، ط ١، لندن، الدار الأندلسية، د. ت، ص ٢٧٧.

السابعة عشر من عمره، ويؤكد فيه على ضرورة التحرك والجهاد^(١).

ونظراً لدوره الفعّال دأبت السلطة العراقية على ملاحقته ومطاردته حتى هاجر من العراق إلى الكويت عام (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، وبدأ من هناك إدارة العمل في الداخل على اختلاف أشكاله، وكان إذا استلزم الأمر زار العراق متخفياً في كثير من الأحيان^(٢).

إذن يمكننا أن نُعبّر عن نشاطات السيد المدرسي في هذه المرحلة بأنها نشاطات ثقافية تنظيمية سياسية، أما العمل السياسي فقد تجسّد في طرح النظرية السياسية الإسلامية وتوضيح معالمها والعمل من أجل تنفيذها على الأرض، والنشاط التنظيمي المتمثل في العمل التربوي وبناء كيان مكون من خلايا متعددة موجهة بنمط حركي خاص، يعتمد على ثقافة خاصة تنسجم مع روح الدين وحالة المعارضة السياسية، هذه الحالات شكّلت فيما بعد البذور الأولى لتشكيل منظمة العمل الإسلامي في أواسط عقد السبعينات.

لكن هذا النشاط السياسي والتنظيمي - كما يرى السيد المدرسي - لا يمكن أن يتم دون تأسيس تيار ثقافي يؤمن بثقافة خاصة، وقد استطاع السيد المدرسي بلورة ثقافة خاصة بالخط الحركي العامل، وهذه الثقافة بالطبع تعود في جذور كثيرة منها إلى معالم المدرسة الفكرية التي يميّز بها السيد كما ذكرناها في المبحث الثاني، إلّا أن ما يهمننا في هذه المرحلة هو أن نُبيّن أن السيد المدرسي قد اتّبع أسلوبيين متوازيين من أجل بلورة هذا الاتجاه الفكري، بناءً على إيمانه أن رسالات الله عز وجل جاءت لتهدم بناء وتبني بناءً آخر على أنقاضه، فهي حركة نحو البناء البناء أيضاً ولا تقتصر على إزالة الرواسب والقناعات الخاطئة، بل تتعداه إلى الطموح في إقامة نظام حياتي متكامل قائم على أساس العقل المستنير بالوحي،

(١) توفيق الشيخ، المصدر السابق نفسه، ص ١٠ - ١١.

(٢) عبدالغني عباس، المصدر السابق نفسه، ص ١٦٦ - ١٦٧.

وإيماناً من السيد المدرسي بهذه الفكرة اتّبع هذين الأسلوبين^(١):

الأسلوب الأول: أدرك المدرسي ضرورة القيام بعملية تأصيل للثقافة الإسلامية من أجل إثبات أن للإسلام نظرات عميقة وعصرية يستطيع بها المسلمون مواكبة هذه الأطروحات الثقافية^(٢)، فدأب السيد المدرسي في الحديث عن (المنطق الإسلامي: أصوله ومناهجه) و(القيادة الإسلامية).

الأسلوب الثاني: أما الأسلوب الآخر الذي توجّه إليه السيد المدرسي فكان هدم القناعات التي لا تمتُّ للإسلام بصلة، والكشف عن جذورها ودوافعها ومن ثم فضحها أمام الملأ وتوضيح المنظومة الحقيقية للفكر الإسلامي بلحاظ العصر الراهن، وفي هذا المجال صدرت دراسة في أوائل السبعينات باسم (الثقافة الرسالية) استلهاً من فكر السيد المدرسي، وكانت هذه الدراسة نقد اجتماعي لاذع وعنيف للمتبنيات الفكرية التي تركز عليها شخصية الإنسان المتخلف.

ولعل من نافلة القول فإن دور السيد المدرسي في هذه المرحلة هو دور ثقافي تنظيمي سياسي تميّز بطرح نظرية سياسية إسلامية في المعارضة والتحرك^(٣).

المطلب الثاني: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٣٩٩هـ - ١٤٠٧هـ) (١٩٧٩م - ١٩٨٧م)

شهدت بداية هذه المرحلة حدثاً إقليمياً ودولياً مهماً، كان له الأثر الأكبر في تبديل مسيرة التيار الديني في عموم المنطقة، وهذا الحدث هو انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وهذا الانتصار عُدَّ أكبر تطور شهده هذا التيار^(٤)، وتتابعت

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٦٧ - ١٧١.

(٢) محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي، أصوله ومناهجه، ط ١، طهران، دار محبي الحسين ع، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ١١.

(٣) محمد تقي المدرسي، الثقافة الرسالية، ط ١، طهران، دار محبي الحسين ع، ١٩٧١م، ص ١.

(٤) محمد أمين شبر، محمد باقر الصدر، المواجهة والشهادة، ط ١، د.م، ٢٠٠١م، ص ١٤٨ - ١٤٩.

إنجازات التيار الديني بعدئذ في عموم الوطن الإسلامي، ولعل أهم إنجاز كان الصحوة الإسلامية التي لم تكن وليدة ساعتها وبنّت لحظتها الراهنة، وإنما ثمرة نشاط إسلامي لمصلحين وكثير من رجالات الحركة الإسلامية^(١).

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران توثقت علاقة السيد المدرسي بالشخصيات الإيرانية العاملة في مجال التغيير الرسالي بشكل أكبر، كما كانت له اسهامات كثيرة في دعم الصحوة الإسلامية التي عمت المنطقة ومساندة رجالها خارج إيران، وبعد الثورة بأربعة أشهر هاجر السيد المدرسي مع خاله السيد الشيرازي إلى إيران، وقد اتخذها منطلقاً جديداً لتحركاته الجهادية وأعماله الرسالية لتغيير الأوضاع في العراق والمناطق الإسلامية الأخرى^(٢).

وبعد قيام الحرب بين العراق وإيران عام (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) التي تعد أطول حرب إقليمية حدثت في التاريخ، وبعد أن تسلّم صدام حسين رئاسة الجمهورية في العراق، دأب السيد المدرسي على توضيح حقيقتين مهمتين عن الواقع السياسي للعراق آنذاك، تتلخص بالآتي^(٣):

أولاً: إن الحكم في العراق لم يتبلور في أجواء الحرية والديمقراطية، وإنما ظهر إلى الساحة السياسية بواسطة انقلاب عسكري بقيادة أحمد حسن البكر ونائبه آنذاك صدام حسين، ومنذ السابع عشر من تموز وقت الانقلاب لم توجد في العراق أية انتخابات حرة أو نزيفة يستطيع فيها الشعب تقرير نظامه السياسي.

ثانياً: إن هذا النظام لم يحترم حقوق الإنسان، وأي حق أهم من حق الحياة عند الإنسان؟! فقد أصبح من السمات البارزة لهذا النظام إراقة الدماء.

وانطلق المدرسي في تقييم هذه المرحلة الحساسة التي يعيشها الشعب

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) بلا مؤلف، المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٨٣.

(٣) عبدالغني عباس، مصدر سابق، ص ١٧٥.

العراقي والحركة الإسلامية من فكرة المناسبة بين الرد وبين التصعيد الشامل الذي اتخذته النظام استراتيجية ثابتة له، فجاءت منظمة العمل الإسلامي^(١) التي تسترشد به فكراً وسياسة، والتي تشكلت في أواسط السبعينيات^(٢).

في هذا المجال قامت المنظمة «بعشرات العمليات داخل العراق وخارجه»^(٣)

(١) عبد الغني عباس، مصدر سابق، ص ١٧٩.

(٢) توفيق الشيخ، عن العراق والحركة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٠.

(٣) تعد منظمة العمل الإسلامي من المنظمات التي اتّسمت بالعمل المستمر والجاد، إذ تحركت ضد نظام صدام بضرب أعوانه وأماكن النظام، وتعد المنظمة أول من بدأ العمل المسلح في العراق من بين العديد من الأحزاب المعارضة للنظام، والكفاح المسلح من وجهة نظر المنظمة هو وسيلة وليس هدفاً، كونها تؤمن بأن الملايين من العراقيين غير راضين على أعمال وممارسات النظام؛ لذلك أرسلت المنظمة خير شبابها إلى لبنان للتدريب، فجاءت ثمرة ذلك النضال عدة أعمال:

أ- داخل العراق:

- ١ - عملية العاشر من محرم - ١٩٧٩ م.
- ٢ - عملية الجامعة المستنصرية - ١٩٨٠ م.
- ٣ - مقر شعبة فضوة عرب - شارع الكفاح - ٩ - ٨ - ١٩٨٢ م (الاثنين).
- ٤ - عملية مكتب الخطوط الجوية العراقية ٢٨ - ٣ - ١٩٨٣ م (الثلاثاء).
- ٥ - عملية دار الحرية للطباعة والنشر - ٥ - نيسان - ١٩٨٣ م.
- ٦ - عملية مقر الأمن العامة - ٢٧ - ١١ - ١٩٨٣ م.
- ٧ - عملية مقر الجيش الشعبي في الزعفرانية - ٦ - ٧ - ١٩٨٤ م.
- ٨ - عملية وزارة الدفاع - ٦ - ٤ - ١٩٨٥ م.
- ٩ - عملية المجمع العسكري للاستثمارات العسكرية في الأندلس - ١٦ - حزيران - ١٩٨٥ م.

ب- خارج العراق:

- ١ - عملية السفارة العراقية - ١٩٨٠ م في روما الاثنين ٦ - تموز - ١٩٨٠ م.
 - ٢ - عملية السفارة العراقية - في باريس - ١١ - ٨ - ١٩٨٢ م الاربعاء.
 - ٣ - عملية السفارة العراقية - في بانكوك - ٢ - ٢ - ١٩٨٢ م الخميس.
 - ٤ - عملية مكتب الخطوط الجوية العراقية في قبرص - ٢٧ - ١١ - ١٩٨٣ م.
 - ٥ - محاولة إجراء عملية السفارة العراقية في أثينا - ١٩٨٤ م.
- للمزيد راجع:

من أجل تقليل تصعيد النظام ومن أجل كسر حاجز الخوف عند الشعب العراقي، ولقد أدّت هذه الاستراتيجية دوراً كبيراً لا يمكن أن يُنكر على ساحة العراق وخارجه، لا سيما وأنها أوصلت ظلامه الشعب إلى مسامع الرأي العام العالمي،

في هذا الوقت كان المدرسي يُراقب عن كثب ما يجري داخل العراق، وعادة ما يتطرق في خطابه الأسبوعية المستمرة عن التطورات الواقعة، وعن واجب العراقيين بالتحديد، وعن متطلبات المرحلة التي يعايشونها، ونستطيع أن نقول: إن المدرسي وزّع جهوده باتجاهين مهمتين^(١):

– الاتجاه الأول: كان يُوجّه فيه نداءاته دائماً باتجاه جماهير الشعب العراقي لرفع العوامل الذاتية والموضوعية التي أدّت بهم إلى هذا الحد إذ يركز على نقطتين مهمتين:

١ – عامل الانتظار: يرى السيد المدرسي أن الانتظار بحد ذاته أمر مهم لأية حركة إسلامية معارضة، لكن المشكلة أن يتحول هذا الانتظار إلى عامل للجمود وانعدام الحركة.

لذلك يؤمن المدرسي بأن القضية ليس قضية شخص بل قضية شعب بأكمله، ولا بدّ لهذا الشعب أن يواجه النظام؛ إذ إن (الجهاد) تكليف عيني على الكل، كل حسب موقعه واستطاعته ليبقى الشعب حرّاً كريماً يتمتع بحقوقه

– صحيفة العمل الإسلامي، العدد ٤٠، ص ٩.

– أكرم ناصر عبدالحسين العقابي، منظمة العمل الإسلامي في العراق وتطورها الفكري، ١٩٦٧ – ١٩٩٢، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م)، صفحات متعددة.

– بلا مؤلف، منظمة العمل الإسلامي، كراس خاص، ص ٣ – ٦.

– إبراهيم المطيري، في رحاب الوعي، ص ٧.

– منظمة العمل الإسلامي في العراق، السيرة، التأسيس، الأهداف، كراس خاص، ص ٢٠.

(١) رسول محمد رسول، الإسلام السياسي في العراق الملكي، ط ١، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٩.

المشروعة كافة.

٢- الجمود الفكري وانعدام الإبداع: إن الجمود الفكري وانعدام الإبداع أمام الابتكارات المستمرة والأساليب المتطورة التي يبتكرها الآخرون من أجل توظيف ثرواتنا واستثمار جهودنا سبب مهم في تفوق الشعوب علينا، يرجع السيد المدرسي انعدام الإبداع هذا إلى استلاب الشخصية العراقية الذي مارسه نظام صدام لمدة طويلة إذ أفقد العراقيين ثقتهم بأنفسهم.

لقد حرص المدرسي في توجهاته الفكرية على بناء إنسان عراقي حيوي ويتحرر من الانعزال، إذ إن هذا الانعزال جاء على ثلاثة أشكال^(١):

- ١- تفكير العراقي في أن يُبعد نفسه عن مثل هذه الأمور.
- ٢- الاعتقاد بأن الزمن أو حركة المعارضة العراقية هي كفيلاً بإطاحة نظام بغداد.

٣- الاعتقاد بأنه حتى لو سقط النظام فسوف يأتي نظام أسوأ منه، وهذا ما يروج له الإعلام العراقي.

لكن المدرسي يؤكد أن حركة المعارضة إذا استطاعت أن تُسقط النظام فإنها تستطيع أن تبني على أنقاضه نظاماً فاضلاً حسبما تريد.

- الاتجاه الثاني: اهتم المدرسي بالعمل على أصعدة فصائل المعارضة، إذ أكد على وحدة المعارضة العراقية، ولهذا دعا إلى القيادة الخماسية في أوائل عام (١٤٠٣هـ - ١٩٨٠م) المُشكَّلة منه ومن العلماء: الحكيم والهاشمي والأصفي والحائري، من أجل الاتفاق على تفاصيل الاستراتيجية النافعة للقضية العراقية، ويمكن تحديد معالمها في الأمرين الآتيين^(٢):

(١) عبدالغني عباس، مصدر سابق، ص ١٨٣.

(٢) بلا مؤلف، الصحافة تحاور المدرسي، ط ١، دار البصائر للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ص ٨٣ - ٨٤.

أولاً: الدعوة إلى العمل داخل العراق:

لقد دعا السيد المدرسي إلى العمل داخل العراق، وذلك لفصل جهود المعارضة العراقية في داخل العراق عن الجهد العسكري الإيراني، وتوضيح ما تقوم به المعارضة العراقية بوصفها حركة تحريرية تقود حرباً ضد نظام بغداد منذ مجيئه عام (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م)، لكن كما هو معروف، إن أصوات الصراع العسكري تغطي على جهود المعارضة؛ إذ إن المقارنة بين إمكانات الدولة الإيرانية وإمكانات المعارضة غير واردة، وفي هذه الحالة فإن فعالية الجهد العسكري بالبداية هو الذي يُقرّر مسار الحدث السياسي على رأي بعض وليس العكس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نظام بغداد خلط بين نشاطات المعارضة العراقية والجهد العسكري الإيراني، ووصفها إعلامياً وسياسياً خطوة واحدة موجهة ضده، واعتماداً على هذه الرؤية كان السيد المدرسي يؤكد دائماً أن الجهد العسكري ليس بديلاً عن جهود المعارضة العراقية التي تستطيع القيام بطفرات نوعية داخل العراق من أجل إحداث تغيير حقيقي داخل العراق، ومن هذا المنطلق دعا السيد المدرسي إلى إعادة النظر في استراتيجية بعض والتوجه إلى العمل داخل العراق بوصفه الميدان الأول والاستراتيجي الذي لا يمكن التخلي عنه. وفي ضمن هذه الاستراتيجية يطرح ثلاث نقاط مركزية^(١):

أ- نقل جوهر التجربة الإسلامية في إيران إلى داخل العراق، لئلا يشتهه بنقل مظهر التجربة وشكلها عن نقل مضمونها؛ لأن المظهر والشكل راجع إلى المعطيات والأحوال الموضوعية.

ب- التركيز على الاستراتيجية التي تقصم ظهر النظام، فالتظاهرات والشعارات والمنشورات ليست كافية لإسقاط النظام، وإنما لا بد من الإسهام في نمو حالة ثورية تتحدى دكتاتورية النظام، تتسلح بالقوة ثم تنمو شيئاً فشيئاً حتى

(١) بلا مؤلف، الصحافة تحاور المدرسي، مصدر سابق، ص ١٠٤.

تصل إلى مرحلة تستطيع فيها كسر حاجز الخوف عند الجماهير، لتقوم هي باختيار الأسلوب الأمثل والممكن.

ج- دعم بناء قوة ذاتية داخل العراق، حتى تنمو وتتصاعد لكي تتحول إلى حركة جماهيرية عارمة، هذا المطلوب لا يلغي سائر الاستراتيجيات التي تتعجّل بإسقاط النظام، وهذه الاستراتيجية لا بدّ أن تنبع من واقع الشعب العراقي في الداخل، فهو مدعو إلى استعادة ثقته بنفسه وتعاونه مع الحركات الإسلامية من أجل إحداث تغيير نوعي في الداخل وبه أيضاً.

ثانياً: تحريك الساحة الجماهيرية:

التأكيد على حضور الجماهير العراقية في حلبة المواجهة مع النظام كان مدار سعي السيد المدرسي، وهذا التحرك -سواءً للجماهير في الداخل أم في الخارج- له إيجابيات كثيرة على مسيرة عمل المعارضة، فهو من جانب يبقي القضية العراقية حية في أذهان الناس وفي أجهزة العالم الإعلامية ليجعلها حاضرة أمام الجميع، وفي هذا المعنى دعا السيد المدرسي إلى مشاريع كثيرة تؤدي هذا الغرض، منها على سبيل المثال (مشروع أسبوع شهداء الإسلام في العراق)، و(يوم المجاهد العراقي)، و(أسبوع نصره للقضية العراقية)^(١).

إذن خلاصة هذه المرحلة التي بدأت عام (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) وانتهت بالتحديد في عام (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، إذ تأكدت قناعة لا غالب ولا مغلوب في الحرب العراقية - الإيرانية، حيث كان دور السيد المدرسي سياسياً بالدرجة الأولى، حيث سعى إلى الكشف عن سوء نظام صدام فضلاً عن تبني خيار العمل داخل العراق ودعوة الفصائل الأخرى إلى الاتفاق على هذه الاستراتيجية المركزية منذ بداية الثمانينات، وهو بهذا يؤكد ضرورة الفصل بين جهد المعارضة

(١) محمد تقي المدرسي، معالم على طريق الخلاص، ط ١، كربلاء المقدسة، مكتب آية الله المدرسي، ١٤١٢هـ، ص ١٤١.

وجهد إيران بوصفها دولة، وقد أكد أن الدور الأكبر هو دور العراقيين أنفسهم في إنقاذ بلدهم، ولهذا كان يسعى تحت عدة صور وأطر إلى ربط الجماهير العراقية بواقع العملية القائمة تمهيداً لمشاركتهم الفعلية في إسقاط النظام. كما تابع السيد المدرسي العمل على صعيد فصائل المعارضة العراقية من أجل وحدتها بالصورة الممكنة لمواجهة نظام صدام القمعي.

المطلب الثالث: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٤٠٧هـ - ١٤١١هـ) (١٩٨٧م - ١٩٩١م)

لم تُسفر السنوات الثمانية للحرب العراقية الإيرانية عن رجحان كفة أي الطرفين، إذ إن ميزان القوى العسكري لم يرجح لأي منهما حتى وافق الطرفان على قرار الأمم المتحدة رقم (٥٩٨)، القاضي بإيقاف الحرب وإجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين، وفي الوقت الذي خابت فيه آمال بعض فصائل المعارضة التي تصورت أن نهاية الحرب لن تأتي إلا بسقوط نظام بغداد الذي عدّ نفسه انتصر سياسياً وعسكرياً في تلك الحرب، واصل السيد المدرسي نشاطه السياسي والإعلامي والارتباط بالداخل العراقي، وكان يتنبأ بأن «نظام صدام الذي حصل على دعم وتشريف دولي لا نظير له طوال الحرب المفروضة وبعدها بقليل سيأتي عليه اليوم يفتضح فيه هذا النظام بالمقدار نفسه أيضاً إلى الحد الذي لن يقبل به أحد»^(١).

وبدأت بوادر تحقق هذا التنبؤ عندما تفاجأ العالم بدخول القوات العراقية الكويت عام (١٤١١هـ - ١٩٩١م) الذي رُفض من الدول العربية والإقليمية والدولية، ووصفت أطراف عديدة في النظام الدولي أن (نظام صدام هو مصدر الأزمات في المنطقة).

إن ما حدث في الكويت أوصل الشعب العربي والنظام الدولي بجميع

(١) محمد تقي المدرسي، معالم على طريق الخلاص، مصدر سابق، ص ٢٠٧.

أجنته إلى قناعة واضحة، وهذه القناعة هي أن نظام بغداد هو مصدر الأزمات الحقيقي في منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية التي تعد شريان التطور العالمي^(١).

وقبل أن ندخل في متطلبات هذه المرحلة فإننا لا بدّ أن نشير أولاً إلى السبب الأساسي وراء اشتعال الأزمة في الخليج أو ما يسمى بحرب الخليج الثانية، إن السبب الرئيس - كما يقول المدرسي - هو أن نظام بغداد كان يعاني من أزمة داخلية هي صراع طويل بين الشعب والحكم، وازدادت هذه الأزمة بعد انتهاء الحرب، حيث خرج العراق بديون متراكمة بلغت أكثر من ٨٠ مليار دولار، هذا يعني أن عائدات النفط العراقي تغطي فقط فوائد الديون^(٢)، هذا فضلاً عن الدمار والخراب الذي طبع ببصماته على كل ماضي العراق، خلال هذه المدة أكد السيد المدرسي على وحدة المعارضة العراقية استمراراً لجهوده خلال عقد الثمانينات، فلقد سعى إلى ترتيب البيت الإسلامي أولاً عبر تكثيف لقاءات القيادة الثلاثية المتمثلة في المدرسي والحكيم والآصفي، إذ أثمرت هذه الجهود عن تشكيل لجنة بين الأطراف المختلفة في المعارضة، ثم ابتعثت هذه اللجنة إلى سوريا لتبدأ مفاوضات مطولة مع سائر الأطراف الكردية والوطنية والشيوعية، والبدء بتشكيل جبهة موحدة عريضة لاستثمار الأوضاع الجديدة^(٣).

وهذا ما دفع المعارضة العراقية إلى تشكيل ميثاق مشترك اتفقت عليه جميع أطراف المعارضة من إسلاميين وعلمانيين ووطنيين، وأثمر عن تشكيل لجنة العمل المشترك التي تتكفل بتنسيق برامج عمل المعارضة لإسقاط النظام وتحديد

(١) هادي المدرسي، شخصية الطاغوت، دراسة في نمط العلاقة بين الحاكم والمحكوم في ظل الاستبداد (صدام نموذجاً)، ط ١، ١٤١٧هـ، قم المقدسة، دار البقيع للطباعة والنشر، ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨ - ٣٠.

(٣) عبد الجبار آل سيد جاسم الصافي، الكولات عاصمة العراق، ط ١، مؤسسة عاشوراء، ٢٠٠٤، صفحات متعددة.

العلاقة فيما بين هذه الأطراف بعدئذ^(١).

وبعد توقيع هذا الميثاق عقدت المعارضة العراقية مؤتمراً عاماً في بيروت حضرته سائر الأطراف بتاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٩٠ م (١٤١١هـ) تحت شعار «وحدتنا ضمانة لخلاصنا من الدكتاتورية وصيانة لوحدة وطننا وانتصار للبديل الذي يختاره شعبنا»^(٢).

ويرى السيد المدرسي أن خطوة المعارضة هذه كانت مبادرة طيبة قامت بها المعارضة العراقية، إذ يقول في هذا الشأن: «إن هذا التوافق يدرشن عصراً جديداً على العراق، حيث يستطيع فيه كل طرف تجاوز الخلافات الأيديولوجية وتركيز النظر على القيم الثابتة التي يشترك الجميع في تقديمها مع مراعاة المصالح الحقيقية لكل دون معارضتها للمصالح العام، ونرجو أن يكون هذا التوافق منطلقاً أساسياً في ولادة مجتمع جديد يعترف فيه الجميع بحقوق الآخرين، إن هذا التوافق يُشّر بولادة جديدة لعراق الإسلام وعراق القيم والحرية»^(٣).

إن الخطوة التالية التي كان يراها السيد المدرسي، بعد هذا التوافق لأطراف المعارضة، هي محاولة الضغط على النظام الدولي من أجل التفكير في جذر المشكلة التي جعلت الأوضاع تتدهور بهذه الصورة؛ إذ إن السبب في الواقع ليس غزو العراق للكویت فقط، وإنما جذر المشكلة يعود إلى وجود النظام السابق أصلاً، الذي تمّرس على الجريمة ونما على الديكتاتورية، وأي حل لهذه الأزمة يبقى معه النظام السابق لا يثمر حلاً حقيقياً، لأن حالة اللاتقّة سوف تبقى في المنطقة، ولأجل هذا الأمر يطالب المدرسي القوى الدولية والمجالس النيابية بعدة أمور^(٤):

(١) عبد الغني عباس، المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٩٨.

(٣) انظر: قاسم زين العابدين، الانتفاضة (حاضر العراق ومستقبله بنظر آية الله السيد محمد تقي المدرسي)، ط ٢، كربلاء المقدسة، مكتب آية الله المدرسي، ١٤١١ هـ، ص ١١٣.

(٤) محمد تقي المدرسي، للعراق كلمة، ط ١، دمشق، مكتب المدرسي، ١٩٩١ م، ص ١١ - ١٢.

- ١ - سحب الاعتراف بنظام بغداد والاعتراف بالمعارضة العراقية كممثل وحيد للشعب العراقي المقهور.
- ٢ - محاصرته سياسياً واقتصادياً ومنع وصول الإمدادات العسكرية إليه.
- ٣ - دعم المعارضة العراقية.
- ٤ - الاعتراف رسمياً بالمعارضة التي تمثل الأكثرية من أبناء الشعب.
- ٥ - مساعدة الهاربين من جحيم صدام.

وانتهت عملية عاصفة الصحراء بهزيمة عسكرية للقوات العراقية التي انسحبت من الكويت ولاحتقتها قوات التحالف داخل العراق في محاولة منها لتضعيف البنية التحتية لهذه القوة، لكن ما حدث في مسار هذه الأزمة وخلال الستة أشهر التي أعقبتها بالذات من إدخال صدام للعراق في حرب غير محسوبة العواقب فجر أسباب الرفض الكامنة في لا شعور الشعب العراقي، فجاءت الانتفاضة الشعبانية المباركة في أغلب محافظات العراق دلالة واضحة على الرفض، السيد المدرسي من جانبه يرى أن انتفاضة العراق وتداعياتها سوف تطيح بحكم صدام عاجلاً أم آجلاً، ولكن هذه الانتفاضة كان بإمكانها -كما يقول المدرسي- إسقاط نظام بغداد لكن كان هناك سبباً أساسياً منع ذلك، وهو أن النظام لا يزال يملك عاملاً داخلياً يمكنه من البقاء، يتمثل بوجود حزب متمرس في السلطة، وهذا الحزب يمتلك قوة الحرس الجمهوري التي لم تتضرر كثيراً خلال الأزمة الأخيرة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن دول التحالف لم تؤد دوراً أساسياً في التعجيل بإسقاط النظام، بسبب مخاوفها من حدوث فراغ سياسي في منطقة حساسة كالعراق ومن ثم في المنطقة، وأيضاً مساعدة هذه الانتفاضة سوف يؤدي -حسب هذا الزعم الدولي- إلى تعزيز المد الأصولي في الشرق الوسط.

ويؤكد السيد المدرسي أن المعارضة العراقية قامت بمجهودات إعلامية

وسياسية كبيرة من أجل تنفيذ هذا التخوف لإثبات أنها البديل الحقيقي والطبيعي لنظام بغداد، إلا أن ذلك لم يفلح في إقناع هذه القوى بإمكانية ذلك.

إن دور السيد المدرسي خلال هذه المدة كان واضحاً، فقد كان همّه الأكبر حماية الانتفاضة عبر دعمها ومن ثم استثمارها من المعارضة العراقية، وهذه الاستفادة تتجلى في أمرين:

١ - دعم الانتفاضة تعبويًا، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وفي هذا الصدد كان السيد المدرسي يشرف شخصيًا على التواصل مع داخل العراق من أجل القيام بعمليات الإمداد هذه، لا سيما بعد تدهور الحالة الاقتصادية والمعيشية، بسبب الحصار الغذائي المفروض.

٢ - النشاط الإعلامي والسياسي، ويستهدف طرح رؤية المعارضة العراقية وموقفها ومظلوميتها خلال المدة السابقة، ونظراً لدور السيد المدرسي المباشر في القضية العراقية فقد أجرى أكثر من سبعين لقاءً صحفياً مع مختلف الوكالات العالمية الأجنبية الإقليمية والإذاعات والصحف والمجلات^(١)، ولعل الهدف الأسمى من هذه الحوارات الصحفية كان إبراز وضع الشعب العراقي، وتوضيح الواجبات الرئيسة التي ينبغي أن يقوم بها النظام الدولي تجاه مأساة العراق، ولم يكتف بذلك وإنما قام بإرسال العديد من الرسائل والاقتراحات إلى رؤساء العالم، وإلى المنظمات الدولية وإلى المجالس النيابية من أجل إبقاء قضية الشعب العراقي حاضرة في الأذهان^(٢). والجدير بالذكر أن مكتب السيد المدرسي قام بجهود كبيرة في توزيع الخبر للوكالات العالمية كافة، حتى أيام الانتفاضة لم تكن تخلو أجهزة الإعلام العربية والعالمية من خبر أو حدث صادر من مكتبه وارد من داخل العراق.

(١) صدرت هذه الحوارات الصحفية في جزأين هما (أضواء على أزمة الخليج) و(الانتفاضة الشعبية في العراق الأسباب والنتائج).

(٢) محمد تقي المدرسي، معالم على طريق الخلاص، مصدر سابق، صفحات متعددة.

المطلب الرابع: السلوك السياسي للمرجع المدرسي خلال المرحلة الممتدة بين عامي (١٤١١هـ - ١٤٣٤هـ)، (١٩٩١م - ٢٠١٣م)

أوجدت الانتفاضة الشعبانية فرصة سانحة لتغيير نظام بغداد والتعويض عنه بنظام بديل لا يحدث أي توتر وأزمات مستقبلية في المنطقة.

ولكن مع ذلك برزت على السطح مخاوف من مستقبل العراق السياسي، ولرد هذه المخاوف يقول السيد المدرسي: «إن النظام الحالي أسوأ من كل بديل، ولا يمكن بأي حال من الأحوال قياسه ببديل يعمل لصالح العراق ولصالح المنطقة وسلامتها»^(١). ومن أجل إثبات هذه الفكرة حرص في حواراته الصحفية وندواته السياسية على تأكيد معالم النظام السياسي في عراق المستقبل، لكي يقطع الطريق أمام هذه المخاوف، وسوف نذكر أربعة مبادئ أساسية أكدها السيد المدرسي، وهي على النحو الآتي^(٢):

أولاً: الحرية والتعددية

من أجل بناء عراق مزدهر ومتقدم تتمتع كل شرائحه الشعبية بالحرية والانفتاح يؤكد السيد المدرسي على البحث أولاً على ركائز الحرية والانفتاح، ويعد مبدأ الأصالة والاستقلالية المبادئ والمقومات الأساسية لوضع لبنة الحرية ومن ثم تشييدها في أي مجتمع وأمة.

من جهة أخرى يؤكد المدرسي أن التعددية جزء من ديننا؛ إذ إن الإسلام دين الحرية والشورى ودين احترام الآخرين، وأن ضمانات الحرية هي التعددية الثقافية باحترام الجميع بلا استثناء أحد من شماله إلى جنوبه، ومشاركتهم سياسياً واقتصادياً وإدارياً في الحكم واسهام شرائح المجتمع كافة وبطوائفه كافة وقومياته لدفع العراق إلى الأمام، وهناك أيضاً ضرورة ملحة لتحكيم التعددية لبلد مثل العراق، إذ إنه

(١) عبد الغني عباس، المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٥ - ٢١٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

يضم فصائل وطوائف مختلفة، منهم الشيعة والسنة وأقليات يهودية ومسيحية وغيرهم، كما أن هناك قوميات مختلفة تنتشر في مناطق العراق كالعرب والأكراد والتركمان، فإذا لم تحكم هذه التركيبة التعددية فإن الديكتاتورية ستكون هي الحاكمة.

ثم يؤكد السيد المدرسي أن التعددية هي ضمان التخلص من أحقاد الطائفية التي زرعها الاستعمار في بلاد الأمة الإسلامية.

ثم يرجع المدرسي الحاجة الماسة إلى التعددية لسببين^(١):

١- إن شعب العراق جرّب طبيعة الحكم الديكتاتوري، ويبدو أن هذه التجربة تكفيه لمدة قرن كامل.

٢- لأن وضع العراق يشتمل على طوائف متعددة وأن أي نظام قادم لابد أن يؤسس نظاماً يعتمد على الحرية، ويدعو المدرسي أن يكون هذا النظام إسلامياً، وهذه الدعوة نابعة من الاعتماد على إرادة الأكثرية.

ثانياً: وحدة العراق

يؤكد المدرسي لا منافاة بين الصفة الأولى ووحدة العراق، فنحن لابد أن نؤمن بوحدة العراق أرضاً وحكومة وشعباً، والاختلاف المذهبي والقومي يجب أن يُجَيَّر في اتجاه الديمقراطية ويعد المدرسي، سويسرا مثال جيد لتجانس القوميات المتعددة فيها دون حدوث تضارب بينها ممكن أن يتخذى به.

ثالثاً: إعادة الإعمار

وعملية إعادة الإعمار هذه كما يقول المدرسي تحتاج إلى تضافر الجهود واعتماد برنامج استراتيجي بعيد المدى لتحقيق فائدة للبلد، وهذا يتطلب معرفة الإمكانيات الداخلية من القوى الشعبية، وهنا يؤكد المدرسي أن مبدأ الاستقلال والاستقلال هو العيش بدون الاحتياج للآخرين، وإلا إذا وجدت هذه الحاجة

(١) محمد تقي المدرسي، معالم على طريق الخلاص، مصدر سابق، ص ٢١٠.

فلن يذوق الشعب العراقي حلاوة الاستقلال، وهذا الاستقلال لابد أن يحكم الثقافة والاقتصاد والسياسة.

رابعاً: العلاقة مع الجيران

في ظل الحكم البديل يؤكد المدرسي أن العراق سوف يتمتع بعلاقات متميزة مع الدول الجارة، وهنا لابد أن نؤكد أن العراق أوجد حالة من اللاتقة في العلاقات السائدة بين دول المنطقة، فمن الطبيعي مثلاً أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية والكويت لا يثقان مستقبلاً بنظام بغداد.

لهذا يدعو المدرسي النظام القادم إلى تأمين حالة الثقة للدول المجاورة كي يستطيع الشعب العراقي تحقيق طموحاته المشروعة دون الإضرار بجيرانه، وبمعنى آخر إن النظام القادم ينبغي أن يكون قادراً على احتواء التناقضات بين الدول المجاورة لما لها من أدوار كبيرة في المنطقة، تركيا مثلاً تمتلك تأثيراً قوياً في المنطقة وبالرغم من خفائه، وإيران تتمتع بثقل إقليمي، وسوريا والأردن لهما دور كبير في القضية الفلسطينية وباقي قضايا المنطقة، والخليج له دور واضح.

لذلك فإن تجاوز هذه القوى غير ممكن وسوف يؤثر في العراق وفي المنطقة، وفي هذا الإطار يدعو المدرسي إلى ترتيبات اقتصادية مشتركة بين الدولة المطلة على حوض الخليج العربي، تبدأ بسوق مشتركة أو منظمة نفطية لتنتهي إلى ترتيبات أمنية، وهذه الترتيبات الأمنية لا يمكن ترتيبها وتعديلها إلا إذا توحدت المصالح والأهداف والطموحات، وهناك شرطان أساسيان يحددتهما السيد المدرسي لهذه الصيغة الأمنية^(١):

أولاً: يشترط ألا تبدأ سياسة المحاور في المنطقة، وما يتبع ذلك من نزاعات دائمة بين هذه المحاور.

(١) عبد الغني عباس، مصدر سابق، ص ٢١٣.

ثانياً: يشترط ألا تشترك دول أجنبية في هذه الترتيبات.

بهذه المعالم يمكن للشعب العراقي - كما يرى السيد المدرسي - أن يتطلع إلى حياة فاضلة مطمئنة، بعد أن عانى الكثير من الولايات والمصائب جراء الديكتاتورية البغيضة.

وبعد سقوط نظام صدام عام (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) عاد السيد المدرسي إلى مسقط رأسه في شهر صفر من العام نفسه وسط استقبال جماهيري كبير من الشعب العراقي، حيث كان من أوائل الذين رجعوا إلى العراق وسط مخاطر الوضع الأمني آنذاك.

شرع السيد المدرسي بتدريس بحث الخارج^(١) في الصحن الحسيني الشريف ومكتبه في كربلاء المقدسة، وقد تميّز بحث السيد المدرسي بالعمق في الطرح العلمي، والطرح المعاصر لقضايا الدولة والدستور الإسلامي، فضلاً عن طرح معالجات في متغيرات الوضع السياسي العراقي والعالمي^(٢).

كما بدأ - منطلقاً من كربلاء المقدسة محل إقامته - بنهضة ثقافية وخيرية، إذ أسست وبتوجيهاته العديد من المشاريع^(٣) لخدمة الناس.

(١) بحث الخارج: هو أعلى مستوى دراسي في الحوزة العلمية.

(٢) بلا مؤلف، المرجع والأمة، مصدر سابق، ص ٨٤.

(٣) من هذه المشاريع التي هي في توسع مستمر:

١ - حوزة القائم عليه السلام العلمية - كربلاء المقدسة.

٢ - حوزة الإمام الصادق عليه السلام - كربلاء المقدسة.

٣ - الحوزة الفاطمية النسائية - كربلاء المقدسة.

٤ - حوزة الإمام الرضا عليه السلام العلمية.

٥ - حوزة الإمام الجواد عليه السلام - كربلاء المقدسة.

٦ - جامع أهل البيت عليهم السلام - كربلاء المقدسة.

٧ - جامع وحوزة أهل البيت عليهم السلام - الكوت.

٨ - جامع أبو الفضل العباس عليه السلام - كربلاء المقدسة.

وقد ظل السيد المدرسي في كل مناسبة يلتقي بها أبناء الشعب العراقي

- ١٠ - جامع الإمامين العسكريين - كربلاء المقدسة.
- ١١ - جامع بقية الله الأعظم - كربلاء المقدسة.
- ١٢ - جامع وحسينية الإمام الرضا عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ١٣ - جامع فاطمة الزهراء - كربلاء المقدسة.
- ١٤ - جامع الإمام الهادي عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ١٥ - مسجد الإمام زين العابدين عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ١٦ - مسجد الإمام الهادي عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ١٧ - مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ١٨ - حسينية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله - الحبيبية - بغداد.
- ١٩ - مسجد بقية الله الأعظم عليه السلام - الحبيبية - بغداد.
- ٢٠ - مسجد فلسطين - منطقة فلسطين - بغداد.
- ٢١ - مسجد الإمام الحسين عليه السلام - منطقة الشعب - بغداد.
- ٢٢ - مسجد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام - الكاظمية - بغداد.
- ٢٣ - مسجد باب المعظم - بغداد.
- ٢٤ - مسجد الزیونة - بغداد.
- ٢٥ - مسجد بني حسن - ريف مدينة كربلاء المقدسة.
- ٢٦ - مسجد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ٢٧ - مسجد القاسم بن الحسن عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ٢٨ - مسجد ابو دشير - بغداد.
- ٢٩ - مسجد الصديقة الطاهرة - بغداد.
- ٣٠ - مسجد نور الحجة - كربلاء المقدسة.
- ٣١ - مجمع الإمام الحسين الكبير - كربلاء المقدسة.
- ٣٢ - مجمع أم البنين الطبي الخيري - كربلاء المقدسة.
- ٣٣ - مستوصف الإمام الحسين عليه السلام - كربلاء المقدسة.
- ٣٤ - مؤسسة الإمام علي لرعاية الأيتام السادة.
- ٣٥ - مؤسسة الإمام المهدي الخيرية.
- ٣٦ - صندوق الإمام الحسين الخيري للقرض الحسن.
- ٣٧ - صندوق الإمام المهدي الخيري للقرض الحسن.
- ٣٨ - لجنة المصطفى الخيرية لرعاية الأيتام.
- ٣٩ - دار الهدى للثقافة والإعلام.

يوجّه رسائل إلى الشعب العراقي بكل شرائحه الاجتماعية، يدعو فيها إلى التمسك بحبل الله وحبل رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهما السلام الطاهرين، والتسلح بالعمل والصبر والاستقامة والأمل، كما دعاهم إلى التصدي للأفكار الدخيلة والتخطيط للتخلص من الفساد والمروق والميوعة، وكيف يتصدون لكل من تسول له نفسه بأرض العراق وحرية شعبه، كما أكد على الإيفاء بالجميل لشهداءنا الأبرار من المراجع والعلماء وأبناء الشعب العراقي، واصفاً أن دماءهم اليوم تنبض بالحيوية لتدفع بالعراقيين إلى العمل لبناء العراق من جديد وعمارة أرضه وبناء مؤسساته حتى يتم إعلاء كلمة الله في أرض العراق المباركة^(١)، فقد عانى العراق من مخلفات نظام فاسد في الثقافة العامة لإدارة الدولة، وفي كثير من القوانين التي لا تنسجم مع الدستور، والبعيدة عن أحكام الشريعة وعن مبادئ الحرية، ولا يتم إصلاح تلك الأوضاع إلا بالعمل الجدي من جميع أبناء الأمة والسعي من خلال إصلاح أجهزة الدولة باتباع الآتي^(٢):

أولاً: نشر ثقافة الخدمة بين المنتسبين، ومحاربة الرشوة والفساد، وتجاوز الروتين القاتل.

ثانياً: بإصلاح المنتسبين كافة في دوائر الدولة الرسمية وإسداء النصح إليهم بالتي هي أحسن، وإذا لم تنفع النصيحة - لا سمح الله - باستبدالهم بأفضل منهم، وهكذا بتشجيع الصالحين منهم بكل وسيلة ممكنة.

ثالثاً: بالتوصية للمجالس المنتخبة، سواء الوطنية أم المحلية، لكي يستبدلوا القوانين بأفضل منها، حتى تتحرك عجلة التنمية، ويعم الرفاه الجميع.

(١) مقتبس من كلام السيد المدرسي وهو يوجه رسالة إلى شرائح مختلفة من أبناء الشعب العراقي، يراجع: مجلة البصائر، العدد ١١٢١ - ٩ صفر، ١٤٢٤ هـ، ص ٢.

(٢) يداً واحدة لبناء المجتمع الحسيني (نص بيان السيد المدرسي بمناسبة ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام عام ١٤٣١ هـ)، كراس صغير صادر عن مكتب السيد المدرسي في كربلاء المقدسة.

أما عن بعض المواقف التي طرحها السيد المدرسي بعد أحداث (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، فقد تلخّصت بالآتي:

١- الموقف من الاحتلال الأمريكي

أما عن موقفه من الاحتلال الأمريكي فيقول: «قلت للأمريكيين: إن طريق الخلاص من الطاغية ليس باحتلال العراق وأنا أشهد الله والتاريخ والمؤمنين في كل مكان وأهل البصائر في كل مكان بأنني لم أوقع في يوم ولم أقل في يوم بإمكانية احتلال العراق»^(١).

وأكد السيد المدرسي على بناء مؤسسات بلا تسلط، بناء دولة عصرية ولكن ليس بثمان استقلالنا، وأكد على الاجتماعات السياسية، وليكن كل اجتماع مناسبة لبحث مستقبل البلاد، وليبلور كل عراقي رأيه وي طرحه من خلال القنوات المتاحة له، ولا يعتمد أحدنا على غيره، فكلنا في هذا البلد راع وكل راع مسئول، وليس من الصحيح أن تكون لدينا أكثرية صامتة وأقلية فاعلة، فإن ذلك هو أرضية الديكتاتورية، وإن هذا يقتضي تفصيل قنوات الانتماء^(٢)، فعلى كل عراقي أن يكون عضواً في هيئة دينية أو مؤسسة أهلية أو تجمع عشائري أو نقابة معينة أو اتحاد طلابي أو تجمع سياسي، وليكن انتماءه فعّالاً لتكوين الرأي السليم وانتخاب أفضل الأفراد أو لتمثيله في تلك المؤسسات، بذلك سيكون عقل جمعي فعّال في إدارة البلاد، ولا يسمح للدخلاء وأصحاب الأهواء أن يفرضوا الآراء الخاطئة على بلادنا^(٣).

(١) بلا مؤلف، العراق بحاجة إلى شجاعة في الاعتراف بالخطأ والتفكير بعقلانية، مجلة البصائر، العدد ١٢٠٣، ص ١ - ٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، المطلوب تعددية بلا فوضى، مؤسسات بلا تسلط، وحدة من دون قهر، مجلة البصائر، العدد ١١٢٧ - ٧ جمادى الأولى، ١٤٢٤ هـ، ص ٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣.

٢- الموقف من الفتنة الطائفية

كان للمدرسي دور كبير في إخماد تلك الفتنة من خلال أفكاره، فقد أكد «على ضرورة أن يطهر أبناء الشعب العراقي أنفسهم من وساوس الشيطان وما يلقيه من غل وحمية وعصبيّة، وبعد أن يطهروا عقولهم من سموم الثقافات الجاهلية يحين ميعاد التعاون، فعواصف الفتن التي تضرب بلادنا لن يقف أمامها إلا الصخور العملاقة التي تنكسر عليها كل الأمواج بإذن الله سبحانه بالانتماء إلى الوحدات الإيمانية التي تضللها راية الولاية وراية المرجعية الرشيدة»^(١).

٣- الموقف من الدستور

وعند كتابة الدستور ظهر دور المدرسي جلياً إذ إنه صب جل اهتمامه بالدستور وبطريقة كتابته وبنوده، فقد تحدث قائلاً: «نحن في العراق نواجه تحديات كبيرة وبقدر المآسي الكبرى التي واجهتنا ووفقنا لتجاوزها، ومن أعظم هذه التحديات هو كتابة الدستور الدائم للعراق»^(٢).

وعدّ السيد المدرسي أن الدستور الذي يحترمه الشعب العراقي يجب أن يتميز بالخصائص الآتية^(٣):

أولاً: أن يستقي أصوله وقواعده من الشريعة الإسلامية.

ثانياً: أن يتماشى مع أعراف وحاجات البلاد ويتناغم مع تطلعات المجتمع العراقي.

(١) محمد تقي المدرسي، بيان في مولد الإمام الحجة عليه السلام، مكتب المدرسي، كربلاء المقدسة، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢٦ هـ، ص ١ - ٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، الشعب وتحديات كتابة الدستور الجديد، مجلة البصائر، ١١٢٨، ص ٢.

(٣) محمد تقي المدرسي، الإمام الحسين عليه السلام والدستور العراقي المقترح (بيان الأربعين لعام ١٤٢٥ هـ للسيد المدرسي)، كراس صغير صدر عن مكتب السيد المدرسي في كربلاء المقدسة، ص ٥ ص ٦.

ثالثاً: إن يكون دستور منسجم يكمل بعضه بعضاً، وهو إلى ذلك دستور لا يطغى جانب فيه على آخر، ولا يعمل فيه على ترجيح قيمة أساسية لحساب قيمة أخرى، فالأمن والعدل والحرية تتكامل فيه، فلا انقلابات باسم الحرية، ولا كبت باسم الأمن، ولا تجاوز على الملكية الفردية وحقوق الإنسان باسم العدالة.

رابعاً: أن يكون دستوراً ذا هدف أسمى يحقق التوازن والتكامل كما شجرة باسقة أصلها ثابت وفرعها في كل أفق، وأن ذلك الهدف الواحد يحقق فيه التكامل والتعادل، كما ويث في أبعاده المختلفة الروح الواحدة.

والدستور ينظم علاقة أبناء الأمة بعضهم ببعض، ويهيئ المستوى لتحرك مجتمع، ويرفع استقرار البلد واستيعاب طاقاته بصورة مناسبة، وإذا كان الدستور خاطئاً فإن مصير البلد سيكون في خطر؛ لأن الدستور الخاطئ ينتهي إلى وضع سيئ^(١)، مثلاً بالرغم من أن العراق بعد ولادته الجديدة في العشرينات لم يكن قد وضع دستوراً طائفياً إلا أن العرف قضى في العراق أن يكون الوضع طائفياً، فأنتجت هذه المشكلة في تأريخنا، إذ تحول العراق إلى مزرعة لأهواء وشهوات الحكام الفاسدين، والشعب العراقي لم ينعم بالراحة والأمن، والمنطقة تعرضت لهزات حادة؛ بسبب هذا العرف الدستوري الخاطئ^(٢)، وأضاف السيد المدرسي: إن الدستور هو دستور الإنسان العراقي بكل قومياته وأبعاده ونخبه وجماهيره، فلا بد أن يشترك الجميع في وضعه، وينبغي عرضه بصورة شفافة من دون وضع حالة إعلامية عليه، ويجب أن يكون الهدف الأساسي للدستور المقترح هو التقدم والتطلع والكرامة الإنسانية^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) محمد تقى المدرسي، المدرسي يدعو الشعب والحركات العراقية إلى المزيد من التعاون، نشرة البصائر، العدد ١١٣٢، ص ١ - ٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١.

وقد وجه المدرسي انتقادات عدة للدستور العراقي واصفاً أنه تم تشكيل دستور في بلاد ذات سيادة ناقصة، وأن الدستور المقترح لم يأخذ موافقة الشعب العراقي ولا المرجعية^(١)، ولكنه بعد عدة أشهر صرّح بأن الدستور كان موفقاً في كثير من بنوده ولكن لم يكن خالياً من ثغرات كبيرة أبرزها إهمال دور المرجعية في العراق، إذ لم يذكر بصورة واضحة إلا في المقدمة، مع أن تأريخ هذا البلد كله ممتزج بالمرجعية، وحتى بعد سقوط الطاغية وغياب النظام فقد قامت المرجعية بدور كبير في المحافظة على توازن هذا البلد، وكذلك في الانتخابات الأولى والثانية فالمرجعية كان لها دور أساسي في التأكيد على المشاركة في الانتخابات واختيار الأشخاص الكفوئين القادرين على تحقيق طموحات الشعب العراقي^(٢).

٤- الموقف من المصالحة الوطنية

أما عن موقفه من المصالحة الوطنية فقد أكد المدرسي على أن المرجعيات تقوم بدورها في أمر الناس بدخول الساحة والعمل على تغيير ما في الأرض بما أمر الله تعالى، فالمرجعية مع الوفاق والصلح، فيقول السيد المدرسي: «نحن قدمنا عشرات الألوف من الشهداء دفاعاً عن السلام في العراق، دفاعاً عن العلم وعن وحدة العراق، كان باستطاعة المرجعية أن تفتي بقتل مشيري الفتن وإشعال نار حرب طائفية، لكنهم لم يفعلوا ذلك حرصاً على مصلحة البلد، نحن مع المصالحة لكن لا يجوز أن تكون المصالحة على حساب حقوق الناس، بل يجب أن تحفظ حقوقهم؛ لأن أي قرار لا يقوم على العدل فهو مهزوز، وأن المجرمين يجب أن يحاسبوا لأنهم تعودوا على الظلم والفساد»^(٣).

(١) محمد تقي المدرسي، الهدف الأساسي للدستور المقترح هو التقدم والتطلع والكرامة الإنسانية، ندوة دستورية أقيمت برعايته للفترة من ٢٥ / ٩ - ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٣ م، كربلاء المقدسة.

(٢) للمزيد راجع: مجلة البصائر، الأعداد، ١١٤٢ - ١١٤٦ - ١١٥٣. مجلة البصائر، العدد ١١٤٨، ص ٣.

(٣) انظر: محمد تقي المدرسي، إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، مجلة البصائر، العدد ١١٦٢، ص ١ - ٣.

وفي ظل الأوضاع الراهنة وبعد استقرار العراق وجه السيد المدرسي توصيات عدة للشعب العراقي، أهمها^(١):

- ١- عليك أن تتعاون مع المحيط من حولك تعاوناً عفويّاً صادقاً.
- ٢- عند وجود حالة استثنائية في الأمة على كل واحد أن يبذل أقصى ما يمكنه من جهد لخدمة بلده.
- ٣- نحن بحاجة إلى وضع استراتيجية دفاعية وهجومية ضد التخلف والإرهاب في آن واحد.

أما عندما يواجه العراق وضع استثنائي فيقترح السيد المدرسي حل المشكلة عدة أمور^(٢):

الأول: بالحوار والعمل الدبلوماسي، علينا جميعاً أن نتحاور ونتفاهم وألاً ندور في حلقة مفرغة.

الثاني: بالضغط على بعض دول الجوار للكف عن هذا التدخل غير المعقول في البلد.

الثالث: نحن في العراق نحتاج إلى مشروع إعادة بناء يشبه مشروع مارشال الذي صرف مليارات الدولارات بعد الحرب العالمية الثانية للنهوض بأوروبا التي كانت قد خرجت من الحرب مهتمة ومحطمة.

وختاماً لهذا الفصل نرى أن السيد المدرسي قد بدأ الالتحاق بمحافل العلم والمعرفة في حوزة كربلاء المقدسة منذ صغره، لذلك استطاع قطع مراحل التعليم الحوزوي في مدة قصيرة نسبياً، فيما تابع بحث الخارج على يد الأساتذة الكبار أمثال خاله السيد محمد الشيرازي والشيخ يوسف الخراساني البيار

(١) محمد تقي المدرسي، لحظات القول في حياة الأمة، الدور والمسؤولية، مجلة البصائر، العدد ١١٥٤، ص ٢.

(٢) العدد السابق نفسه، ص ٣.

جمندري، فبلغ درجة الاجتهاد وشرع في مدينة كربلاء المقدسة لتدريس دروس الخارج، وكان يحضر دروسه جملة كبيرة من العلماء والخطباء، وفي هذا المنحنى كان يدير السيد المدرسي ندوات وجلسات أسبوعية لمختلف الطبقات، ويشارك في إقامة المهرجانات وغيرها من النشاطات الدينية الأخرى، إن منهجية السيد المدرسي في الفقه والأصول والثقافة والتي تجلّت في المنطلقات الثلاث (العقل والوحي والحوادث الواقعة)، ميّزت آرائه بمجموعة من السمات وساعدت على تكوين منظومته الفكرية التي توزعت على العديد من الدراسات والكتب والبحوث والتجارب الميدانية التي كشفت نقاطاً مضيئة في الفكر الإسلامي، سواء فيما يخص الإنسان والمجتمع أم العلوم كالتأريخ والاجتماع والمنطق والفكر والعرفان، وتتضح من كتاباته السمات السياسية لآرائه في استنطاقه لآيات القرآن الكريم والدراية بالسنة الشريفة والتكامل ما بين النصوص ودراسة محتوى الروايات، فضلاً عن الاستغناء عن الثقافات الدخيلة، واحترام آراء الفقهاء السابقين.

يرى السيد المدرسي أن من عوامل تقدم الأمة الإسلامية الساعية إلى تحقيق أهدافها في الحياة هو الاعتماد على نظرة متكاملة وشاملة للأحداث الجارية، هذه النظرة يصطلح عليها بالنظرة الحضارية في دراسة المشكلات وتحديد عوامل السير ولوازم التقدم، ويرى السيد المدرسي أن بناء شخصية إسلامية ملتزمة بالتعاليم الدينية والإلهية هي الخطوة الأولى في طريق بناء الحضارة الإسلامية الشاملة في جميع مجالاتها، ويؤكد على ضرورة بناء مجتمع حيوي فاعل يسهم في تطبيق الرفاه الاقتصادي عبر استغلال الموارد الوطنية واستثمارها، ودعا إلى إنشاء سوق إسلامية مشتركة لتنسيق السياسة الاقتصادية بين الدول الإسلامية.

لقد تأسست وبتوجيه من السيد المدرسي العديد من الحوزات الدينية في مختلف الدول، وكان من أبرزها حوزة القائم (عجل الله فرجه الشريف) في إيران وسوريا والعراق وأفغانستان، كما أولى السيد المدرسي اهتماماً بمجال الإعلام

الإسلامي، واصفاً الإعلام بمثابة (السلطة الأولى في العالم)، فقد صدرت تحت إشرافه (صحيفة البصائر) و (صحيفة عاشوراء) و (صحيفة الهدى)، شارك السيد المدرسي في العديد من المؤتمرات والندوات الدينية والثقافية التي تقيمها الجماعات الإسلامية في أرجاء العالم، وقد قدّم السيد المدرسي وجهات نظره إزاء القضايا المطروحة.

لقد أثرى السيد المدرسي المكتبة الإسلامية بمجموعة كبيرة من الدراسات والكتب التي تناولت مجالات متعددة وعالجت قضايا مختلفة، برؤى إسلامية أصيلة استلهمها من القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، حيث أَلَفَ أكثر من (٥٠٠) كتاب.

أما بالنسبة إلى سلوكه السياسي داخل العراق وخارجه فقد تميز السلوك السياسي للسيد محمد تقي المدرسي خلال حقبة السبعينات بكونه سلوكاً ثقافياً تنظيمياً سياسياً، تميّز بطرح نظرية سياسية إسلامية في المعارضة والتحرك. أما في حقبة الثمانينات فقد كان دور السيد المدرسي سياسياً بالدرجة الأولى، إذ سعى إلى كشف مساوئ نظام صدام، فضلاً عن تبني خيار العمل داخل العراق، ودعوة الفصائل الأخرى إلى الاتفاق على هذه الاستراتيجية المركزية منذ بداية الثمانينات، كما تابع السيد المدرسي العمل على صعيد فصائل المعارضة العراقية من أجل وحدتها. أما في حقبة التسعينات فقد كان همّه الأكبر حماية الانتفاضة الشعبانية عبر دعمها ومن ثم استثمارها من المعارضة العراقية من أجل إبقاء قضية الشعب العراقي حاضرة في الأذهان. وبعد سقوط نظام صدام تمثل دور السيد المدرسي جلياً من خلال حضوره للمؤتمرات التي عقدت من أجل كتابة الدستور العراقي، وكانت له وجهات نظر إصلاحية من أجل بناء الدولة العراقية الجديدة، ونشر مبادئ الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب العراقي.

الفكر السياسي عند المرجع المدرسي

الفصل الثاني

الدولة في فكر المرجع المدرسي

المبحث الأول: مفهوم الدولة ونشأتها.

المبحث الثاني: خصائص الدولة وأهدافها.

المبحث الثالث: وظائف الدولة.



الدولة في فكر المرجع المدرسي

لا يمكن الحديث في الفكر السياسي دون التطرق إلى موضوع الدولة، بل إن علم السياسة عند بعض هو علم الدولة بكل ما تنطوي عليه هذه الدولة من نشأة، سلطات، وظائف... ولمعرفة آراء السيد محمد تقي المدرسي عن الدولة ونشأتها وخصائصها ووظائفها سنقسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الدولة ونشأتها.

المبحث الثاني: خصائص الدولة وأهدافها.

المبحث الثالث: وظائف الدولة.



مفهوم الدولة ونشأتها

إن مفهوم الدولة ونشأتها - عند السيد محمد تقي المدرسي - تنطلق من ضرورة أن يكون الدين حاكماً في مجالات الحياة كافة، وضرورة أن يتحقق الإسلام - عقيدة وشريعة - في النفس والواقع عند إقامة تلك الدولة، فضلاً عن ذلك فإن الدولة ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها، ولهذا سنعالج في هذا المبحث ثلاث مطالب، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: الدولة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الإسلام دين ودولة.

المطلب الثالث: نشأة الدولة عند السيد محمد تقي المدرسي.

المطلب الأول:

أولاً: الدولة لغة واصطلاحاً

وردت لفظة (الدولة والدولة) العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدولة (بالضم) في المال، والدولة (بالفتح) في الحرب... والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال^(١)، إذن الدولة في الأصل اللغوي تعني الدوران والتغيير، والانتقال

(١) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير، محمد حسب الله، ج ٢، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ص ١٤٥٦.

من حال إلى حال^(١)، ولم يأخذ هذا المعنى من طريق الصدفة، بل كان تعبير عن حالات سياسية واجتماعية متقلبة وغير مستقرة حتى عُد اسم الدولة ملازماً لكلمة السلطان^(٢).

وجاء في المعجم الوسيط في معنى الدولة «أنها الاستيلاء والغلبة والشيء المتداول»^(٣).

وقد وردت لفظة (دولة) في القرآن الكريم بتصريفات مختلفة تشير جميعها إلى معنى التحول والانتقال أي عدم الثبات، قال تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤).

وهي تأمر بتوزيع الثروة وعدم حصرها بين الأغنياء في المجتمع^(٥).

وبمعنى ما يتداوله الناس بعضهم عن بعض، جاء بقوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٦).

(١) رضوان السيد، سياسات الإسلام المعاصر، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ص ٦٧.

(٢) إن الدولة كلمة استعملها الفرس أولاً ثم أخذتها بعد ذلك الدول الشرقية الكبرى، وهي مشتقة من فعل (دال)، (يدول)، أي بمعنى ينتقل من حال إلى حال.

انظر: آدمون رباط، الوسيط في القانون الدستوري العام، ج ١ ط ٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م، ص ١٧.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إشراف حسن العطية محمد شوقي الأمين، (وآخرون)، ط ٢، طهران، انتشارات ناصر خسرو، د. ت، ج ١، ص ٣٠٧.

(٤) سورة الحشر، الآية ٧.

(٥) توفيق السيف، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، ط ١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م، ص ٣١، ص ٣٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

الآية كما هو واضح تتحدث عن التداول أي النقل والتبدل^(١).

ووردت هذه اللفظة في الحديث النبوي الشريف: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً»^(٢).

ووردت في كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حول حقوق الراعي والرعية عند قوله عليه السلام: «فإذا أدّت الرعية إلى الولي حقه طمع في بقاء الدولة»^(٣).

ووردت في خطبة للإمام الحسن عليه السلام في الكوفة أمام معاوية في قوله عليه السلام: «أيها الناس... فإن الله قد هداكم بأولنا وحقق دمائكم بأخرنا، وأن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول»^(٤).

ثانياً: الدولة اصطلاحاً

أما معنى الدولة اصطلاحاً، فنلاحظ عدم اتفاق الفقهاء الإسلاميين المعاصرين على تعريف موحد لمفهوم الدولة الإسلامية، وإنما نهج كل واحد منهم في تعريفه لها منهجاً خاصاً يتماشى وفكرته عنها، وقد حرص كل واحد منهم على إبراز فكرته عن الدولة الإسلامية من خلال آرائه التي أدلى بها وما ترتب على ذلك من كثرة الآراء وتباينها، وهذا ما سنلاحظه تباعاً.

فأبو الأعلى المودودي يعدّها حركة شاملة مبنية على نظرية الحياة الإسلامية

(١) صدر الدين القبانجي، مدخل إلى علم السياسة، «تجديد وجهة نظر إسلامية»، ط ٣، النجف الأشرف، وحدة الدراسات والبحوث في الجامعات الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ٨٢.

(٢) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، إشراف: يوسف المرعشي، د. م، دار المعرفة، د. ت، ج ٤، ص ٤٧٩.

(٣) محمد بن الحسين (الجامع) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان، إيران، مؤسسة دار الهجرة، ١٣٨٠هـ، الخطبة ٢١٦، ص ٤١٩.

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، بيروت، مؤسسة عز الدين، د. ت، ج ٣، ص ٤٨.

وفكرتها، وعلى قواعد خلقية وعملية تتفق وروح الإسلام وطبيعته، وتقوم هذه الحركة وتنهض وتقوى حتى تغير بجهادها المستمر العنيف أسس الجاهلية الفكرية والخلقية والنفسية والثقافية السائدة في الحياة الاجتماعية، وتأتي ببنائها من القواعد بعد ذلك^(١).

ويعتقد محمد مهدي شمس الدين بأن الدولة تتقوم بالسلطة السياسية التي تتضمن حق الأمر والنهي، والطاعة، بالمعنى السياسي^(٢).

ويرى السيد محمد حسين فضل الله أن طبيعة الدولة من كونها كياناً مادياً ومعنوياً ينظم حياة الأمة ويحمي أمنها وسلامتها، ويهيئ القوى القادرة على دعمها والعمل على بقائها لرعاية مصالح الإنسان ودفع الأضرار عنه^(٣)، وبين أن الدولة وسيلة لنشر الدعوة إلى الله، واعتمادها كوسيلة لتركيز مفاهيم الدعوة في حياة الناس، وتجسيدها في حياة الناس^(٤).

ولعل السيد محمد تقي المدرسي يتفق مع السيد محمد باقر الصدر في كونها دولة قانونية، فيعرفها المدرسي «هي دولة دستورية يحكم عليها القانون الإسلامي، وليس لأحد من أبنائها - وبينهم الرئيس - أن يبدل حكم الله أبداً، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٥) وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»^(٥).

(١) أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٨٢، ص ٨٦.

(٢) محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، ط ١، قم المقدسة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٤م، ص ٩٤.

(٣) محمد حسين فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، ط ٦، بيروت، دار الملاك، ١٤١٨هـ، ص ٣٥.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ١ - ٢.

ويتفق السيد محمد باقر الصدر مع هذا الرأي ليؤكد على قانونية الدولة؛ لأنها تتقيد بالقانون الإلهي؛ لذا فإن الحاكم والمحكوم سواسية أمام القانون الإلهي.

ويرى السيد المدرسي أن الدولة الإسلامية (دولة قانونية) على عكس أكثر التشريعات البشرية التي جعلت للرئيس الحق في تغيير القانون في كثير من الأحوال^(١)، ومهمة الدولة تنظيم أمور الناس وحافطة للتوازن، إذ يقول:

«الدولة في الإسلام منظمة لأمر الناس وحافطة على توازنها وليست غاصبة لحقوقهم مستقلة بشؤونهم... نعم، إذا عجز الناس عن إدارة شؤونهم تتدخل الدولة، وذلك أما بالاستقلال بها أو بأشياء تعاونيات شعبية أو شركات عامة... علماً أن أوامر الدولة في الإسلام مطاعة من قبل الناس»^(٢)، وتعكس رؤية السيد محمد تقي المدرسي للدولة ووظائفها ذلك الدور الكبير للأمة التي أمرت أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتوزع المسؤوليات بين أفراد الأمة من خلال مقولة الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وبذلك تصبح مهمات الدولة محصورة في أضيق الحدود^(٣).

المطلب الثاني: الإسلام دين ودولة

يرى السيد محمد تقي المدرسي أن الإسلام مزج الدين بالدولة ومزج الدولة بالدين حتى لا يمكن التفريق بينهما، وأصبحت الدولة في الإسلام هي الدين، وأصبح الدين في الإسلام هو الدولة، وأن طبيعة الإسلام تقتضي قيام حكم إسلامي ودولة إسلامية؛ لأن تنفيذه على وفق الواجب غير مأمون إلا في ظل حكم إسلامي خالص ودولة إسلامية تقوم على أمر الله تعالى، وأن قيام

(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٣٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٤٠.

(٣) مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد محمد تقي المدرسي، بتاريخ ١٥ / ٤ / ٢٠١١ م.

الإسلام نفسه في الحدود التي رسمها الله تعالى وبينها الرسول ﷺ تقتضي قيام دولة إسلامية تقيم الإسلام في حدوده المرسومة^(١)، ولا شك أن أغلب الكتاب الإسلاميين يتفقون مع السيد المدرسي على أن الإسلام دين ودولة فيعتقد عبد القادر عودة أن الدولة الإسلامية هي نموذج للدولة المثالية لكونها تقيم أمر الدنيا بالدين فلا قيام للدين بغير الدولة ولا تصلح الدولة بغير الدين، وهدف الدولة في رأيه هو إقامة الإسلام، وأنه لا يكفي لإقامة الإسلام أن يكون الحكم مسلمين وإنما يجب أن يحتكموا إلى الإسلام ويتخذوا القرآن دستوراً لهم، فالإسلام - وهذا ما أكدته - هو الذي خلق الدولة الإسلامية من العدم ومد أطرافها في كل الاتجاهات، والقرآن هو الذي وجّه المسلمين لتكوين هذه الدولة؛ إذ بشرهم بها ووعدهم بقيامها، ودفعهم لأن يعملوا لقيام الدولة وأن يقيموها إذا تيسرت لهم سبل إقامتها^(٢).

أما عبد الحميد متولي فقد وصف الإسلام بأنه «هو دين ودولة، لكن لا على أساس قيامه على نظام محدد في الحكم، ولكن على أساس احتوائه لمبادئ عامة في الحكم تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان»^(٣)، وأما دستور الدولة الإسلامية - على وفق ما يؤكد عليه - فيجب أن يكون مستمداً من الشريعة؛ وذلك بسبب قابليتها على مواكبة التطور وصلاحياتها لتلبية مصالح الناس ومتطلبات الحكم السليم القويم في كل زمان ومكان^(٤).

(١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ١٠، ط ٢، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٩ هـ، ص ٨.

(٢) عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ط ٧، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٦ م، ص ٦١.

(٣) انظر: عبد الحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، ط ٣، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٧ م، ص ١٠٤، ص ١٠٥.

(٤) عبد الحميد متولي، الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي للدستور، ط ١، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٥ م، ص ٢٤٥.

لقد أكد السيد محمد تقي المدرسي أن الدولة الدينية هي الدولة التي يجب أن تمنح الشرعية، لأن النماذج الأخرى من الدول لن تجلب للبشر إلا مزيد من الفرقة وعدم السعادة؛ لذلك يقول في كتابه (التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده) في جزئه السابع: «فالدين إنما يحدد سلطة الدولة لا أنه يحق للدولة أن تحدّد سلطة الدين»^(١)، وهو يقصد بالدين هنا الدين الإسلامي لا كل الأديان فيرفض فصل الدين عن السياسة؛ لأن «السياسة من صميم الإسلام، وأن كل محاولة لفصل الدين عن السياسة هي من قبيل فصل العبادة عن الإسلام، وقد كان رأي الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء أخذ زمام السياسة بأيديهم ما قدروا، فإن لم يتمكنوا من ذلك وجَّهوا الناس إلى وجوب ذلك مهما قدروا»^(٢)، وأن جعل السياسة من صميم الدين الإسلامي يعود إلى أن الإسلام هو الدين المستوعب لأحكام ما يفعله الناس سواء كان فعل الجوارح الظاهرة أم فعل الجوانح حتى أن تفكيره السيئ منهي عنه نهي تحريم أو كراهة، وتفكيره الحسن مأمور به أو أمر وجود أو استحباب. ثم إن الإسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان، وفيه من الأسس والقواعد ما يجعله قابلاً للتطبيق في مختلف الأحوال، وهو الذي يضمن سعادة البشر وتطورهم وازدهارهم. ويضيف المدرسي إلى ذلك أن حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ولن يؤثر في هذه الحقيقة تبدل الزمان والمكان واختلاف الأحكام^(٣).

مما سبق نخلص إلى أن الدولة -لدى السيد محمد تقي المدرسي- ذات طبيعة دينية، فهي ليست دولة علمانية تفصل الدين عن السياسة، وأن الدين الذي تستند إليه هو الدين الإسلامي، خاتم الأديان والصالح لكل زمان ومكان، أهذه الدولة الدينية (الإسلامية) مازالت في الطور النظري في الوقت الحاضر

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، الجزء السابع، ط ١، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٤ هـ، ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٠.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤١٣.

ولا يوجد لها تطبيق صحيح على الرغم من وجود تجارب عديدة لنظام الحكم الذي يدّعي عمله بالإسلام.

المطلب الثالث: نشأة الدولة

اختلف المفكرون الإسلاميون والغربيون حول النشأة التاريخية للدولة، وحاول كل مفكر أن يدلّو بدلوهم بهذا الشأن، وجاءت النتائج الفكرية متباينة. ولا شك أن الدولة ظاهرة لم تستطع الدراسات قديماً وحديثاً أن تقدم أجوبة كافية عنها في هذا الشأن.

فمنها من عدّ الدولة كائناً أو مُعطىً طبيعياً، ومنها ما عدّ الدولة مُعطىً اصطناعياً، وهنالك نظريات كثيرة حول الدولة ونشأتها، منها النظريات التي تقوم على أساس أن الدولة نشأت بموجب (عقد اجتماعي) وبغض النظر عن الاختلافات بين أصحاب (نظرية العقد الاجتماعي)، فإن من الواضح أن الدولة نشأت وفقاً لهذه النظرية بفعل اختيار البشر، حسب ما يذهب إليه أصحاب هذه الاتجاه^(١).

أي إن الدولة جهاز لخدمة الأغراض السياسية للجماعة البشرية، فهي ممثلة عن الشعب^(٢).

وهناك نظريات أخرى أوعزت نشوء الدولة بالأسرة أو نتيجة للتطور التاريخي أو الحرب، كنظرية الأسرة ونظرية التطور التاريخي، ونظرية الحرب التي ذهب إليها (هيراكليطس) بقوله: «الحرب هي أم الأشياء كلها»^(٣).

في حين يربط (أنجلز) نشوء الدولة بالحاجة إلى الأمن، إذ يستنتج «أن

(١) د. منذر الشاوي، في الدولة، بغداد، مطبعة سفين، ١٩٦٥م، ص ٢٦.

(٢) طعيمة الجرف، الدولة وأنماط النظم السياسية، القاهرة، د. ن، ١٩٦٦م، ص ٧.

(٣) مارسيل غوشيه، أصل الدولة، ترجمة: علي حرب، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد ٢٢، ١٩٨١م، ص ٢٤.

التساكن المستمر يتوجب ضمان الأمن، أي إقامة حرس عمومي، وبما أن أولئك الحراس لم يعودوا قادرين على إنتاج معاشهم، فلا بد أن تتكفل الجماعة بقوتهم وهكذا أنشأت الجباية، ثم تستوجب مسؤولية الأمن والجباية إدارة جنينية لا تلبث أن تتطور فيتعالى قسم من الناس فوق الباقي لأنهم لم يعودوا مشاركين مباشرة في الإنتاج، وبهذا الانفصال تنشأ الدولة»^(١).

وذهب السيد محمد تقي المدرسي إلى أن نشأة الدولة هو أمر الله تعالى ووحيه، وهذا ما ذهب إليه كل من: (الخميني)^(٢)، و(الصدر)^(٣)، و(منتظري)^(٤)، و(مطهرى)^(٥)، و(محمد مهدي شمس الدين)^(٦).

فهؤلاء جميعاً ذهبوا إلى أن الدولة نشأت على يد الأنبياء ورسالات السماء، فالدولة ظاهرة اجتماعية في حياة الإنسان، ومارست دورها السليم في بناء المجتمع الإنساني وتوجيهه، من خلال ما حققه الأنبياء في هذا المجال من تنظيم اجتماعي قائم على أساس الحق والعدل، ويستهدف الحفاظ على وحدة البشرية وتطوير نموها في مسارها الصحيح^(٧).

وإن القول بالأصل الديني للدولة لا يتنافى مع كونها نتاجاً لعملية تاريخية طويلة الأمد؛ بوصف أن الوحي تواتر مع الأنبياء لوضع البشرية على طريق

-
- (١) عبدالله العروي، مفهوم الدولة، ط ٥، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣ م، ص ٦٠.
 (٢) روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، تعريب: محمد الغروي، ط ٤، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٢ م، ص ٤٠.
 (٣) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ط ١، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٠ م، ص ٢٣.
 (٤) حسين منتظري، دراسات في ولاية الفقيه، ط ٢، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٨٨ م، ج ١، ص ٦.
 (٥) مرتضى مطهرى، المجتمع والتاريخ، ط ١، بيروت، دار المرتضى، ١٩٨٨ م، ص ٥٧.
 (٦) محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، ط ١، بيروت، المؤسسة الدولية، ١٩٨٥ م، ص ٦٩.
 (٧) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، مصدر سابق، ط ١، ص ٢٣.

التكامل وللسير بها في خط تصاعدي نحو الأكمل والأفضل^(١).

والسيد المدرسي يرى أن الله سبحانه وتعالى له رسالة تُنسب إليه وتُضاف إلى اسمه، وهي آتية بطريق غيبية لا بطريق عادية، وأن الله - حينما يُنزل الرسالة - يُحملها رجلاً مصطفى من عباده عن علم واختيار، وأن البشر لا يستطيع أن يستغني عن الرسالة^(٢).

وإن منطلقه في الحديث عن ضرورة الرسالة كونها مبنية على حقيقتين:

الأولى: وهي أن الإنسان خُلق ليعيش سعيداً.

الثانية: وهي أن الإنسان خلق ليعيش حراً مُريداً.

وأن الله ضمن للإنسان استمرار حريته في الحياة الدنيا، ذلك أن الحرية تسوى عند الإنسان السعادة وتزيد قيمة عليها، وأي تفضيل لسعادته على حريته أو لحريته على سعادته انتكاس وتجريد له عن إنسانيته^(٣).

«فلا بد للبشر - إذن - من هادٍ عالم حكيم محيط بالكون كله، وليس ذلك إلا الله سبحانه، ونتيجة للطف الإلهي أرسل الله سبحانه وتعالى من لدنه أنبياء ينقلون إليهم أوامره وإرشاداته، وإلا لم يفلح الإنسان في الحياة، ولم تتم ما خلق له وهي السعادة»^(٤)، ويشير السيد المدرسي في هذا الصدد إلى الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

(١) محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلى في الحياة، ط ١، طهران، انتشارات المدرسي، ١٤١٨ هـ، د.ق، ص ٦٠.

(٢) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٢٤٤، ص ٢٢٩.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٥.

(٤) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٥) سورة الجمعة، الآية ٢.

في هذه الآية يجعل الله سبحانه وتعالى أحد الأسباب للبعثة النبوية هو تعليم الحكمة، وهي معرفة المصالح العامة التي ينبغي أن تتحقق، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن -السيد محمد تقي المدرسي- قد جعل أسباب الرسالة الإلهية هو الاختلاف، فيذكر السيد المدرسي «أن الاختلاف ظاهرة طبيعية للبشر في كل الشؤون وفي كل العصور وبين كل الناس، وبالرغم من ما كتب الفلاسفة -قديماً وحديثاً- من كتب في المنطق لإزالة الاختلاف الذي يُقلق الإنسان فإنه لا يزال هذا الاختلاف قائماً ويسبب كثير من المشكلات بل وكثير من الويلات، فالحروب التي تشتعل بين حقبة وأخرى وتغني الحرث والنسل ليست إلا بعض نتائج هذا الاختلاف، فكان لازماً أن يقضي الله سبحانه وتعالى على هذا الاختلاف ويريح البشر من هذا العامل الخبيث من عوامل الشقاء، من أجل ذلك كان عليه أن يبعث أنبياء لكي يقضوا على الخلافات البشرية بما يوحى إليهم من حكم وعلم من الله الذي لا يرقى إلى حكمه الرب ولا يحتمل منه الجهل أو الخطأ»^(١)، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

يتضح من سياق الآية القرآنية الكريمة السابقة أن هناك حكمة إلهية في وجود مرحلة أو دور الاختلاف في حياة البشرية، تتمثل في سنة الابتلاء والامتحان والفتنة.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٣).

وفقاً لذلك تُصبح نشأة الدولة -في هذا الدور أو المرحلة التاريخية من حياة البشرية (الاختلاف)- ضرورة اجتماعية، وهذه الضرورة ناشئة من الأمور الآتية^(٤):

(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٢٥٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٦٤.

(٣) سورة الملك، الآية ٢.

(٤) فاضل الصفار، فقه الدولة (بحث مقارنة في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والأنظمة الوضعية)، الجزء الأول، قم المقدسة، دار الأنصار، ط ١، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م، ص ٢٢ - ٢٣.

- ١ - حاجة الجميع إلى الأمن والعيش بسلام.
- ٢ - توافر الفرص الكافية للوصول إلى الأهداف والطموحات التي يتطلع إليها الإنسان في كل مراحل حياته.
- ٣ - تأمين الضرورات الحيوية التي تتكون بها حياة الإنسان والأخرى الكمالية التي يتوقف عليها كماله.

ويرجع السيد المدرسي ضرورة الرسالة للبشر من جهة أخرى، إلى حاجتهم إلى النظام، إذ يذكر «أن الإنسان يأنس إلى الإنسان بصورة طبيعية ويجتمع إليه ويتعاون معه، وكل تعاون نظام، فلولا لا يغتدي الاجتماع ليس فقط تافهاً وغير مفيد، بل ويكون باعثاً على الشقاء أيضاً فمن يصنع هذا النظام العادل؟.. الذي يضمن سعادة الجميع! أن البشر عاجز عن وضع هذا النظام، وهذا النظام ضروري لسعادة الإنسان، وقد خلق الله البشر ليسعدوا كان الله سبحانه أن يضع لهم نظام الحياة ويبعث ذلك على يد من يتحمل مسؤولية ذلك من الرسل والأنبياء»^(١).

مما سبق نلاحظ الحاجة إلى الرسول ليقود الدولة الإسلامية، أما إذا نزلت الرسالة على شكل الواح بين الناس فمن المؤكد ألا يفيد شيئاً، كيف وقد جاء الرسل بالرسالة فلم يؤمن الناس بهم إلا قليلاً^(٢).

فالنبوة هي الدليل على ظهور الدولة في المجتمع سواء أكان مجتمعاً بدائياً فطرياً أم مجتمعاً حديثاً، إذن فإن ظاهرة الدولة هي السمة المشتركة بين المجتمعات الفطرية والمجتمعات المتقدمة، وهذا خلاف ذهب إليه الباحثون من أن الدولة ليست السمة المشتركة بين المجتمعات، وإنما هي سمة خاصة بحياة دون أخرى ومجتمع دون آخر، وهي مجرد ظاهرة تاريخية اجتماعية منقطعة عن حركة الوعي

(١) محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلى في الحياة، مصدر سابق، ص ٦٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

ودوره في التأريخ البشري^(١).

وبذلك نرى أن السيد محمد تقي المدرسي في نشأة الدولة يربط بين ظاهرة النبوة وظاهرة الدولة ربطاً زمنياً وربطاً سببياً، فالحقبة التأريخية من عمر الإنسانية التي شهدت ظاهرة الدولة هي نفسها الحقبة التي شهدت ظاهرة النبوة، وأن هذه النظرية مستلهمة من فكرة أن الأنبياء هم أول من عالج كل الخلافات البشرية، لا من خلال الفوضى والتسلط العشوائي، وإنما من خلال دستور عادل هو الكتاب الكريم ونهج متكامل لحياة الإنسان الاجتماعية، فالدولة - كما يراها السيد محمد تقي المدرسي - ليست دولة طبيعية سابقة على الأمة كما يراها (أرسطو)^(٢)، ولا نتيجة لعقد اجتماعي كما هو مذهب (روسو)^(٣)، و (لوك)^(٤)، ولا هي دولة اصطلاحية كما هو مذهب (هوبز)^(٥)، أو دولة مطلقة كما هي عند (هيغل)^(٦). ومؤسسة الدولة - كما يراها السيد المدرسي - هي من جملة المؤسسات التي تنتجها الأمة ولها إنجازات تحققها على مستوى السياسة والثقافة والاجتماع والاقتصاد والأمن^(٧).

ويلاحظ أن بعض الآراء لا تتفق مع هذا الطرح الذي يُعد الدولة لطفاً

(١) أحمد سرحان، القانون الدستوري والأنظمة السياسية، ط ٢، بيروت، دار الريف، ١٩٨٠م، ص ٤١.

(٢) أرسطو، كتاب السياسة، ط ٣، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٠م، ص ٨.
(٣) مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩١م، ص ١٤٧.

(٤) جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة: ماجد فخري، ط ١، بيروت، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، ١٩٥٩م، ص ١٠.

(٥) إمام عبد الفتاح إمام، توماس هوبز، ط ٢، بيروت، دار التنوير، ١٩٨٥م، ص ٢٢٦.
(٦) هان بيار لوفيفر، هيغل والمجتمع، ترجمة: منصور القاضي، ط ١، د.م، د.ن، ١٩٩٣م، ص ٦٤.

(٧) مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد محمد تقي المدرسي، بتاريخ ١٧ / ٣ / ٢٠١٢م، في مدينة كربلاء المقدسة.

إلهيًّا، وجاء نشوؤها على يد الأنبياء، بل يعدونها ظاهرة إنسانية سواء كان هناك نبي أم لم يوجد، ولا يكاد مجتمع بشري يخلو من شكل من أشكال الحكومة، فلا يوجد ارتباط واضح أو سبب متلازم بين الدولة والأنبياء، فالأنبياء أنفسهم كانوا يعانون من ظلم الحكومات القائمة في عصورهم ووقوفهم ضد مبادئهم وتعاليم الشرائع السماوية^(١).

وعلى الرغم من أن هذه الدولة قد تولاها بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ قادة لا يعيشون أهدافها الحقيقية ورسالتها العظيمة، فإن الإمامة - ممثلة بالإمام علي عليه السلام - كانت امتداداً روحياً وعقائدياً للنبوة، وورثاً لرسالات السماء. وقدم الأئمة عليهم السلام في هذا السبيل زخماً هائلاً من التضحيات التي توجها استشهاده أبي الأحرار وسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام مع الصفوة من أهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء^(٢).

عالجنا في هذا المبحث تعريف الدولة لدى السيد محمد تقي المدرسي، حيث وصفها بكونها دولة قانونية يحكم فيها القانون الإسلامي، وليس لأحد من أبنائها - وبينهم الرئيس - أن يبدل حكم الله أبداً، والدولة بذلك تكون منظمّة لأموال الناس وحافضة على توازنها وليست غاصبة لحقوق الناس.

أما عن نشأتها فيرى السيد المدرسي أنها نشأت على يد الأنبياء ورسالات السماء، وهي بذلك تصبح ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في جميع الأحوال.

(١) جعفر عبدالرزاق، الحاكم الإسلامي والضمانات ضد الاستبداد، الفكر الجديد، لندن، مؤسسة دار الإسلام، العدد ٧، السنة الثانية، تشرين الثاني، ١٩٩٣م، رجب، ١٤١٤هـ، ص ٢.

(٢) مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد محمد تقي المدرسي، بتاريخ ١٧ / ٣ / ٢٠١٢م، في مدينة كربلاء المقدسة، استغرقت المقابلة ساعتين فقط.

خصائص وأهداف الدولة في فكر المرجع المدرسي

من خلال المبحث الأول لاحظنا أن الدولة في فكر السيد محمد تقي المدرسي ضرورية، تنشأ من أجل تنفيذ شرائع الإسلام وحماية مبادئه، ولا سيما عقيدة التوحيد التي هي الوسيلة الإيجابية لتحرير الإنسانية، وتنفيذ شرائع الإسلام بغية قيام المجتمع الإنساني على أسس العدالة والتعاون والتكامل والمثل الأخلاقية العليا، والقيام بتلك المهام يُوجب أن يكون للدولة المنشودة خصائص معينة تؤهلها لإنجاز مهمتها ومن ثم تحقيق أهدافها، ولذلك ارتأينا تقسيم المبحث على مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: خصائص الدولة في فكر السيد محمد تقي المدرسي

أولاً: عقائدية

ثانياً: حضارية وعالمية

ثالثاً: أخلاقية

المطلب الثاني: أهداف الدولة في فكر السيد محمد تقي المدرسي

أولاً: العدالة

ثانياً: احترام الاختلاف

ثالثاً: التوازن بين الجوانب المادية والروحية

رابعاً: حسن التدبير

خامساً: حماية المستضعفين

المطلب الأول: خصائص الدولة في فكر المرجع المدرسي

أولاً: دولة عقائدية

إن ما تمتاز به الدولة في الإسلام عن سائر التكوينات السياسية -بحسب رأي السيد محمد تقي المدرسي- هو أنها دولة عقائدية تركز على الإسلام، وتنطلق منه في تحقيق الرسالة المقدسة التي تحملها^(١).

والإسلام هو «التسليم لله وحده ونفي الشركاء واتباع نهج الذين أمر الله باتباعهم»^(٢)، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٣).

وكان النبي إبراهيم عليه السلام هو المثل الأول للإسلام، «إذ رفض الشرك وتوجه إلى الله وحده، وهذا التوجه إلى الله جعل إبراهيم فوق العصبية الدينية، وجعل أولى الناس به التابعين لنهجه في توحيد الله وإخلاص العبودية لله، وقد سمي إبراهيم عليه السلام هذه الأمة بالمسلمين»^(٤).

«وبما أن الله سبحانه وتعالى اصطفى أنبياءه وآتاهم علماً وأمر الناس

(١) محمد تقي المدرسي، معالم الفكر الرسالي المسؤول، ط ١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م، ص ٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٢.

(٣) سورة النساء الآية ١٢٥.

(٤) محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، ط ٢، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م، ص ٦، ص ٧.

بطاعتهم وجعل أتباعهم شرط حب الله لأنهم أسلموا، وحين يُبين تطبيق الأنبياء للتوراة وحكومتهم بها يصفهم بالإسلام^(١)، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾^(٢).

والدولة الإسلامية تنطلق من الإسلام في تحقيق الرسالة المقدسة التي يحملها، لأنها دولة ذات فكرة شاملة وفلسفة عامة تشمل نواحي الحياة الإنسانية، لأنها تنطلق من دين كامل وشامل، وتقوم على عقيدة ومنهج وقيم تتعالى عن قيم الأرض إلى قيم السماء، ويرتفع على حواجز المصلحة واللغة والعنصرية والقومية.. ويتشبع بقوة الانطلاق والتقدم والتطور والازدهار^(٣)، ويذكر السيد المدرسي أن: «الإسلام ليس نظرية بحتة، بل هو منهاج عمل ودين حياة، ويُخطئ من يتصور أن الإسلام نظرية غير قابلة للتطبيق وإلا لما خاطب رب العالمين الناس بصورة عامة والمؤمنين بصورة خاصة، بما يدعوهم إلى صدق الحديث وأداء الأمانة ورفض الظلم والتسابق بالخيرات، وإذا كان الإسلام لا يتجاوز حدود النظرية لما تمكّن من كسب زهاء ربع سكان الكرة الأرضية حتى يكونوا مسلمين»^(٤).

ويضيف السيد مكملًا الفكرة قائلًا: «فمن يراجع تأريخ الإسلام يجد أنه قد وُلد قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام في منطقة صحراوية، تعاني من الفقر والحرمان، وتئنُّ من التخلف والانحطاط، وتتألم من المرض والجهل، واستطاع الرسول ﷺ أن يُحقِّق دولته التي تركت أثرها الإيجابي على الأجيال تلو الأجيال وليس المسلمين فحسب، بل حتى على الأمم الأخرى، مما مكّنه أن

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٧ - ٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٣) محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، مصدر سابق، ص ٣.

(٤) محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، مصدر سابق، ص ٣.

ييسط نفوذها إلى كثير من بقاع العالم»^(١).

وبما أنها دولة عقائدية رسالية فإن القائمين عليها والعاملين على تحقيقها ليسوا محدودي التوجّه والأهداف، أو خاضعين لضغوط الانتماء القومي أو العنصري أو الطائفي، ويعزو الله تعالى الحمية إلى الجاهلين فيقول: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَإِنَّزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢).

ولقد ضرب الرسول الأعظم ﷺ للبشرية أروع الأمثلة حينما رفع (سلمان الفارسي) على (أبي لهب القرشي العربي)، وقال فيه: « سلمان منا أهل البيت»، ولعن أبا لهب لعناً خالداً حتى قال القرآن فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^{(٣)(٤)}.

والدولة الإسلامية هي دولة جاءت للإنسانية كلها ومن أجل تحقيق كرامة الإنسان وتعالیه فوق كل القيم المادية التي تريد قهره واستضعافه وسلب إنسانيته، وتحويله إلى متاع يُباع ويُشترى، أو آلة تُستخدم حيناً ويُستغنى عنها أحياناً، من أجل ذلك جاهدت رسالات الله كل ألوان التسلط والاستكبار من طائفة لأخرى سواء باسم الدين أم باسم العنصر واللون والدم، أو عن طريق الثروة وإثارة الشهوات، أو عبر القوة وإثارة الرعب^(٥).

أما طريق الانتماء لهذه الدولة فهو الإيمان بالإسلام بالنسبة للمسلمين أيّاً كانت جنسياتهم وقومياتهم، والقبول بحكمها ونظمها بالنسبة إلى غير المسلمين

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٦.

(٣) سورة المسد، الآية ١.

(٤) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، ط ٢، ص ٧٤ - ٧٥.

(٥) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٩، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، ص ٣٤٤.

الذين ارتبطوا بهذه الدولة بعهد أو ميثاق، فالرباط الذي يجمع بين أفراد المجتمع في الدولة من وجهة نظر السيد المدرسي ليس هو الحدود الجغرافية، ولا اللغة ولا الدم ولا العنصر، وكذلك ليس المذهب ولا الحزب ولا الاتجاهات السياسية، بل هو رباط (الإيمان)، فالمؤمنون حيث كانوا وكيف كانوا ومتى كانوا (أمة واحدة) لهم وعليهم كل حقوق الدولة الإسلامية وواجباتها^(١).

فكما أن دول العالم اليوم تقوم على أساس (التوطنة الجغرافية) تعد غير أهلها أجنبيًا، أو على أساس (اللون والعنصرية) فلا تُعطي غير الأبيض إلا مقامًا ثانويًا، وكما أن الأحزاب السياسية لا تقبل إلا من سجد لمبادئها، والأحزاب المبدئية لا تقبل إلا من اقتنع بأفكارها وتبنّاها فكذلك الحكومة الإسلامية لا تقبل إلا من آمن بمبادئها، فهي حكومة مبدئية تقوم على أساس توحيد الله ربًا وحاكمًا ووليًا، والخضوع له بالطاعة في كل مجالات الحياة وأبعادها من طقوس ونظم وأخلاق^(٢).

ثانيًا: دولة حضارية وعالمية

إن الدولة الإسلامية، كما يراها -السيد محمد تقي المدرسي- متميزة عن غيرها من الدول الأخرى، لكونها تجسيداً لعقيدة وشريعة ورسالة حضارية مفتوحة على العالم، وشاملة لا تختص بدولة دون أخرى ولا قومية دون أخرى، فعلى الأمة التي نعمت بهذه الرسالة أن تُبلّغها آفاق الأرض جميعاً لتهتدي بنورها كل الأمم، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣).

ولا يظهر هذا الدين ولا تتوسع هذه الرسالة إلا على كاهل أبنائها، أولئك

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣٣.

الذين رفعوا من شأنها حتى عادت منافعهم الخاصة أمامها ضئيلة لا تستحق ذكراً، وإذا كانت الرسالة الإسلامية لا تقف عند حاجز أنى كان شأنه وأنى كلف الأمة جهوداً وأموالاً وانفساً فإن على الدولة أن تستقطب جهود الأمة وتوجه طاقاتها وتنظم شؤون دعوتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً لتحقيق هدفها الأسمى في الحياة وهو حمل الدعوة الإسلامية إلى كل إذن واعية وكل قلب سليم^(١).

وتتفق هذه الرؤية مع رأي يطرحه مفكر إسلامي آخر يرى أن الحضارة لا تنبعث إلّا بالأصل الديني، بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحت في أي حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها^(٢).

ويرى السيد المدرسي أن أبسط تعريف للإنسان وأشملة: هو أن الإنسان خُلق حضارياً.

وهذا يعني امتلاكه لمؤهلات الحضارة... وليست الحضارة سوى القدرة على التحكم في الذات، ولا ريب في أن كل إنسان يجد أمامه آفاقاً واسعة يستطيع الانطلاق فيها إلى أسمى مراتب الضبط الذاتي... ولو فتشنا التاريخ لوجدنا أن قفزاته التقدمية كانت نتيجة البطولات السامية التي تتمتع فيها فئة قليلة من بني آدم، والتي تمثلت بقيادة الأنبياء ومن اتبعهم^(٣).

ويؤكد السيد المدرسي ضرورة ألا تقتصر نشاطات الدولة الإسلامية على الحقبة الزمنية أو الرقعة المكانية التي تعيشها.. وذلك لأن الأمة الإسلامية ذات رسالة فلا يكون لها «أن تتوقع على نفسها دون أن تُفكر في الإنسانية الممزقة في آفاق الأرض، أو في الأجيال القادمة التي ينتظرها الضياع والعذاب، وإن لم تؤدِ

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٢) مالك بن نبي، شروط النهضة، ط ١، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م، ص ٥٠.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٣٠٢.

الأمة الإسلامية رسالتها في عمق الزمان والمكان لم تكن بالأمة التي يريد لها الإسلام أن تكون، فلا بد للطاقت البشرية أن تتفجر في الأمة الإسلامية وتعمل خارج حدودها لكيلا تُصاب بالتضخم والتأشن عندما تزيد على حجمها، ويجب أن يكون هنالك استنزاف خير لها خارج حدودها الجغرافية»^(١).

ويرى السيد المدرسي أن وجود الهدف الرسالي للدولة الإسلامية يرفعها إلى مصاف الدول الكبرى التي ترى نفسها مسؤولة عن سائر الدول، بحيث لو أنها تعرّضت لغزو أو عدوان لرأت الدولة الإسلامية أن عليها الدفاع عنها والانتصار لها بكل ما لديها، وكذلك يكون الإسلام أمل الشعوب ونصيرها الدائم^(٢).

والدولة الإسلامية رسالية حضارية تسعى لتغيير ما في داخل الإنسان والمتمثل في ثقافته، فما فائدة حكمها لو بقيت الثقافة الجماهيرية ثقافة سلبية تدعو إلى الاختلاف، والانطواء والانزواء وإمام المشكلات^(٣).

وكون أن الدولة الإسلامية ذات رسالة عالمية خالدة فالسيد المدرسي يضع على عاتق من يتولى رئاستها أن يقوم لها بأمرين^(٤):

الأول: حفظها من عبث العابثين الذين يريدون استغلال الدين لمآربهم الخاصة، ويحاولون تأويل نصوصه وفق شهواتهم، وتحريف أحكامه لتحقيق مصالحهم، وليذهب من الدين أصله وجوهره وروحه... فعلى الرئيس حفظه عنهم ليبقى شعلة خالدة تستنير بها الأجيال الصاعدة، ولا يُضَيِّع الفرصة عنهم بما يفعله ويريده العابثون.

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، معالم الفكر الرسالي، مصدر سابق، ص ٦٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٩٤.

(٣) محمد تقي المدرسي، النهج الإسلامي (تأملات في مسيرة الحركة الإسلامية)، ط ١، طهران، انتشارات المدرسي، ١٤١٧ هـ، ص ٥٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٩٦.

الثاني: الدعوة العالمية لهذه الرسالة لكي تسعد بها أمم الأرض جميعاً، ذلك لأنها لا تختص بأمة دون أخرى، بل هي للناس كافة، فلا بد نشرها في الآفاق.

إن حضارية الدولة الإسلامية مختلفة تماماً عن سائر الحضارات القديمة والجديدة، فالحضارات القديمة كانت من أعظم أهدافها الحضارية هو هدف الخلود ومقاومة الهلاك، إذ إنها كانت تبحث عن الخلود في الأمور الآتية^(١):

١- تكثّر العدد.

٢- تنمية العدة.

٣- البناء وإقامة آثار في الأرض.

أما الدولة الإسلامية فهدفها الأسمى هو نشر الرسالة الإسلامية في أنحاء العالم كافة لما تحمله من مبادئ وأهداف سامية تحقق الرفاه والعيش الكريم لكل فرد من أفراد الأمة.

ثالثاً: دولة أخلاقية

إن أهم ما يميز الدولة الإسلامية عن سائر الدول ومختلف التكوينات السياسية هو تضمينها للخصوصية الأخلاقية، ومن جملة ما يدل على هذه الحقيقة هو أن النبي محمد ﷺ لم يقل: «إنما بعثت لأقيم دولة أو حكومة، بل قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فالأخلاق هي الحياة وإذا فقدنا الأخلاق فقدنا الحياة، وخسرنا الرسالة والتقدم^(٢).

والدعوة الإسلامية كانت دعوة أخلاقية، ولو أن رسول الله ﷺ أراد أن يُخضع الجزيرة العربية من طريق الحرب والقوة فقط لما تمكن، ومع مثل هذا النوع

(١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي: مناهجه ومقاصده، ج ٦، ط ١، طهران، دار نشر المدرسي للطباعة والنشر، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م، ص ٢٣٢.

(٢) نصير الدين الطوسي، أخلاق محتشمي، ط ١، بيروت، الدار العالمية، ١٩٨١ م، ص ١١٥.

من التفكير والسلوك، لا تصح المواجهة العنيفة ونشر الدين الجديد بالقوة فقط^(١)، ولذلك فقد جعل النبي الأكرم محمد ﷺ الأخلاق الحسنة والسيرة الطيبة والحلم والعفو وجه دعوته الأخرى، وقد أشار القرآن المجيد إلى هذا المعنى قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣).

وفي وقتنا الحاضر يرى السيد المدرسي ضرورة أن نعي دور الأخلاق الفاضلة، فنرقى بسلوكنا وقولنا وثقافتنا وهدفنا^(٤).

إن الدولة الإسلامية وبسبب ما حققته من انتصارات هنا وهناك أصبحت اليوم تحت المجهر فالمجتمعات تراقب تصرفاتها وعلى المتتمين لها أن يظهروا أعلى درجات الأخلاق والتسامح والحلم في التعامل مع الناس^(٥).

ويذهب السيد المدرسي إلى أن ما يُقَرَّب الناس إلى المجتمع المدني الصالح، ويُحَقَّق الاستقرار والأمن فيه، هو الالتزام بالأخلاق الحميدة والمعتقدات والقيم السليمة من الناس أنفسهم، وإلا فإن مجرد وجود القوانين وافترض سلامتها ووجهتها الإنسانية غير كافٍ لمنع الناس عن ممارسة الظلم، ويوجّه السيد المدرسي أسهم الانتقادات إلى العالم الغربي فيقول:

«إن العالم الغربي فيه من القوانين ما يفوق قوانين حكومتنا كثرة ومرونة، كما لديه الإمكانيات التنفيذية الكفيلة بتطبيق تلك القوانين، ولكننا نرى الظلم

(١) محمد تقي المدرسي، النهج الإسلامي (تأملات في مسيرة الحركة الإسلامية)، مصدر سابق، ص ٥١.

(٢) سورة القلم، الآية ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، تركية النفس سبيل المؤمنين، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٩.

مستفحلاً للغاية في البلدان الغربية؛ وذلك بسبب انعدام القيم الأخلاقية السليمة»^(١).

ولهذا يرى -السيد المدرسي- أنه إذا وصفنا دولة إسلامية فلا بد أن يتوافر فيها العنصر الأخلاقي والذي يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستطرد السيد المدرسي قائلاً:

أليس المعروف هو محور تعاون الأمة الإسلامية وشعار حضارتها وقاعدة بنيانها، فالأمر به يزيدهم تماسكاً وتعاوناً، ويُعطي لحضارتهم دفعة جديدة، ولبنيانهم قوة ومتانة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر».

والأمر بالمعروف هو هدف المسلمين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ مِنْ نِصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ (٢).

وهكذا فإن المكنة في الأرض (السلطة) ليست هدفاً للمهاجرين بل لكي يقيموا حقاً ويبطلوا باطلاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه السمة جعلت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وهكذا المعروف شعارهم ورمز قوتهم^(٣)، لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٤).

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، تركية النفس سبيل المؤمنين، مصدر سابق، ص ١٦١ - ١٦٢.

(٢) سورة الحج، الآيتان، ٤٠، ٤١.

(٣) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٦، مصدر سابق، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

المطلب الثاني: أهداف الدولة في فكر المرجع المدرسي

أولاً: العدالة

العدالة من المبادئ الأساسية في الإسلام، فأهم ما ينشده الإسلام من الأهداف تحقيق العدل والقضاء على الظلم والجور، وقد ارتبطت جميع مناحي التشريع الإسلامي بالعدل فلا يوجد ثمة حكم لا يرتبط به^(١)، فالعدل هو الذي تستغرق به الأموال وتعمر به الأعمال وتصلح به الرجال ولا يكون العمران إلا بعدل السلطان، والعدل هو منبع الحرية الصافي على أساسه يُبنى المُلْك ويقوى السلطان، فهو سر نظام الأمم ورمز نجاحها وتقدمها^(٢).

ولهذا نرى أن -السيد محمد تقي المدرسي- أكد أن الأساس الذي تقوم عليه الدولة الإسلامية هو مبدأ العدالة لقوله: «إن الحكم الإسلامي قائم على أساس الحق، والذي يتمثل في العدل والتوازن بين الفوضى والاستبداد، ويتجلى عدل الله في السياسة أيضاً في أن يكون لكل الطوائف حقوقهم العادلة، ولا يجوزبغي إحداها على الأخرى، وعلاقة المسلمين بغيرهم كذلك، ففي السلم ينبغي البر بهم وأداء حقوقهم، وفي الحرب لا يجوز الاعتداء عليهم إلا إذا اعتدوا، وهناك لا يجوز تجاوز حدود اعتدائهم»^(٣).

ولا سلام ولا أمن ولا حق من دون العدل (وهو إيتاء الحق لأهله)، فالعدل إذن غاية مثلى للحياة الطوبى^(٤).

(١) باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، ط٢، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٨م، ص ٦٤.

(٢) حسن علي القبانجي، علي بن الحسين عليه السلام، شرح رسالة الحقوق، ط٢، قم المقدسة، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٣) انظر: محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، ط٤، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص ٣٦ - ٣٧.

(٤) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج٨، ط١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص ٨.

ولعل -السيد المدرسي- قد وضع جملة من الشروط أوجب توافرها فيمن يتولى رئاسة الدولة، ومن جملتها توافر شرط (العدالة) لقوله: إن الفرد إن كان (عادلاً) كان أحسن الناس لإدارة الحياة، لا عوج فيها ولا سقوط ولا انتكاس^(١).

«والقسط^(٢) العادل حكمة بعثة الرسل، والكتاب وسيلته، والميزان أدواته، والحديد سلاحه، والمجاهدون قوامه، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣).

فالعدل هو محتوى رسالات الله، فالله أمر بالعدل كما أمر بالقسط، فلذلك يدعو السيد المدرسي أن نحققهما بكوننا أفراد ننتمي إلى دولة إسلامية أننى استطعنا إليهما سبيلاً، وذلك بالسبل الآتية^(٤):

- ١- إن نجعل العدل صبغة سلوكنا الشخصي، ومحور علاقتنا الاجتماعية، وهدف حضارتنا الإسلامية.
- ٢- إن نجعل القيام بالقسط من صفاتنا ومسؤوليتنا التي نديم عليها كالصلاة والزكاة.
- ٣- إن نقوم بتوفير القوة الكافية لردع الذين يخالفون القسط.

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) القسط: هو جانب مهم من جوانب العدل، إنه الوفاء بحقوق الناس وبالذات المالية منها. والإقساط: هو إعطاء الآخرين قسطهم ونصيبهم وهو حقهم. والقاسط: هو الذي يأخذ من الناس حقهم وقسطهم، فالعدل يشمل القسط أيضاً، في حين القسط هو نوع من العدل. للمزيد انظر:

- محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٨، مصدر سابق، ص ٧٠.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، مصدر سابق، ص ٣٤.

٤- إن نقوم بالقسط في مختلف حقول الحياة، فإن كان ظلم ناهضناه وأقمنا مكانه القسط.

٥- ولكن لسنا وحدنا نقوم بالقسط، بل علينا السعي لجعل الناس هم بدورهم يقومون بهذا الواجب، فإن من مسؤولية المؤمن الاجتهاد في العمل بما يُرضي الرب وبالذات في الأمور الاجتماعية.

لذلك فإن من واجبنا أن نقوم بخدمة المجتمع وتعليم الناس وتربيتهم حتى يُقيموا القسط في حياتهم.

إن أهمية هذا المبدأ وقوته تمثل القيمة العليا للدولة الإسلامية والسمة البارزة للإسلام، إذ جعل الإسلام العدالة القيمة العليا لتحقيق الرفاه والسعادة للذين يتجلى بهما هذا الدين في كل جانب من جوانبه، وناحية من نواحيه، ناحية الدولة والقضاء، والعائلة، والمعاملة، والمباشرة، بل المجتمع كله، فبالعدل قامت السموات والأرض، والمقاييس الدقيقة، والمقادير العادلة، والعدل هو المقياس العام الذي يلفُّ في إطاره الكون من المجرة إلى الذرة ومن المادة إلى الروح وإلى الحياة^(١).

إن إقامة الدولة الإسلامية على أساس مبدأ العدالة، يجعل أهداف الدولة الإسلامية متميزة عن سائر أهداف وغايات الدول الأخرى سواء تلك القائمة على مبدأ الاستبداد أم القائمة على أساس مبدأ الحرية لأن العدل مبدأ حاكم في الكون كله فالإسلام شريعة سمحاء، فك الله بها الأغلال عن عقل البشرية والآصار عن كاهل الناس وأعاد إليهم حريتهم التي خلقهم عليها.

ثانياً: احترام الاختلاف

إن الإسلام رسالة عالمية شمولية لجميع أبعاد الحياة، فهو لم يختص بإقليم

(١) محمد المهدي الشيرازي، العدالة الإسلامية، ط ١، النجف الأشرف، مطبعة العزي الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٠ هـ، ص ٦ - ٨.

معين، ولم يتحدّد بزمان معين، ولا يعيش الحالة الطائفية الضيقة، فالله سبحانه وتعالى خلق البشر ليرحمهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾.

وهم يُشكّلون وحدة واحدة لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

والهدف من تقسيم البشر أن يحترم بعضهم بعضاً، ويعترف بعضهم بحقوق بعض (التعارف) وبتعبير آخر، الغاية هي أن ينظم الناس وضعهم (٣).

ويرى -السيد المدرسي- أن من الأهداف الأساسية لاختلاف الناس ألسنةً وألواناً هو التنافس البناء، وأن قصب السبق هو الكرامة التي تتمثل في التقوى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٥).

فالعلاقة بين الشعوب كما ذهب إليه -السيد المدرسي- تقوم على مجموعة من المبادئ هي كالآتي (٦):

١- التعارف (أي: الاعتراف ببعضهم).

٢- التنافس على الكرامة واستخراج كوامن نفوسهم.

(١) سورة هود، الآية ١١٨ - ١١٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، ط ١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م، ص ٥٧.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٦) محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلى في الحياة، مصدر سابق، ص ١٢٤.

٣- التعاون، إذ يقول ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿وَعَاوِظُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوِظُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١).

والرسالات الإلهية جاءت لكي يتعالى البشر على عبادة غير الله من عنصر أو إقليم أو قوم أو مصلحة مادية، ويتسامون إلى حيث التوحيد والتقوى والعمل الصالح والحب والاحسان، وتتواصل البشرية فيما بينها لتحقيق تلك الأهداف السامية ضمن دوائر مختلفة تلتقي في إطار الحق والعدل والتكامل والتعاون.

ويؤجّه -السيد المدرسي- سهام الانتقاد للأنظمة الشمولية ذات البعد الواحد، واصفاً الدين بأنه لا يُعدُّ نظاماً شمولياً ذا بعد واحد، لا في السياسة ولا في الاقتصاد ولا في حقل من حقول الحياة، بل هو النظام الأكثر تعددية وتنافسية فهو يؤمن بتنوع الشعوب والقبائل ليتعارفوا ويعترف بتعدد الأديان والمذاهب، ويُقرُّ باختلاف الألوان والألسنة (الأذواق ومناهج التفكير)، ويستوعب الاقتصاد الحر القائم على التنافس على الخيرات، ويُشجع الاستباق في العمل الديني بين الفئات المختلفة، ولذلك يعد السيد المدرسي هذا النظام الأكثر واقعية والأقدر على توحيد الأمم، والأقرب إلى كرامة البشر التي تتنافى مع الفرض والقهر واستلاب الحريات^(٢).

فالإسلام يؤمن بحرية المعرفة والثقافة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالجدال بالتي هي أحسن، وبشّر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأمر بالنظر والعقل والتفكير، ونهى عن الإكراه على الإيمان، ومن هنا نشأت في ظل الدين جامعات علمية شامخة، كان البحث الحر قاعدة أساسية فيها، وأصبحت هنالك معاهد علمية مارست، ولو بخفاء دورها في البحث الحر، والتي تجسّدت في الحوزات الدينية التي بالرغم من محدودية أنشطتها بسبب

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٥، ط ١، طهران، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤١٨ هـ، ص ٤١٥.

الأوضاع المعاكسة إلا أنها ظلت تمارس عملية الاستنباط، فاتحة أبواب الاجتهاد على مصراعيها^(١).

ولعل -السيد محمد تقي المدرسي- انطلق من تأسيس مبدأ الحوار بالرغم من الاختلافات الأيديولوجية، منطلقاً بذلك من دستور الدولة الإسلامية المتمثل بالقرآن الكريم الذي يقوم على قاعدة أساسها التوحيد، فجعل بذلك التواصل وبناء العلاقات هدفاً مهماً من أهداف الدولة الإسلامية، وهنا يُوجّه عدة تساؤلات للإجابة عن طبيعة تلك العلاقات بقوله:

«علينا أن نسأل أنفسنا: ما هو الأساس الذي تقوم عليه علاقتنا بعضنا مع بعض ومع سائر المجتمعات والشعوب؟ وهل هو أساس مادي قائم على أساس المصالح، أم على أساس الغنى؟ منا من يقول لا بد أن تكون القيادة لي لأنني أغنى من الآخرين، أم على أساس أن المنتصر منا يقول لغير المنتصر: إنني أفضل منك لأن الله منح لي من دونك نعمة النصر»^(٢)؟ وهنا يجيب -السيد المدرسي- عن تلك التساؤلات بأن هذه الاعتبارات وغيرها هي بحد ذاتها «علاقات عنصرية نحن لا ندعو إليها، وتجب علينا محاربتها والقضاء عليها، فلا يجوز لأي إنسان أن يدعي الفضل على إنسان آخر، فمثل هذه العلاقات هي التي تهدم أساس التوحيد في المجتمعات الإسلامية، فلا يجوز لي أن استهين بفلان من الناس لأن بلده محتل، ولأنه مظلوم، ومستضعف ولم يكتب له الله تعالى النصر لحد الآن»^(٣).

وفضلاً عن ذلك فإن المكاسب الرسالية والتأريخ الجهادي الطويل يجب ألا يدفع الإنسان المؤمن إلى التكبر على الآخرين والطلب منهم أن يخضعوا له، فالإنسان قد يعيش عمراً طويلاً وهو يعيش الاعتقاد بأنه مؤمن ومخلص لله تعالى ولكن كل ذلك قد يتحول إلى تمنيات وأحلام وإذا بهذا الإنسان يهتف قائلاً:

(١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج٩، مصدر سابق، ص ٤١٥.

(٢) انظر: محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلى في الحياة، مصدر سابق، ص ١٠٠.

(٣) المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ (١١) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (١).

فيأتيه الجواب من رب العالمين: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٢)(٣).

وهذا الانفتاح الرسالي الشامل ذو خصوصية ومعنى سياسي وعقائدي للاستيعاب والتأثير في الاقطاب والمحاور التي تعيش الحالة غير الإسلامية، وهذا ما يتطلبه العمل الرسالي من توفير كل مستويات الانفتاح الفكري والسياسي على تلك الدول والمحاور لبناء العلاقات السياسية والفكرية وفق الضوابط والأسس الإسلامية الصحيحة، فالدين الإسلامي بشرّ البشرية بالرحمة العالمية... ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤).

وتتجلى تلك الرحمة في اجتماع الأمم على أصول ثابتة يعرفها الجميع ولا ينكروها وأبرزها ألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً (فلا قوى مستكبرة وأخرى مستضعفة)، ولا تزال البشرية بحاجة إلى مثل هذا النظام العالمي الإلهي المنتظر وقوعه مستقبلاً بأذن الله تعالى (٥).

ثالثاً: التوازن بين الجوانب المادية والروحية

إن التوازن المادي والروحي في حياة الإنسان -عند السيد المدرسي- هدف مهم من أهداف الدولة الإسلامية، فيما أن الحكم الإسلامي منبثق عن دين سماوي يشمل جوانب الحياة البشرية كافة فإن أهدافه لا تقتصر على الجانب المادي والشكلي من البشر بل يشمل معه الجانب الروحي من الإنسان أيضاً، إن

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ - ١٠٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٠٠.

(٣) محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلى في الحياة، مصدر سابق، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٥) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٩، مصدر سابق، ص ٤١٧.

الحكم الإسلامي لا يرمي إلى بناء دولة مستقلة يسودها الأمن والنظام ولا تعيش بداخله أمة متعاونة ذات حقوق مدنية مصانة، أمة تتمتع بمستوى رفيع من الثقافة والاقتصاد، ولا يروم ذلك فقط، بل ويرمي إلى جانب ذلك إلى خلق أفراد متمتعين بسلوك حسن فاضل، بعيد عن كل الرذائل الخلقية، وكل الانحرافات النفسية، وكل الخرافات والأغلال الفكرية^(١).

وإن هذه السعة في أهداف الحكم الإسلامي نابعة من طبيعة القاعدة الفكرية التي يقوم عليها هذا الحكم، فإنه يقوم على أساس أن أمر العباد لا يرجع إليهم، ليعملوا ما شاؤوا، ويعبدوا من أحبوا وحبّذوا، بل إنه يرجع إلى الله تعالى، كله، وبما أن حاكمية الله شاملة لجميع أبعاد الإنسان من فلسفة وسلوك وتشريع فإن الدين والحكم الذي يقوم باسمه شامل لجميع أبعاد البشر^(٢).

إن الهدف من الدين وعمل الأنبياء هو أن يستمر الإنسان بالقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١١٣) ﴿٣﴾.

فالنبي ﷺ جاء من مكة المكرمة ورأى ما عليه جموع الجاهلية من فقر ومرض وجوع وتخلف، فأراد أن ينقذهم من هذا الجحيم الذي هو صورة مصغرة لواقع النار في الآخرة، ويهيئ لهم الرسول ﷺ حياة طيبة فيها العز والصحة والشبع والعلم، عبر إقامة دولته الإسلامية النموذجية، التي هي في واقع الأمر مثال لطبيعة الجنة التي وعد الله المتقين، والحديث الشريف يؤكد أن «من لا معاش له لا معاد له»، بمعنى أن من لا حظاً له في الحياة من حركة حيوية صادقة، لا يحق له أن يحلم بالنجاح في معاد الآخرة^(٤).

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٩٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، مصدر سابق، ص ٢٦ - ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٣.

(٤) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

ويرى السيد المدرسي أن العديد من الحركات الاجتماعية حينما تحولت إلى حركة دينية ذات رسالة حياتية -رسالة في الحياة وما بعد الحياة-، هذه الحركات تحولت إلى حركات تاريخية خالدة؛ وذلك لأن المجتمع أو المجتمعات أدركت أن حياتها ومماتها متعلقان بهذه الحركة وهذا الوجود، لأن الإنسان يبحث دائماً عن المنقذ...

ولعل أبرز الأمثلة على ذلك من وجهة نظر السيد المدرسي هو نموذج المصلح الإسلامي الكبير جمال الدين الأفغاني، الذي كان ينطق باسم الإسلام المتجرّد عن القوميات والجغرافيات وبقية الأمور الجزئية، فهو لم يتحدّد بلقب يدل على قوميته، ولم يُؤطّر نشاطه بدولة معينة؛ إذ أظهر دعوته في أفغانستان وإيران ومصر والهند والسودان وفرنسا وتركيا، حتى أنه من الملاحظ أن مختلف الحركات الإسلامية في هذه الدول وغيرها لها علاقة صميمية بهذا المصلح الإسلامي^(١)، وهو أيضاً لم يقل للناس: صلّوا فحسب، بل دعاهم -فضلاً عن إقامة الصلاة- إلى بناء حياتهم وقدراتهم وحضارتهم عبر التقدم العلمي والعزة الذاتية والوحدة الدينية والاجتماعية^(٢).

إن الدول التي تحكم العالم اليوم، رأسمالية واشتراكية، تقوم على أساس مادي بحت، وتطبق أنظمة منبثقة من عقلية مادية لا يُراعى في تطبيقها أي مجال للروح؛ ولذلك يرى تقي الدين النبهاني أنها تُمكن بذلك للحضارة المادية من أن تتحكم بالبشر، وهذا الأمر قد أدخل البشرية في أزمت روحية...

لذلك كان لا بد لإنقاذ العالم من دولة تمزج الروح بالمادة، وتمكن الحضارة الروحية وتجعلها هي السيد، والدولة الإسلامية هي وحدها التي تستطيع أن

(١) محمد تقي المدرسي، الوعي الإسلامي (الواقع المعاصر وآفاق المستقبل)، ط ٢، بيروت، مركز العصر للثقافة والنشر، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص ٩٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

تُهيئ هذا الأمر، لذلك كان قيامها لازماً^(١).

لذلك فالسيد المدرسي يتفق مع كون الدولة الإسلامية ضرورية لإحداث التوازن الروحي والمادي للأمة، لجعلها خير أمة، ومن ثم تصبح قدوة لنظيراتها من الدول الأخرى.

رابعاً: حسن التدبير

إن القانون العادل وتطبيقه على الدوائر الرسمية وغيرها لا يكفي لسير النظام على ما يرام ويرعى حقوق المواطنين، بل اللازم حسن التدبير في الإدارة ووضع جهاز المراقبة والتنسيق والكفاءة، والسيد المدرسي يسترشد بكنوز التراث الإسلامي الذي يؤكد ضرورة أن يكون للدولة جهاز إداري كفوء، فضلاً عن ملاك وظيفي قادر على إنجاز عمله على الوجه الأكمل. ويستشهد السيد المدرسي في هذا المجال بعهد الإمام علي عليه السلام في كتابه لواليه على مصر مالك الأشتر فيذكر السيد المدرسي «حينما نتكلم عن الحكم الإسلامي لا يمكن أن نتجاوز أثراً خالداً ومنهجاً واضحاً هذا العهد الخالد، والذي لم يكن خلوده بسبب نوع الكلمات المستفادة، ولا في ظرائف الأدب المستخدم... وإنما يكمن خلود هذا العهد في روحه وقيمه وتعاليمه، فهو منهاج قويم لكل حاكم يريد أن يحكم بالقسط وأن ينفع الناس»^(٢).

ففي هذا العهد يتضح أن الإمام علي عليه السلام قد جعل للنظام الديني القادر على إدارة المجتمع الإنساني ركيزتين^(٣):

(١) نقلاً عن: فهمي جدعان، نظريات الدولة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر (في مجموعة باحثين، الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي)، ط ١، ج ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م، ص ١٥٢.

(٢) انظر: محمد تقي المدرسي، الحكم الإسلامي في مدرسة الإمام علي عليه السلام، ط ١، بيروت، مركز العصر للثقافة والنشر، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣٤.

الأولى: الإيمان الذي يتجلى في الواقع العملي بالتقوى، والالتزام الطوعي بالأنظمة والآداب.

الثانية: القوانين التي تُنظّم علاقة الناس ببعضهم، والتي تطبق بالروادع الخارجية.

ويشير السيد المدرسي إلى تأكيد الإمام علي عليه السلام على دور الروادع الخارجية في إدارة الدولة، وأبرزها رقابة الشعب على أداء الحكومة^(١).

وأيضاً يوصي الإمام علي عليه السلام واليه باختيار الكتاب والموظفين عموماً اختياراً قائماً على حسن التقدير، لا سيما بالنسبة إلى مَنْ تُحفظ عنده الرسائل السرية التي تحتوي على خطط القيادة وأسرارها، فيوصيه بأن يختار منهم أكثرهم تحلياً بصفات الكمال، وحسن الأخلاق^(٢).

وقال: إن في صلاح القضاء صلاح الأمة، ولا بد من اختيار أفضل الناس للقضاء، وهو الذي تجتمع فيه مجموعة من الصفات، من جملتها مَنْ يملك سعة الصدر فلا تضيق به الأمور، مَنْ لا يثيره الخصوم، مَنْ لا تُنازعه نفسه في حطام الدنيا.

وغيرهما من المعايير والوصايا الوجيزة والبليغة، والتي أوسع فيها الإمام علي عليه السلام علم القضاء حكمة^(٣)، والسؤال المهم في هذا المجال هو:

ما هي الإدارة؟ وكيف يستطيع الإنسان اكتسابها؟

يجيب السيد المدرسي قائلاً: إن هناك بعضاً من الناس يعملون لمدة طويلة في الصفوف الاجتماعية ولكنهم لا يصبحون مُدراء جيدين؛ ذلك لأن الإدارة

(١) المصدر السابق نفسه، الصفة نفسها.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٣) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٧.

ليست صفة من السهل اكتسابها، وحتى لو أراد الإنسان أن يكون مديراً جيداً فإنه لا يمكنه خلال مدة قصيرة اكتساب هذه الملكة من خلال قراءة ودراسة الكتب والاكتفاء بالجانب النظري، إن الإدارة تعني معرفة المجتمعات البشرية والاطلاع على طبائعها وكيفية التعايش معها، والمدير المدبر للمجتمع الإسلامي لا بد أن يتعرف بصورة مباشرة إلى نفسيات المئات من الأشخاص، وأن يعرفهم معرفة عميقة وشاملة ثمكته من أن يُوظفهم لتحقيق الأهداف الإسلامية، وأن يُلقي على عواتقهم مسؤوليات الأمة، ونحن بإمكاننا تعلم الإدارة من النصوص الشرعية، فالإدارة هي الصبر والحكمة والاستقامة وخدمة عباد الله والإحسان إليهم والتضحية من أجلهم، وجميع هذه المعاني وغيرها نراها في النصوص الشرعية^(١).

وفضلاً عن ذلك فإن العالم الإسلامي زاهد في الدنيا وعابد مخلص في عبادته، كما أنه مدير ومدبر في الحياة، وعندما سئل العلامة الميرزا الشيرازي صاحب ثورة التنبك عن شروط المرجعية قال: إنها تبلغ مائة شرط، الشرط الأول هو العلم، والشرط الثاني التقوى، أما الشروط الثمانية والتسعون المتبقية فتتمثل كلها في (الإدارة)، لأن عدم تمتع الفقيه بالقدرة على الإدارة والتدبير لا يمكنه من قيادة الناس وإدارة حياتهم، ومن ثم لا يمكنه أن يجند ويُعبئ الطاقات الجماهيرية^(٢).

وإذا كانت هذه الشروط قد تبدو مبالغ فيها إلا أنها تُشير إلى الأهمية الكبيرة التي يُوليها العلماء لصفات الإداري الجيد وحسن تدبيره لأُمور المجتمع.

خامساً: حماية المستضعفين

إن الدولة الإسلامية لا تقوم على أساس الاستبداد والفوضى، ولا على

(١) محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلى في الحياة، مصدر سابق، ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٢.

أساس الحزبية التي تؤدي إلى انتشار المفاسد، بل تقوم -بحسب رأي السيد المدرسي- على أساس العدالة، فإنه من واجبها -كما أشرنا سابقاً- أن تُحقّق العدالة، وأن تحمي الضعفاء من الأقوياء والمظلومين من الظالمين^(١)؛ ويرى السيد المدرسي أنه وعلى الرغم من أن الطغاة والجبابرة يدعون أنهم يحافظون على أمن البلاد إلا أنهم أخطر مصدر للتوتر والخوف والقلق؛ لأنهم يجعلون الناس شيعاً يستضعفون طائفة منهم (هم أغلب الناس)، ويصادرون حق الناس في الاستقلال والكرامة والحرية والعيش الرغيد، ويوقفون مسيرة التقدم ويفرضون التخلف ويُشيعون الفساد، من هنا كان الواجب التخلص من خوف الطغاة ورفض ولاية الشيطان وإقامة حكم الله^(٢). والتأريخ الإسلامي فيه دلالات واضحة على أن الفتوحات الإسلامية كانت رحمة للشعوب؛ لأن المسلمين إذا دخلوا بلداً ساووا بين أنفسهم وبين أهل هذا البلد، ونصروا المستضعفين في ذلك البلد، ولم يُجبروهم على الدخول في الدين الإسلامي، وكانوا يهتمون بتطبيق تعاليم الدين الإسلامي التي تنطلق من مبدأ المساواة بين الناس^(٣).

فقد جاءت بعثة الرسول محمد ﷺ لتُضفي على الحياة معاني جديدة بكل معانيها، وقد سُمّيت رسالته بعثة، من الانبعاث أي الحياة بعد الموت، «وأي مئة أسوأ من مئة الجاهلية، التي كان يتخبّط في وحلها أولئك الذين تمرّدوا على قيم السماء، وكفروا بكل المبادئ السامية في الحياة الإنسانية»^(٤).

ولعل أبرز القيم الجاهلية التي أنكرها الدين الإسلامي وأدّ البنات المستضعفات اللاتي كنّ ضحايا الجاهلية النكراء، فجاء الإسلام واستطاع من

(١) محمد تقي المدرسي، رؤى في طريق العودة، ط ١، بيروت، مركز العصر للثقافة والنشر، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م، ص ١٥٧.

(٢) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٨، مصدر سابق، ص ٥٠ - ٥١.

(٣) محمد تقي المدرسي، النهج الإسلامي، مصدر سابق، ص ٧٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، رؤى في طريق العودة، مصدر سابق، ص ١٤.

خلال قيمه السامية وأهدافه النبيلة أن يُخلَّص المجتمع من العادات والممارسات الجاهلية السيئة ليُقيم الحكومة الإسلامية^(١).

ونخلص ممّا تقدّم إلى أن السيد محمد تقي المدرسي قد جعل للدولة مجموعة من الخصائص تتميز بها، فهي دولة عقائدية تركز على الإسلام، وهي دولة ذات رسالة حضارية مفتوحة على العالم وشاملة لا تختص بأمة دون أخرى ولا قومية دون أخرى، وهي تتميز بتضمينها للخصوصية الأخلاقية، فالأخلاق بالنسبة إليها هي الحياة وإذا فقدنا الأخلاق فقدنا الحياة، وخسرنا الرسالة والتقدم، ولكي تتحقّق الخصائص تنطلق الدولة الإسلامية صوب أهدافها المتمثلة بالعدالة والتواصل وبناء العلاقات الإنسانية بين الشعوب المختلفة، ومن خلال ذلك تحافظ على التوازن المادي والروحي للإنسان، على العموم فهي دولة منظمة إدارياً غايتها حماية المستضعفين في بقاع العالم بأسره.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٤ - ١٥.

وظائف الدولة في فكر المرجع المدرسي

يؤكد السيد محمد تقي المدرسي أن تحقيق الحياة الإسلامية بصورتها الكاملة رهن بقيام دولة إسلامية، فاستعداد المجتمع للتعاون وفق مبادئ الإسلام يبقى استعداداً نظرياً ما لم تكن هنالك سلطة مسؤولة عن تطبيق الشريعة السماوية ومنع الخروج عنها، لا سيما في الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمثل هذا الأمر لا بد أن يستند إلى مرجع له من السلطة ما يتيح له الأمر والنهي، وذلك المرجع هو الدولة، ويُجَدّد السيد محمد تقي المدرسي عدداً من وظائف الدولة التي يُعَدُّها جزءاً من سعيها للتطور ومواصلة الركب الحضاري للمجتمع، وتتمثل تلك الوظائف بالآتي:

- أولاً: الوظائف السياسية للدولة في فكر السيد محمد تقي المدرسي.
- ثانياً: الوظائف الاجتماعية للدولة في فكر السيد محمد تقي المدرسي.
- ثالثاً: الوظائف الاقتصادية للدولة في فكر السيد محمد تقي المدرسي.

المطلب الأول: الوظائف السياسية

أشار العديد من المفكرين الإسلاميين المعاصرين إلى وظائف الدولة، وجعلوا أبرز وظائفها سعيها إلى نشر الأمن في ربوع البلاد، وتوفير الطمأنينة

لجميع أفراد الشعب، سواء كانوا من المسلمين أم من أهل الذمة، من طريق حماية أرواحهم وأموالهم وأعراضهم^(١).

فعلى الدولة الإسلامية «تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تنظر الأعداء بعزة ينتهكون بها محرماً أو يسفكون فيها دمًا لمسلم أو معاهد»^(٢)، لذلك فإنه يجب أن تكون حالة التأهب والاستعداد مستمرة في الدولة الإسلامية لمواجهة أي اعتداء على حدودها وبث الرهبة والخوف في قلوب الأعداء، كل ذلك لكي تقوم الدولة الإسلامية بتنفيذ أمر الله بقتال الذين يعتدون على حرمة الله، وحتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

ويرى السيد محمد تقي المدرسي أن نظام الجيش في الدولة الإسلامية يختلف عن الأنظمة الأخرى؛ ذلك لأن الجيش في الإسلام داخل في الشعب، بل هو الشعب كله، فإذا احتاج المسلمون إلى الدفاع عن أنفسهم أو الهجوم على أعدائهم، هب الناس كلهم لذلك، ويجب على المسلمين جميعاً أن يكونوا قادرين على حمل السلاح، ومن هنا فليس في الإسلام استخدام الجيش ضد الشعب - كما هو الحال في الدول الحديثة - بل الجيش يقف دائماً مع الشعب؛ لأنه ليس جهازاً كغيره من الأجهزة^(٣).

فالجهاد فريضة إيمانية في حالة تشكّلت دولة الإسلام - حسب تصورات السيد المدرسي -، ويكون في الحالات الآتية^(٤):

أولاً: عندما تتشكّل دولة الإسلام فيتعرّض المسلمون فيه لهجوم عسكري فإن عليهم أن يقاتلوا دون دينهم وديارهم وأهلهم وأموالهم، وذلك لقوله تعالى:

(١) عبدالغني بسيوني، النظم السياسية، ط ١، بيروت، دار الجامعية، ١٩٨٤ م، ص ١٥٧.
(٢) انظر: محمد مبارك، نظام الإسلام الحكم والدولة، ط ١، طهران، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م، ص ١٥٦.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٣٥.
(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الجهاد وأحكام القتال، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م، ص ١٥١.

﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

ثانياً: وعندما يتعرّض المسلمون في بعض البلاد لاستضعاف ديني أو دنيوي فهناك يجب على سائر المسلمين الدفاع عنهم بالقتل، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾^(٢).

ثالثاً: يجب قتال البغاة على دولة الإسلام الذين يستخدمون السلاح ضد الدولة، وقد ألحق بهم مانعو الزكاة، والأقوى إلحاقاً كل تمرد بالسلاح، ومن ذلك قتال الذين يبعون بعد إقامة الصلح، لقوله تعالى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣).

رابعاً: إن النبي وأوصيائه المعصومين (عليه وعليهم الصلاة والسلام) يدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده، فإن أبوا قاتلوهم حتى يؤمنوا أو يعطي أهل الكتاب منهم الجزية، ويُسمّى هذا النوع (بجهاد الدعوة)، وقالوا: إن هذا الغرض قد سقط اليوم، وقال بعض: إنه قائم مع الفقيه العادل، وهنا -وحسب رأي السيد المدرسي- تظهر ضرورة سياسية لانتخاب القيادة الإسلامية القادرة على تبليغ الدعوة الإسلامية في الآفاق، فمهمة القيادة الإسلامية في الدولة الإسلامية هو إرساء دعائم الدين الإسلامي في الدولة الإسلامية من جهة، ونشر آفاق الدعوة الإسلامية إلى العالم من جهة أخرى^(٤).

ولكن -السيد المدرسي- يضع شروطاً للحاكم الإسلامي الذي يتولّى

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٧٨.

هذه المهمة بكونه عالماً عارفاً بالدين والسياسة، ويتميز بالكفاءة الإدارية، فضلاً عن جملة من الصفات الأخلاقية الأخرى^(١)، ويحمل الأمة الإسلامية مسؤولية اختيار الحاكم الجيد الذي يستطيع أن يقود الدولة الإسلامية إلى بر الأمان وتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية للأمة الإسلامية^(٢).

والحاكم الذي يتَّصف بالصفات النبيلة يستطيع أن يوحد المسلمين وأن يُحقّق التعاون بين أفراد الأمة الإسلامية^(٣)، فالوحدة الإسلامية تتجسّد من خلال إقامة الدولة الإسلامية وهنا نصل إلى نهاية الآلية التي يمكننا بواسطتها توحيد الأمة الإسلامية - فالسيد المدرسي - يدعو إلى نشر الدعوة الإسلامية بطريقة سلمية، ويرى أن وحدة الحركات الإسلامية هي الطريق الأقصر لوحدة الأمة ومن ثم لوحدة الدولة الإسلامية، وهذه الفكرة نابعة من أن المؤسسات الاجتماعية هي التي يجب أن تتصدّى لهذا الدور، وأفضل هذه المؤسسات هي الحركات الإسلامية^(٤)، والسيد المدرسي يضع ثلاث مراحل تدريجية لتحقيق الوحدة، وهذه المراحل هي الآتية^(٥):

المرحلة الأولى: الدعوة إلى العمل الجمعي؛ ذلك لأن روح الجمع والفريق تُكرّس الخبرة وتزيد من العمق، لكن المشكلة كما يراها - السيد المدرسي - تكمن في واقع التخلّف المسيطر الذي يدعو عادة إلى العمل الفردي إلى الحد الذي لا يستطيع فيه أحد أن يعمل مجموعاً، ونظراً لأن الكفّة الراجحة هي كفة الأعداء التقليديين فيدعو السيد المدرسي إلى مقابلتهم بجهود حثيثة وغير متناثرة هنا

(١) محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلّى في الحياة، مصدر سابق، ص ٨١.

(٢) محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، مصدر سابق، ص ٥٨ - ٥٩.

(٣) محمد تقي المدرسي، في رحاب الإيمان، ط ١، طهران، انتشارات مدرسي، ١٤١٧هـ، ص ١٥٣.

(٤) عبد الغني عباس، تطلع أمة (قراءة في أفكار آية الله السيد محمد تقي المدرسي)، مصدر سابق، ص ١٢١.

(٥) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

وهناك، بل المطلوب التوجُّه إلى العمل الجمعي لكي يكون التأثير أكبر، وهذه الدعوة لا بد أن تجد طريقها بين الحركات الإسلامية والطلائع، ومنهم تنتقل إلى باقي المؤسسات والتجمعات.

المرحلة الثانية: تأكيد القواسم المشتركة بين الحركات الإسلامية، وهذه القواسم -من وجهة نظر السيد المدرسي- أكثر من أن تُحصى، وأهمها وحدة المنطلق والأهداف، وهذه الوحدة لا بد أن تُؤثر تأثيراً مباشراً من تحديد الاستراتيجيات وسُلم الأولويات. ويرى السيد المدرسي أنه إذا تمَّ تحديد ذلك بالنسبة للحركة الإسلامية فإنه يمكن أن توجد حدًّا أدنى على أقل الاحتمالات من الرؤى الموحدة وطريقة العمل المشترك^(١)، وفي هذا المجال يدعو -السيد المدرسي- إلى التواصل الثقافي بين الحركات الإسلامية سواءً عبر الحوارات أم المؤتمرات أم اللقاءات الثنائية، حتى يكون هذا التواصل رسول الحوار والتشاور والاتفاق على الحد الأدنى من القواسم المشتركة، كما أن هذه الرسل تتكفَّل بمناقشة مشاريع الحاضر والمستقبل، لا أن تُحاكم الماضي.

المرحلة الثالثة: الدعوة إلى قيادة موحدة للحركات الإسلامية سواءً لشخص أم مؤسسة، وضرورة هذه المؤسسة تنبع من قدرتها على إدارة العمل المشترك وامتصاص الخلافات بين الأطراف، فالوحدة في تصورات -السيد المدرسي- هي مطلب ديني واستراتيجي، ومن أجل تحقيقها لا بد من امتصاص الأزمات وعوامل التناقض المفتعلة وصولاً إلى الأهداف الكبرى التي يتفق عليها الجميع في الأمة الإسلامية^(٢).

وقد لخص السيد المدرسي -في كتابه القيادة الإسلامية- الوظائف السياسية للدولة الإسلامية بوصفها مسؤولة عن الدفاع والأمن والنظام،

(١) عبد الغني عباس، المصدر السابق نفسه، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

وغايتها الأسمى المحافظة على العدل بين الناس، وهي تعني طائفة من الغايات السامية بذاتها، وهي من وجهة نظر السيد المدرسي على النحو الآتي^(١):

- ١ - حماية الأمة من العدوان الخارجي.
- ٢ - صيانة الأمة من المظالم الاجتماعية.
- ٣ - توفير الحريات الأربع للناس، (أي الحريات الاقتصادية والسياسية والفكرية والشخصية).

والغاية الأسمى التي ترمي إليها السياسة في الإسلام يتصورها -السيد المدرسي- تتجلى في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢).

والقسط هو الهدف الذي يسعى إليه بعث الرسل وإنزال الكتاب والميزان، فهي كلمة جامعة لكل الغايات الثلاثة من حماية الأمة وحفظها من أن تعتدي على غيرها، أو تقع ضحية عدوان الآخرين وصيانتها عن أن يعتدي بعضها على بعض (بجهل أو جهالة) وعن اغتصاب السلطة حرياتهما، وذلك أنه لو وقع شيء من ذلك لارتفع القسط ووضع مكانه الظلم بصفة عامة^(٣).

وتدخل ضمن هذه القاعدة الكلية مجموعة من الوظائف السياسية التي تضطلع بها الدولة، وهي على النحو الآتي^(٤):

- ١ - حماية الحقوق المدنية، فإن المسلم حرام على المسلم، دمه وماله وعرضه، وعليه فقد ألزم النظام الإسلامي المعتدي أشد العذاب ولاحقه في كل مكان.

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٨.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٣) محمد تقي المدرسي، فقه الحدود وأحكام العقوبات، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م، ص ١٧٧.

(٤) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٨ - ٨٩.

- ٢- حماية كرامة المواطن -مسلماً كان أو ذمياً-، المتهم بريء حتى تثبت إدانته ولا بد من حمل فعل المسلم على الخير مادام يحتمل ذلك.
- ٣- توفير الحريات الاقتصادية والسياسية والفكرية، والشخصية لكل فرد والمحافظة على هذه الحريات من كل استغلال واحتكار وسيطرة وتضليل... إلخ.

كل ذلك بملاحقة المعتدي عليها بأعنف العقاب وأشد العذاب، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

المطلب الثاني: الوظائف الاجتماعية

نُعَدُّ الدولة من وجهة نظر السيد المدرسي مؤسسة لا غنى عنها طالما أن الإنسان اجتماعي بطبيعته^(٢)، وبما أن الإسلام نظام شامل للحياة فإنه كفيل بإيجاد بيئة اجتماعية تتيح لأكبر عدد ممكن من أفرادها أن يعيش روحياً ومادياً في توافق مع القانون الفطري، وبما أن الإنسان مفطور على النشاط والعمل وهو لا يجب الفراغ والبطالة لذلك نرى أن -السيد المدرسي- يقول: «إن الإسلام لا يقول للناس، اعملوا فقط، وإنما يقوم برفع الموانع والعقبات من طريقهم ويفك عنهم الأغلال فتتحرك طبيعتهم البشرية المحبة للعمل والنشاط»^(٣).

ويذكر السيد المدرسي أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد تضمنت الكثير من الآيات والنصوص التي تسعى من أجل تحطيم الأغلال بأشكالها

(١) سورة المائدة، الآية ٣٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، ط ١، كربلاء المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص ١٨٧.

(٣) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، ط ٦، كربلاء المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤٠٨هـ، ص ٢٥.

كافة، وهي على النحو الآتي^(١):

أولاً: الخشية من السلطة أو أصحاب القوة التي تؤدي إلى سيطرة الدكتاتورية أو تستقدم قوات الاحتلال الطامعة، لذلك يقول القرآن الكريم مخاطباً المؤمنين: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^(٢).

ويقول: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(٣).

وهكذا فهو يرمي إلى إزالة خشية العباد التي تُقيّد البشر وتكبّله ويبقي على خشية الخالق التي تدفعه من أجل الجد والعمل.

ثانياً: الخوف من الأخطار المستقبلية والحزن على الخسائر مما يُحطّم معنويات الإنسان، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

وهنا يدعو السيد المدرسي إلى أن يتحرّر الإنسان من كابوس الحزن والخوف، فيكون بذلك اندفاعه في الحياة عظيماً.

ثالثاً: تأثير الأشياء الكاذبة والأفكار الخاطئة التي يقول القرآن عنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٥).

وهنا يدعو السيد المدرسي إلى قراءة كتب علماء الإسلام المجاهدين الذين ينقلون لنا الثقافة الإسلامية من معينها الصافي، بدلاً من قراءة كتب الماركسيين والماديين الغربيين والتأثر بها.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٣.

(٤) سورة الأحقاف، الآية ١٣.

(٥) سورة الحجرات، الآية ٦.

وقد لا نتفق مع السيد المدرسي في رأيه بخصوص الاستغناء عن كتابات الآخرين؛ فإنها تظل نتاجات مهمة تفيد المقارنة بينها وبين ما أنتجه الفكر الإسلامي.

رابعاً: الاستحياء من الحق الذي هو غُلُّ اجتماعي ثَقِيل يُكَبِّل طاقات الأفراد، ويمنعهم من أداء كثير من الأعمال الضرورية أو المفيدة، فعندما يُريد شخص أن يُقدم على عمل بناء فإنه يحسب ألف حساب لكلام الناس عنه ونظراتهم إليه، فإذا ما أحسَّ أنهم سيسخرون منه ويعيبون عليه وإن كان عن جهل منهم، فإنه يُججم عن العمل، والقرآن ينسف الخضوع لهذا الضغط إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾^(١).

والسيد المدرسي يرى أن الله خلق الأرض والسماء وجعلها مُسَخَّرَةً للبشر، وجعل فيها متاعاً إلى حين، وإن ما جعل لهم يكفي لكل البشر، وهو بذلك ينتقد النظريات المادية التي تعتقد - حسب تصوراته - أن ما في الأرض لا يكفي الناس جميعاً فلا بد أن يتصارعوا لكي يُفلح الأقوى بالعيش ويفنى الضعيف^(٢).

والدولة الإسلامية وفق تصورات - السيد المدرسي - مهمتها لا تنحصر في الحث على العمل وإنما محاربة البطالة، فلا بد للإنسان أن يكون نشيطاً في طلب الرزق ساعياً كي لا يكون متأخراً أو يكون كلاً على غيره؛ لأن من ألقى كَلَّهُ على الناس فهو ملعون، فعلى لسان الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالجد والاجتهاد، وإذا صليتم الصبح فانصرفتم فبُكِّروا في طلب الرزق، واطلبوا الحلال فإن الله سيرزقكم ويُعينكم عليه»^(٣).

ويرى السيد المدرسي أن البلد المسلم لا بد له من زراعة وتجارة وصناعة، وقد كان الأئمة عليهم السلام - وهم قادة الدين - يزرعون ويفلحون، فيقول أحدهم:

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

(٢) محمد تقى المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤١١.

(٣) محمد تقى المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤١٢.

«إني أشتهي أن يراني الله عز وجل أعمل بيدي وأطلب الحلال»^(١).

كما يرى الإسلام أن التجارة خير، ويأمر بها ويُرغب في أن يُبكر الفرد إليها، وأن يتحمّل المشاق في سبيلها. ولقد كان الرسول ﷺ والإمام الصادق عليه السلام يقومان بالتجارة شخصياً^(٢).

والمجتمع البشري -من وجهة نظر السيد المدرسي- له قوانين وأنظمة ذاتية تُحفّز على العمل وتساعد على ديناميكية المجتمع، ولعل أبرز تلك الأنظمة والقوانين هي الآتي^(٣):

أولاً: قانون التفاضل بالسعي

أي إن المجتمع يتألف من طبقات تقوم على:

- ١- أسس سليمة وهي العلم والخبرة والكفاءة والقدرة البدنية... إلخ.
- ٢- لا يوجد بينها استعلاء أو تفاخر، فأفراد المجتمع متساوون في الإنسانية وسواسية أمام القانون القضائي، وهذه غير الطبقة البغيضة التي تقوم على أساس العنصر والدم أو الثروة والمال أو المنصب أو المركز الاجتماعي، أو على أسس عشائرية وطائفية وعائلية وما أشبه..

ثانياً: قانون التعاون

وهذه الطبقات التي تُشكّل جسم المجتمع غير منغلقة على ذاتها، بل تنفتح على بعضها بالتعاون المثمر البناء فيكمل بعضها بعضاً فلا غنى لواحدة عن الأخرى، كما أن علاقتها مبنية على أسس المحبة والاحترام المتبادل.

(١) محمد تقي المدرسي، النبي محمد قدوة وأسوة، ط١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٨٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ١٧.

ثالثاً: قانون التكافل والضمان الاجتماعي

أي إن الفقراء والمساكين وذوي الحاجة ممن وقعت بهم كارثة تعرّضوا لها، أو مرض ألمّ بهم، أو شيخوخة أصابتهم تُنشأ لأجلهم جميعاً مؤسسات خاصة تقوم برعايتهم، وهم من يسميهم الإمام علي عليه السلام بعمال الرفق والإنصاف، وهذا القانون يجلب الاطمئنان للفرد فيما يخص مستقبله، ومن ثمّ يؤدي إلى زيادة إنتاجه، فضلاً عن إشاعة روح التراحم بين أفراد المجتمع^(١).

رابعاً: قانون إعطاء المجتمع حق العيش بكرامة

ويتضمّن هذا القانون أهل الذمة من اليهود والمسيحيين وغيرهم الذين يعيشون بين المسلمين، ولهم حق العمل والإقامة والتوظيف والتنقل، وغيرها من الحقوق الأخرى التي تكفلها الدولة الإسلامية لهم، في مقابل أن يدفعوا الجزية التي تقوم مقام الخمس والزكاة بالنسبة للمسلمين.

وقد عبّر بعض المفكرين المعاصرين عن آراءهم حول موضوع الجزية وإمكانية استبداله بنظام الضرائب الذي من شأنه تحقيق المواطنة المتساوية.

خامساً: المحافظة على العلاقة المشروعة بين الجنسين

الإسلام مجموعة من النظم في حقل الاجتماع - من وجهة نظر السيد المدرسي - ترمي إلى خلق مجتمع أسري متعارف تسوده الفضيلة والمعرفة وروح النشاط والعمل، وفي سبيل بلوغ هذا الهدف يضع الدين عدة تعاليم تجعل الدولة مسؤولة عن رعايتها وتطبيقها، وهي على النحو الآتي^(٢):

١ - المحافظة على العلاقة المشروعة بين الجنسين بوضع حدود فاصلة لها تمنعها من هدم الأسر، فالزنا واللواط والشذوذ الجنسي والتبرّج

(١) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ١٩.

(٢) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٩١.

والدعوة إلى واحدة منها، محرمات، فعلى الأمة المحافظة أن تراعيها وتجتنب عنها باستمرار، وعلى الدولة إنزال العقوبة على من يتعدى هذه الحدود، والزواج مُحَبَّذٌ، ومن ثَمَّ فعلى الدولة توفير فرص تسهيله والتشجيع عليه.

٢- المحافظة على صلة الرحم، والتعاون بين أبناء الأسرة الواحدة، والتكافل في العيش، فيجب على كل فرد أن يُعِيل أسرته بالمعروف.

٣- على الأمة أن تتعاون وتتكافل، وعلى الدولة أن تُشجّع على هذا التواصل أبداً، ويحرم التباغض والتناحر، ويجب على الدولة فرض عقوبات ملائمة على من يمشي بين الناس بالقطيعة.

٤- على الأمة توفير وسائل المعرفة بفتح المدارس وتشجيع المتعلمين وإكرام العلماء.

٥- كما أن على الأمة إيجاد فرص العمل وملاحقة الكسل وتربية الأبناء على النشاط والجد بإلقاء عبء الحياة على كواهلهم^(١).

المطلب الثالث: الوظائف الاقتصادية

إن المفتاح لفهم الاقتصاد -من وجهة نظر السيد المدرسي- هي أن الإسلام يفصل القوة الاقتصادية عن القوة السياسية، أي إنه في ظل نظام اقتصادي إسلامي لا يكون المال هو الحاكم على المجتمع، وينتقد افتراض ماركس في نظريته حول المجتمعات والتي قال فيها^(٢):

إن الاقتصاد هو الحاكم، وإن المؤسسات الاقتصادية ووسائل الإنتاج هي التي تُحدّد الوضعية العامة للمجتمع، فالإسلام -وفق تصورات السيد المدرسي- يُوجّه الاقتصاد بحيث لا يكون الإنسان تابعاً وخاضعاً لوضعه الاقتصادي؛ لأن

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٩١.

(٢) الصحافة تحاور العلامة المدرسي، ط ١، بلا، دار البصائر للطباعة والنشر، ١٩٨٥ م، ص ٣٥.

ذلك من شأنه أن يتناقض مع ما يريده الإسلام من قيم، ومن هنا فإنه حرم على الغني أن يطغى في الأرض لينسى إنسانيته وقيمه ويرتبط بطبقة البرجوازية، وكذلك حرم على الفقير أن يخضع لفقره ويستسلم للغني لغناه، ففي الحديث الشريف: «من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه».

هذا من ناحية العموميات، أما إذا أردنا الدخول في التفاصيل فالملاحظ اليوم أن وسائل الإنتاج متركزة إما بيد الدولة أو بيد أصحاب رؤوس الأموال، هذه الحالة أفرزها عدم إمكانية اعتماد اقتصاد بلد ما على وسائل الإنتاج الفردية كمحراث بيد فلاح أو مأكنة صغيرة لشخص لا تنتج إلا القليل، إن عالم اليوم يتجه - شئنا أم أبينا - نحو تكديس الثروة حتى يكون الإنتاج إنتاجاً معطاءً يساير التوسع والتطور الكمي والكيفي في مختلف مناحي الحياة، وهنا تبرز مشكلة مؤداها أن الدولة وأصحاب رؤوس الأموال قد يستهلكا طاقات الفرد دون أن يطورا فيها، الحل الإسلامي لهذه الحالة هو أن يكون زمام الإنتاج بيد الشعب عبر تعاونيات تشرف عليها الدولة، هذا الحل يجده السيد المدرسي معمول به جزئياً في الاتحاد السوفيتي (سابقاً)^(١)، عبر نظام (الكلخوزات) التي تعود ملكيتها للدولة بشكل محدود، أما النظام الآخر - ويسمى بـ (السلخوزات) - فتعود الملكية فيه للدولة بشكل مطلق، إن للإسلام القدرة على إيجاد التعاونيات وجعلها فاعلة لأنه لا يكفي اليوم أن نوجد اقتصاد متحرك، إنما علينا أن نوجد اقتصاد سريع التحرك يجاري الوضع الاقتصادي العالمي، بل ويسبقه^(٢).

ووفق تصورات السيد المدرسي فإن مشكلة الثروة من أهم المشكلات الاقتصادية التي يجب على الدولة الإسلامية التصدي لها وحلها، وأن تنطلق الدولة في حلها للمشكلة من خلال النظر إليها من عدة نواحي، فأولاً يجب أن يقوم الإسلام بتحليل المشكلة وبيان أسبابها، فالإنسان من وجهة نظر الإسلام

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

خُلِقَ حُرًّا مُخْتَارًا، وكل وجدان يشعر بذلك، وعليه فمن حق كل إنسان أن يسترشد بعقله ويستخدم حريته كيف شاء، من دون أن يكون لأي شخص آخر أن يُجَدِّد حريته، وليس لأحد أن يظلم أو يطغى على أحد، وحرية الإنسان هي التي تُثبت ملكيته الخاصة؛ وذلك لأن الملكية تجسيد للعمل والعمل جزء من الإنسان، فإذا كان الإنسان حُرًّا كان مالكاً لعمله ولما يؤدي إليه عمله، ومادام البشر كلهم يملكون أنفسهم وأموالهم؛ فليس لأحد أن يُثري على حساب أحد، كأن يُسخره أو يخذعه أو يغصبه أو يأكل ماله بالباطل، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الغني الذي يكتسب المال في ظل دولة توفر له الاطمئنان والأمن من الطبيعي أن يكون بعض ماله من حق تلك الدولة، فلا بد أن يؤدي حق هذه الدولة لتحفظ أمواله ونفسه وأمنه، ومن هنا ينشأ الخمس والزكاة، ومن جهة ثالثة فإن الإنسان الحريص على المال لا بد وأن يغفل حيناً (ولو كان مسلماً تقيّاً) ويسلب مال الناس من حيث لا يشعرون، فلا بد أن يرجعه إليهم، ومن هنا ينشأ (رد المظالم)^(١).

ومن جهة رابعة، فإن الناس كلهم - لا سيما في النظام الإسلامي - يشتركون في تنمية ثروة هذا الشخص الثري بتعاونهم وحفظهم للأمن وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وأمثال ذلك.. فلا بد أن يكون لهم سهم في أمواله، وهنا تنشأ سائر الضرائب. وخلاصة الحديث فإن الإسلام يحل مشكلة التضخم في الثروة من طريق معادلتين^(٢):

الأولى: منع ظلم الناس بعضهم لبعض وتحريم السخرة والاستغلال، علماً بأن التضخم ناشئ من طرق غير شرعية كالربا والحكرة والإقطاع والإجحاف والغش والتزوير.

(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤١٦.

(٢) محمد تقي المدرسي، الإسلام ثورة اقتصادية، ط ١، كربلاء المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٣٨٩ هـ، ص ٦٧.

الثانية: توزيع الثروات وتحديدتها من طريق فرض الضرائب المناسبة، وفرض قانون الإرث والالتزام بالنفقة على المضطرين والترغيب في إعطاء الصدقات.

وفضلاً عن قيام الإسلام بحل مشكلة الثروة فإنه يضع مناهج خاصة للتنمية الاقتصادية، وهي -وفق توجهات السيد المدرسي- تنطلق من خلال تحقيق الأهداف الآتية^(١):

- ١- الإسلام يُملِّك الأرض للذي يعمرها، ويُملِّك المعادن وموارد الثروة الطبيعية لمن استخرجها.
- ٢- إن الإسلام يُسهِّل للناس المعاملات ويكتفي بمجرد المعاطاة فيها، في حين تفرض الشرائع الأخرى قيوداً أخرى كالكتابة والإشهاد وما شابه ذلك.
- ٣- يضع الإسلام نظام القرض ويشجّع عليه، ويعد الدرهم في القروض خيراً من عشرة دراهم في الصدقة، كما يجعل الزكاة حصة لإداء دين العاجز فيأمر الناس بأن يقترضوا، فإن عجزوا عن الأداء أخذوا من أموال الدولة.
- ٤- ويجعل الإسلام في أموال الدولة سهماً للقرض يصرف في الإعمار والتنمية.
- ٥- ويقر الإسلام نظام المضاربة في حين يحرم الربا ليقوم كل من صاحب المال والعامل بقدم المساواة في الربح والخسارة، وبذلك يشجعهما على العمل.
- ٦- ويحرم الإسلام البطالة بأكل الربا ولعب القمار وكثير من أقسام اللهو.
- ٧- ويمنع الإسلام التبذير ويحجز أموال السفه (الذي يصرف المال في غير أوجه الصلاح)، وبذلك يوفر للدولة مالاً كثيراً.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١١٠.

٨- وَيُرَبِّي الإِسْلَامَ النَّاسَ عَلَى الْجِدِّ وَمِلْأَ الْفِرَاقَ وَضَبْطَ الْمَوَاعِيدِ وَالْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَالتَّعَاوُنَ وَتَعْلَمَ الطَّرِيقَ الصَّنَاعِيَّةَ وَمَا شَبَّهَ، مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى التَّنْمِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ.

٩- وَيُسَهِّلُ عَلَى النَّاسِ التَّبَادُلَ حِينَمَا يَقُولُ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْيَمِينِ، وَجَانِبُوا الْكُذْبَ، وَتَجَافَوْا عَنِ الظُّلْمِ، وَأَنْصَفُوا الْمَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ. وَبِهَذَا تُشِيعُ الثِّقَةَ بَيْنَ النَّاسِ فَيَسْهَلُ التَّبَادُلُ.

١٠- وَأَخِيرًا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُطْلَقُ جَمِيعَ الْحُرِّيَّاتِ الَّتِي تَنْمِي التَّجَارَةَ وَالصَّنَاعَةَ.

مما سبق نلاحظ أن السيد محمد تقي المدرسي قد أعطى دوراً للقطاع الخاص للنهوض بالاقتصاد الوطني، لا سيما إذا كانت دوافعه إنسانية وغاياته خدمة المجتمع وإعلاء كلمة الإسلام والمسلمين.

نستنتج مما تقدم: أن الدولة في الإسلام -ووفق تصورات السيد محمد تقي المدرسي- منظمة لأموال الناس وحافضة على توازنها، وليست غاصبة لحقوقهم مستقلة بشؤونهم، أما إذا عجز الناس عن إدارة شؤونهم فإن الدولة تتدخل وذلك بالاستقلال بها أو بإنشاء تعاونيات شعبية أو شركات عامة...

علماً بأن أوامر الدولة في الإسلام مطاعة من الناس، فاتباع الجيش لأوامر القيادة ليس ذلك رغماً على أنفه بل وفقاً لحريته، وخضوعاً لما أتبعوه من تعاليم دينهم، ويرى السيد المدرسي أن فلسفة الإسلام في حصر مسؤولية الدولة في الأمور السابقة، يتلخص في أن تدخل الدولة في الشؤون الاجتماعية يُوجب تحديد المجتمع وسلب حريته وخنق روح الإبداع فيه، وأخيراً لا ينتج منه إلا الضعف والعجز، كما أنه يُوجب تضخم مسؤوليات أجهزة الدولة وتعدد

علاقاتها، ممّا يسبب عدم قيامها بواجباتها الضرورية المهمة، كما نرى ذلك في أكثر الدول القائمة اليوم.

يتّضح جليّاً أن الدولة -عند السيد محمد تقي المدرسي- هي دولة قانونية لأنها تتقيد بالقانون الإلهي؛ لذا فإن الحاكم والمحكوم سواسية أمام القانون الإلهي.

فالدولة بذلك تُصبح ضرورة اجتماعية من أجل تنفيذ شرائع الإسلام وحماية مبادئه، ولا سيما عقيدة التوحيد، وللقيام بتلك المهمات اتّصفت الدولة بمجموعة من الخصائص أهمها أنها دولة عقائدية وحضارية وعالمية وأخلاقية في الوقت نفسه، وتلك الخصائص جعلتها تتّجه صوب تحقيق أهدافها المنشودة المتمثلة بالعدالة والتوازن والتنظيم الإداري والتواصل وبناء العلاقات وحماية الضعفاء، ويُحدّد السيد المدرسي عدداً من الوظائف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يَعدّها جزءاً من سعي الدولة للتطوّر ومواكبة الركب الحضاري، ويجعل من قيام الحكومة الإسلامية واجباً ضرورياً للقيام بتلك الوظائف.



الفكر السياسي عند المرجع المدرسي

الفصل الثالث

السلطة في فكر المرجع المدرسي

المبحث الأول: مصدر شرعية السلطة.

المبحث الثاني: ولاية الفقيه.

المبحث الثالث: وظائف السلطة.

المبحث الرابع: الحكومة الإسلامية.



الفصل الثالث

السلطة في فكر المرجع المدرسي

لا شك في أن إقامة الدليل على ضرورة قيام الدولة يؤدي بشكل منطقي إلى الدليل على ضرورة أن تكون هنالك سلطة وحكومة؛ لأن السلطة هي عنصر من عناصر الدولة وركن مهم من أركانها، ولأنها من أهم مقومات الدولة في الطروحات السياسية، لذلك ارتأينا تقسيم هذا الفصل على أربعة مباحث لدراسة السلطة وفقاً لتوجيهات وتطلعات السيد محمد تقي المدرسي، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: مصدر شرعية السلطة.

المبحث الثاني: ولاية الفقيه.

المبحث الثالث: وظائف السلطة.

المبحث الرابع: الحكومة الإسلامية.



مصدر شرعية السلطة

إن نقطة الارتكاز الخلافية في مسألة مشروعية السلطة تُعدُّ من أبرز إشكاليات السلطة السياسية في الإسلام، فإنّ التنظيرات التي أسسها المفكرون الإسلاميون هي تبرير لشرعية الوضع القائم، وإيجاد توفيقات وتخرجات سياسية لكل الأزمات الاجتماعية ذات الصلة بالواقع السياسي المتمثل بالحدث التاريخي، وتأسيساً على ذلك تم تقسيم المبحث الأول على ثلاثة مطالب لتوضيح مصدر شرعية السلطة من وجهة نظر السيد محمد تقي المدرسي، كما يأتي:

المطلب الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للسلطة.

المطلب الثاني: الولاية التكوينية.

المطلب الثالث: الولاية التشريعية.

المطلب الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للسلطة

على الرغم من أن اللغة العربية اشتملت على الفعل (سلط) ومشتقاته إلاّ أنها استعملت لفظة (السلطة) نتيجة انسياب هذا المفهوم إليها من اللغات الأخرى، والذي يُشير إلى القدرة والتمكّن والاستطاعة، فاللفظ (Power) في

الإنكليزية يُشير إلى السلطة والنفوذ والقوة والحق والاختصاص^(١).

في حين أشار اللفظ (Pouvoir) في الفرنسية إلى المعاني ذاتها، في حين رادفت لفظة (Macht) في الألمانية اللفظين المذكورين الفرنسي والإنكليزي^(٢).

وفي اللغة العربية فإن الفعل (سلط) يحمل معنى القوة والقهر والحد والغلبة والنفوذ^(٣)، والسيطرة والتحكم^(٤)؛ ولهذا جاء هذا الفعل في القرآن الكريم يحمل هذا المعنى لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾^(٥).

ومنه اشتق لفظ السلطان الذي يدل على القوة والقهر والإلزام، وأطلق عليه الحجة أيضاً؛ لأنه يلزم الخصم ويقهره من خلال قوة دلالة على المطلوب^(٦).

وقد حاول أحد الكتاب إيجاد علاقة بين معنى القوة والحجة، وذلك بتفسير الحجة على أساس أنها شكل من أشكال القوة تُؤدّي الوظيفة ذاتها، وهي إخضاع الآخرين لهيمنتها وقهرها^(٧).

أما الدلالة الاصطلاحية فإن السلطة السياسية - بوصفها ظاهرة اجتماعية - لا يمكن إيجاد تعريف جامع مانع لها، فقد عرّفها سونز بدلالة الوظيفة: «السلطة التشريعية - السلطة التنفيذية - السلطة القضائية»، في حين يعرفها لاصول:

(١) منير بعلبكي، قاموس المورد، ط ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ص ٧١٤.

(٢) د. ياسين الأيوبي، بنية الدولة الملوكية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٢٤، شباط، ١٩٨٣م، ص ١٦٢.

(٣) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبدالله الكبير، محمد حسب الله، ط ١، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص ٣٠.

(٤) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص ٤٣.

(٥) سورة النساء، الآية ٩٠.

(٦) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، الكويت، دار الرسالة، د.ت، ص ٣٥.

(٧) إبراهيم محمد زين، السلطة في فكر المسلمين، ط ١، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ١٩٨٣م، ص ١٠.

«بأنها المساهمة في اتخاذ القرارات بفائدة نظام اجتماعي مأخوذ بكليته»^(١)، أي إن الأوامر والقرارات تصدر لغرض حفظ التوازن الاجتماعي وسلامة الجميع من خلال فرض القانون على الجميع بالقوة، وبخلافه يتعرّض إلى العقوبة المادية.

وقد تُعرّف السلطة بأنها الجهة التنفيذية المسؤولة عن الإجراءات اللازمة لتنفيذ القانون الذي أصدرته الجهة التشريعية (البرلمان)، وبناء على ذلك تنطوي السلطة على وجهتين:

الأولى : ذات وجه قانوني يُنظّم العلاقة بين الفرد والمجتمع من خلال القانون (الدستور).

والثانية: ذات وجه إداري تنظيمي يرتكز على ممارسة القوة على المجتمع بأكمله، ومن يخالف القانون يتعرّض للإرغام المادي^(٢).

وفي السياق ذاته يُعرّف باحث إسلامي السلطة السياسية بأنها «نوع من الاقتدار المجهول لجهة عليا يتّسع إلى ما هو أبعد من الفصائل والمجموعات الصغيرة، وتُلقى بظلالها على المجتمع برمته»^(٣)، ومن جملة التأثيرات الناجمة عنها حق وضع القوانين والمقررات الاجتماعية، وتطبيق القانون، ومعاقبة من لا يخضع للقانون، بهدف حماية الحقوق، ودرء الاعتداءات الخارجية، وعلى المجتمع كله طاعة مثل هذه السلطة^(٤).

(١) نقلاً عن: صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي .. أسسه وأبعاده، ط ١، بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩١م، ص ١٣٠.

(٢) انظر: بلقيس محمد جواد، محاضرات في الاجتماع السياسي، جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٣م - ٢٠٠٤م، ص ٢١ وما بعدها.

(٣) انظر: محمد جواد أرسطو، السلطة السياسية في الإسلام، كتاب مدخل في الفكر السياسي في الإسلام، مجموعة مقالات، ترجمة خليل العصامي، ط ١، طهران، مؤسسة الهدى للتوزيع، ٢٠٠١م، ص ٢٢٨.

(٤) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

ولم يعد الأمر يرتبط باستخدام القوة، بل إن السلطة ترتبط بمفاهيم أخرى منها الطاعة، إذ لا قيمة للسلطة ما لم تُطع من أفراد الأمة، فالطاعة تعني الإذعان والالتزام بما يصدر من هذه الجهة، وتكون الطاعة على نوعين:

الأولى: الطاعة القسرية من طريق اعتماد مجموعة من القوانين التي تُحدد العقوبات لمن يخالف الأوامر الحكومية.

الثانية: فهي الطاعة الطوعية والاختيارية، وهذه تتم عبر منظومة من وسائل التوجيه والإرشاد لخلق قناعة لدى الأفراد بوجوب امتثال هذه الأوامر، وهذه القناعة إما أن تكون متأتية من الجانب الديني في مشروعية الإجراء، أو من الجانب الوضعي، الذي يُعبّر عنه بآليات معينة تخلقها الشعوب بحيث تكون كاشفة عن الرضا الشعبي عن هذه الممارسات.

ولعل السيد المدرسي يتفق مع التعاريف التي قرنت السلطة بالقدرة؛ لما للأخيرة من إمكانية (التغيير والتأثير)، وطالما أن إحدى السمات الرئيسة للسلطة أنها تمتلك القدرة وإيجاد المكافأة والعقاب فقد عرّفها السيد المدرسي بأنها: «القدرة التي تُوجب خضوع الضعفاء أمام الأقوياء»^(١)، ويُضيف موضحاً: إن الخضوع إنما لرغبة أو لرهبة، ثم الرغبة والرهبة قد تكونان بالحق أو قد تكونان بالباطل، فالطاغوت مرهوب الجانب مرغوباً فيها عنده وتكون سلطته بالباطل، في حين الحاكم العادل يرهبه الفُسّاق والمجرمون ويرجوه الضعفاء والمحرومون وسلطته الحق، والسلطة الباطلة -يعدها السيد المدرسي- سلطة الطاغوت، ويرى أنها إذا كانت موجودة في مجتمع ما لا تسمح بأن يُنظّم الأفراد أنفسهم، ولا تدعهم يجتمعون لتكوين الخلية الإيمانية الصادقة والفئة المخلصة المتحابّة في الله، والمتعاونة من أجل خير المجتمع^(٢)، ويعد السيد المدرسي أن أغلب الدول التي تحكمها

(١) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي، مصدر سابق، ص ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

سلطات طاغوتية لا تعترف بشرعية السماء، ولا تعمل لقيام المجتمع الإسلامي الذي يسير في خط التوحيد ويطبق التعاليم القرآنية نصّاً وروحاً، فالمجتمع الإسلامي الصالح هو البديل الضروري لإسقاط الطاغوت، فالشعب لا يرمي لإسقاط الطاغوت ليأتي مكانه طاغوت آخر، وإنما يرمي إلى إقامة حكم الله وتطبيق الشريعة الإسلامية التي لا يمكن تطبيقها إلا على مجتمع إسلامي مُهيأ لقبولها^(١).

ويتّضح ممّا تقدم أن السيد محمد تقي المدرسي يركّز اهتمامه على السلطة القائمة على الحق بوصفها السلطة التي تُعبّر عن روح الإسلام.

وفي المعنى الاصطلاحي للسلطة يلاحظ أن بعض المفكرين يرادفون بين السلطة والدولة، وربما هذا الأمر ناجم من أن الإسلام لم يُولِ الدولة اهتماماً كبيراً بقدر اهتمامه بالسلطة؛ لأنها عماد بقاء الدولة أولاً، ولأن المسلمين تنازعوا حول السلطة، ولم يهتموا بالدولة، إما لكونها ليست واضحة المعالم من الناحية الواقعية، أو لأنها نتيجة حتمية لوجود السلطة.

المطلب الثاني: الولاية التكوينية

إن صرح الدين الإسلامي يرتفع على قاعدة رصينة هي (التوحيد)، التوحيد في التكوين والتشريع، في العقيدة والنظام؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى لكل شيء خلقه، وهداية، واجرى بيده تقديره وتدبيره، وجعل إليه مصيره ومنتهاه، فالإسلام يوجز فلسفة الكون مبدأً ومصيراً، فيقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾^(٢)، فيقرر بذلك أن الله أعطى الأشياء وجودها ونظامها^(٣).

وتعني أن «الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون الواسع بما فيه الذرة

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) سورة طه، الآية ٥.

(٣) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٣.

إلى المجرة، ولم يشاركه أحد في ذلك، وهو المسير للكون، وهو المصلح لما يطرأ عليه من الخلل، وهو المربي وهو المهيمن، وأخيراً هو الذي يُفني الكون فلا يبقى إلا وجهه الكريم، فالكون حدوثاً وبقاءً وفناءً منه تعالى دون غيره^(١).

ثم يُقرّر أن أمور الكون تجري تحت هيمنة مباشرة من الله سبحانه وتعالى لقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾^(٢).

ويقول وهو يُشير إلى نهاية الكون: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٤).

ولا يشد الإنسان عن هذه القاعدة الشاملة، إذ كان الله سبحانه وتعالى حين لم يكن الإنسان فيه شيئاً مذكوراً، لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٥).

ثم يذكر القرآن الكريم بحتمية الموت للإنسان فيقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٦).

ويقرر حقيقة الضعف والتحديد في وجود البشر فيتساءل قائلاً: ﴿بَنَاتُهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۖ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٧).

فالإنسان في منطق القرآن قد خلقه الله فهو إذن لم يُوجد نفسه ولا هو يُمدّها بطاقة البقاء؛ ولذلك فإنه موسوم بطابع (العبودية الذاتية) النابعة من

(١) انظر: محمد الحسيني الشيرازي، حكم الإسلام: مبادئ قيامه - ماهيته - أهدافه، ط ١، بيروت، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٢م، ص ٩.

(٢) سورة يونس، الآية ٣.

(٣) سورة النور، الآية ٤٢.

(٤) سورة النجم، الآية ٤٢.

(٥) سورة الإنسان، الآية ١.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

(٧) سورة الانفطار، الآيات ٦ - ٨.

كيانه الطارئ الذي يملكه الله، وقد وهبه إياه بكامل مشيئته وسوف يأخذه منه متى أراد بكل قوة وسلطان^(١).

وهنا يوجه السيد المدرسي عدة تساؤلات لتبرير الحاكمية المطلقة لله بقوله: «وأي عبد أشد عبودية وأوسع رقاً من هذا الذي لا يملك خلقه، ولا يضمن لنفسه البقاء؟ وفي المقابل أي سيد أقوى سيادة وأوسع سلطاناً من الله الذي يعطي الوجود ويضمن البقاء وإن شاء منع؟ وتأتي طبيعة هذه المقابلة (الحاكمية المطلقة لله) سبحانه على البشر جميعاً، كما تتحقق طبيعة (المحكومية) الشاملة للإنسان بحيث يفرض عليه العقل والضمير أن يخضع لله في كل شؤون، وألا يعمل إلا بما يوحى إليه سبحانه ويلزمه في حقل الدنيا والآخرة سواء بسواء؛ ذلك لأن مجرد تصور (المالكية الإلهية) و(العبودية البشرية) كافٍ لإحياء فكرة العبادة والخضوع أمام الله تعالى، فإذا كان البشر يستمد وجوده وبقائه من الله فهو لا يملك قوة من ذاته يدافع بها أمام الله تعالى عن نفسه، وإذن لا يأمن مكر الله، وكيد، لو ترك طاعته وانجّه بالعبادة إلى غيره؛ لقوله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

﴿وَأُمِّلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^(٣).

وإذا لم يكن لبشر من السيادة على نفسه فمن سخافة التقدير - من وجهة نظر السيد المدرسي - أن يعتقد بأنه يمكن أن يكون لبشر ما سيادة كلية أو جزئية على بشر مثله؛ لأنه غير مالك لنفسه ولا دافعاً عنها ضرراً ولا طالباً إليها نفعاً، يقول سبحانه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾^(٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْخَصَرُونَ^(٥).

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٩٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٣.

(٤) سورة يس، الآيتان ٧٤ - ٧٥.

فإذا ثبتت مخلوقية الإنسان لله واحتياجه إليه في وجوده وبقائه من جانب، وثبتت مملوكيته وعبوديته له سبحانه من جانب آخر، وثبتت محدوديته وضعفه من جانب ثالث، ثم ثبت كيد الله وسخطه عليه إذا خالف مشيئته سبحانه... من جانب رابع، وإذا لم يجز لذلك استعباد إنسان لآخر، فمن أين ينبغي أن يتلقّى نظم حياته وقيادة مسيرته ومن ينبغي أن يسن له تشريعه ومنهجه سوى الله سبحانه وتعالى؟!^(١).

ولعل من نافلة القول: إن الولاية التكوينية لله سبحانه وتعالى تشتمل على الآتي:

- ١- ولاية الخلق: والمقصود بها أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء.
- ٢- ولاية الإبقاء: وهي أن إبقاء الأشياء لا يكون إلا برعايته سبحانه وتعالى.
- ٣- ولاية الإنماء: أي إن كل شيء ينمو بإرادته ورعايته.
- ٤- ولاية الجزاء: إن يعاقب سبحانه وتعالى على المعاصي ويثيب على الصالحات.

المطلب الثالث: الولاية التشريعية

وهي الدلالة الثانية لمصدر شرعية السلطة كما يتصوّر السيد المدرسي، إذ يعتقد أن الولاية التشريعية ثابتة لله تعالى بدلالة مقدمتين^(٢):

- الأولى: أن الله سبحانه وتعالى له أحكام.
- الثانية: أنه لا يحق لغير الله سبحانه أن يحكم على خلاف أحكامه سبحانه.

ويسوق للدلالة على ذلك آيات الحاكمية الواردة في سورة المائدة، والتي يقول فيها سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٤.

(٢) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، الجزء الثاني، ط ٢، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، ص ٢٣١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٤.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وبذلك تكون كل سلطة تحكم بغير حكم الله سلطة باطلة، لأنها كافرة، وظالمة، وفاسقة^(٣).

ويستعرض السيد محمد تقي المدرسي جملة من النصوص التشريعية التي تُبين أن لله وحده حق السيادة على البشر، وهي عدة نصوص^(٤):

* النصوص التي ذكرت لفظ الولاية.

* النصوص التي ذكرت كلمة الدين.

* النصوص التي تأمر بعبادة الله وحده وتنهى عن الشرك.

أولاً: الولاية

قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٥).

﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِّنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^(٦).

﴿قُلْ أَفَاتُخَذُّم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾^(٧).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ﴾^(٨).

(١) سورة المائدة، الآية ٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٢.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، مصدر سابق، ص ٦٤ - ٦٨.

(٥) سورة الكهف، الآية ١٠٤.

(٦) سورة هود، الآية ١١٣.

(٧) سورة الرعد، الآية ١٦.

(٨) سورة المائدة، الآية ٥٥.

وتندمج معاني الولاية وتتجمع أبعادها عندما تستعمل في (الله)؛ لأن له الأسماء الحسنى جميعاً، فهو الولي الحق، أما الطواغيت من دونه فهم أولياء مزيّفون كما تلمح إليه الآية الأولى، ثم إن الأولياء من دون الله لا يمكنهم الانتصار لنا، فكيف نتخذهم أولياء، كذلك تقول الآية الثانية، أما الآية الثالثة فهي تهدي إلى أن الأولياء المبطلين لا يملكون نفعاً ولا ضرراً، وهل يفترض في الولي إلا أن يجر نفعاً أو يدفع ضرراً؟! والآية الأخيرة توصل ولاية الله (الذاتية) بولاية الرسول ﷺ والذين آمنوا (الاعتبارية) التابعة لولاية الله، إذ المفهوم من ذكر كلمة الرسول أن صفة رسالته وكونه مبلغاً عن الله هي التي أهّلته للولاية التي هي محض حق الله ابتداءً، أما الذين آمنوا فإن صفة إيمانهم دون ما لهم من صفات مادية أخرى هي التي رفعتهم إلى مقام ولاية الله الاعتبارية، وأخيراً فإن قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ (١).

يجعل من جهنم نهاية من يتخذ رئيساً لم يأمر برئاسته وولياً لم يسمح بولايته، وأنها حصر للسيادة والولاية في الله أو من يأمر به بصراحة لا غموض فيها، وصرامة لا محاباة فيها (٢).

ثانياً: الدين

قال الله تعالى:

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣).
 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (٤).

(١) سورة الكهف، الآيات، ١٠٢ - ١٠٤.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٦ - ٢٧.

(٣) سورة يونس، الآية ١٠٥.

(٤) سورة النساء، الآية ١٢٥.

﴿يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

في أولى الآيات يفرض الله على كل بشر أن يخضع لسيادة الدين ويؤلي ناحيتها كل وجهه، ولا يخضع لأية سيادة مادية دونها أبداً.

وفي ثمانية الآيات يذكر القرآن الكريم أن الدين من خير المناهج والقيادات؛ لأنه من الله الخالق القيوم، ويكون الإسلام هو التسليم لله وسيادته المطلقة مظهراً للدين المصطفى للبشر في الآية الثالثة.

أما الآية الرابعة بدايتها تُذكر بحقيقة وجدانية هي أن الحاكمية لا تحقق -كما يراها السيد المدرسي عقلاً- إلا لله، ثم يعرج من ذلك إلى حقل التشريع فيقول:

﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ ولا تخضعوا لقانون أو إنسان ﴿إِيَّاهُ﴾؛ ذلك لأن من له الحاكمية المطلقة هو وحده له الخضوع المطلق، و﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾، فالدين هو ذلك التوحيد في العقيدة بأنه: لا حكم إلا لله، في الكون، وفي الشريعة ومعنى ذلك هو التوحيد في السيادة والهيمنة السياسية^(٣).

ثالثاً: العبادة

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٢.

(٢) سورة يوسف، الآية ٤٠.

(٣) محمد تقى المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾^(٢).

إن للرسول كلمة واحدة جاؤوا ليلغوها للناس، مهما فصل بينهم الزمن واختلفت الأوضاع التي لا يستقيم، إنها «لا إله إلا أنا»، هذا في مجال العقيدة، «فاعبدون» وهذا في مجال الشريعة، إنه «لا إله إلا الله» فلسفة في العقل، وانسجام في الفطرة وشعور في الوجدان «فاعبدون»، إنها فاعلية في النفس بالحب والخضوع، وإنها حركة في الأركان والجوارح بالركوع والسجود، وإنها منهج في الحياة يتبعه البشر فيسعدون، فالآية الأولى تُصرِّح على أنه ما دام الله واحداً فلا بد أن تكون السيادة واحدة والعبادة واحدة والطاعة واحدة، فلا يجوز الخضوع لسيادة ولا اتباع أحد ولا طاعة نظام لم ينزل الله به من سلطان...

أما في الآية الثانية تكون الأمة الإسلامية واحدة ووحدتها نابعة من وحدة اتجاهها الفكري والعملي، فالله هو رب هذه الأمة فبه يعتقدون في الفكر وإياه يعبدون في العمل، ثم يستحيل أن يأذن الله بانضواء البشر تحت لواء سواه، كما تفيد الآية الأخيرة؛ إذ إنهم «ما أمروا إلا ليعبدوا الله»، وأن يخلصوا له الدين والطاعة، ويوحدوه في السيادة.

بل إنه سبحانه وتعالى قد أكد بأن جهنم نهاية من يتخذ رئيساً لم يأمر الله برئاسته وولياً لم يسمح بولايته لقوله تعالى: ﴿فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَةٍ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾^(٣).

مما تقدّم يُشير السيد المدرسي إلى أن الإنسان المسلم يستطيع أن يستمد فكرته العامة حول القيادة الإسلامية التي تلخص في: «أن الحكم لله وحده، في

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٢) سورة البينة، الآية ٥.

(٣) سورة الكهف، الآية ١٠٢.

كُلٌّ من مجالي التكوين والتشريع»^(١).

فيخلص إلى النتيجة التي تعتبر أن حاكمية الله لا تعني إلا حاكمية شريعته في الحياة البشرية، وشريعته هي الدين الذي أوحى به إلى الرسول الأعظم^(٢)، ومن هنا يتحتم اتباع الرسول ﷺ، لأن اتباع الرسول ﷺ هو اتباع الرسالة وتحقيق سيادة الدين، حيث يشير القرآن الكريم قائلاً: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣).

وتأسيساً على هذه الحقائق فالإرادة الإلهية - من وجهة نظر السيد المدرسي - شاءت أن تهب الإنسان حرية الاختيار لكي يفتن البشر فيما خوَّهم من نِعَم العيش وزينة الحياة... وجعلت وسيلة الاختيار (دينًا) اصطفاها الله لهم فأمرهم فيه بكل خير، ونهاهم فيه عن كل شر وفساد، حيث لم يكن من الممكن أن يباشرهم الله تعالى ويأشروه، ويخاطبهم ويخاطبوه، لأنه أرفع منهم، ثم هم لا يليقون به وقد انغمسوا في الشهوات وابتعدوا عن القيم^(٤)، لذلك اختار من بين خلقه من جعلهم سفراء بينه وبينهم، دون أن يُفَوِّض إليهم أمور الحياة التكوينية أو التشريعية، أو ينزل هو عن مقامه وسلطانه، بل كان وليهم وربيهم من فوقهم وسماهم بـ(الأنبياء)، وهذا هو التصور الإسلامي - وفقاً للسيد المدرسي - عن الرسالة والرسول والنبوة والأنبياء^(٥).

وانطلاقاً ممَّا تقدَّم يصل السيد محمد تقي المدرسي إلى القول:

إن للرسول جانبين^(٦):

أولاً: الجانب الإلهي: والمقصود به جانب الرسالة التي حمَّلها الله سبحانه

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، التحدي الإسلامي، ط ٢، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٤ هـ، ص ٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٠.

(٤) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي، مصدر سابق، ص ٦٨.

(٥) عبد الغني عباس، تطلع أمة، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(٦) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٣٢.

وتعالى إِيَّاه، وأصبح سيد البشر وخليفة الله فيهم وحبته عليهم، ومطاعاً بإذن الله بينهم، وهو جانب (مجمعول)، أي لا يكون إلا بالجعل الإلهي، ولا صلة له بالبنية التكوينية للرسول، بل يحتاج إلى جعل غير طبيعي من الله تعالى.

ثانياً: الجانب البشري: الذي يكون به الرسول عبداً وبشراً كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾^(١).

وإن هذا الجانب هو جانب الذات الطبيعية البشرية الذي مقتضاها العبادة والخضوع والتسليم الطبيعي.

ومن الجانب الأول ينشأ وجوب طاعته المفروضة على الناس؛ لأن الله مالك الخلق، وبما أن الرسول ﷺ خليفة الله وجبت طاعته على الناس، وبهذا أصبحت خلافة الأنبياء سبيلاً إلى تطبيق حكم الله؛ لأن «الخليفة قبل الخليفة، ومن الواضح أن الخليفة يورث الحكم إلى الخليفة لا للحكام المستبدين والعسكريين والدكتاتوريين»^(٢).

إن طاعة الرسول ﷺ -وفقاً للسيد المدرسي- تنقسم من الناحية الشرعية على بعدين:

الأول: طاعته بوصفه رسولاً داعياً إلى الله مبلغاً عنه سبحانه.

الثاني: طاعته بوصفه إماماً للمسلمين وقاضياً بينهم وولياً لأموالهم.

ولعل البعد الأول يختص بشخص الرسول لأنه يُوحى إليه ومن ثمَّ يتَّصل بالوحي، وأنه لا ينطق عن هوى.

أما بالنسبة إلى البعد الثاني فإن هذا المنصب يورثه النبي ﷺ إلى الأئمة

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٠.

(٢) محمد الحسيني الشيرازي، فلسفة التاريخ: دراسة تحليلية في المناهج والسلوك، ط ٢، بيروت، مؤسسة الوعي الإسلامي، ٢٠٠٥ م، ص ٥٦.

الأمثل فالأمثل^(١).

ومن هنا جاء شرط الرسول ﷺ الأساسيان وهما:

شرط (الوحي) وشرط (العصمة) الذي يحقق للرسول ﷺ تجرده للدين وإخلاصه للشريعة ليحكم بالدين دون انحراف، وهكذا الحال في الإمام الذي يخلف الرسول ﷺ أن يشترط فيه (العلم) بالدين و (العصمة)^(٢).

وهذا الربط بين النبي والإمام لدى السيد محمد تقي المدرسي عند حديثه عن موضوع الولاية يُشكّل امتداداً لأطروحات المدرسة الشيعية في الحكم، تلك المدرسة التي لها أفكارها الخاصة حول الإمامة ودور الإمام فيها، فالإمامة عند الشيعة «لا يتولاها إلا الأئمة المعصومون من الخطأ والنقص وإتيان الباطل، والإمامة تأتي بعد منزلة النبوة. ولأن الإمام معصوم لا يجوز الاعتراض أو النقض عليه، ولا يحتاج إلى لائحة قوانين أو دستور إلا ما يكتبه ويقرّه، بمعنى أن الإمامة كالنبوة من المناصب الإلهية التي تحتاج إلى النصب من الله تعالى، سوى أن الإمام لا يُوحى إليه كما يُوحى للنبي ﷺ، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة، فكذلك يختار من يشاء للإمامة، ويأمر نبيه بأن ينص عليه»^(٣).

وكان السيد قد طرح هذا الرأي من خلال تعريفه للإمامة بأنها: «هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي ﷺ، وهي واجبة عقلاً، لأن الإمامة لطف، فنحن نعلم أن الناس إذا كان لهم رئيس مرشد مطاع كانوا إلى الصلاح والسعادة أقرب، لأن جملة ضرورات تعتمد عليه، كالدفاع عن النفس، وحماية الضعيف من بطش القوي، وترتيب أمور المعيشة

(١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٢، ط ١، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١١هـ، ص ٢٥٩.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٣٥.

(٣) انظر: رشيد الخيون، المشروطة والمستبدة مع كتاب تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ط ١، بغداد، معهد الدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٦م، ص ٤٥ - ٤٦.

وما أشبهه»^(١)، وهذا ما ذهب إليه الشريف المرتضى في تحديد الإمامة.

إن السلطة التي يستمدّها الأنبياء والأئمة من الله سبحانه سوف تنتقل في حالة غياب المعصوم - النبي أو الإمام - إلى الفقهاء العدول بالنيابة؛ لأن الله عز وجل - وكما ذكرنا سابقاً - قد جعل خليفة له في الأرض ليقيم حكم الله وهو النبي ﷺ، فمن سيكون خليفة النبي ﷺ؟ إنه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومون عليه السلام، فمن سيكون خليفة الإمام المعصوم؟

أنه الفقيه العادل^(٢).

ويؤثر السيد المدرسي إلى حقيقة مفادها: «إن العالم في فهمه للقيادة قد وقع في خطأين من الواجب تصحيحهما» وهما كالآتي^(٣):

الخطأ الأول: الاعتقاد بأن الشيعة الإمامية يزعمون أن الخلافة الإلهية منصب موروث يتلاقفه الأبناء عن الآباء تبعاً، ويتخذون لخطئهم مبرراً تاريخياً وآخر نصوصياً، فأما التاريخي فهو أن الأئمة عليهم السلام قد انحدروا من سلالة واحدة يتراءى للناس أنهم كانوا يتوارثون الخلافة أباً عن جد، وأما النصوصي فلما يجدونه في حجج الأئمة عليهم السلام ذاتهم تصرّجات بأنهم أولى بميراث الخلافة من فلان وفلان، فيستطرد السيد المدرسي في حديثه قائلاً:

«نحن نعترف أن عنصر الوراثة كان عاملاً مساعداً في خلافة الأئمة الإلهية لما في الوراثة من أثر فعّال في تربية النفس وتزكيتها، ولما فيها من حفظ لكرامة الموروث (وهو النبي ﷺ)، ولكنه ليس العامل المؤثر، بل إن العامل هو الكفاءة، فكفاءة أهل البيت عليهم السلام وصلاحياتهم الفطرية والتربوية جعلتهم أهلاً

(١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٢، مصدر سابق، ص ٢٦٠.

(٢) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود، مصدر سابق، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

لهذا المنصب العظيم»^(١) لقوله تعالى:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٣).

الخطأ الثاني: زعمهم أن القيادة الإسلامية خاصة بقريش بما أثر عن النبي ﷺ أن الأئمة من قريش، وفلسفوا لذلك في الحجة البالغة للدهلوي «من شروط الخليفة كونه من قريش، فأما قريشاً قوم النبي ﷺ وقرباه، ولا فخر لهم إلا بعلو دين محمد ﷺ، وقد أجمع فيه حمية دينية وحمية نسبية فكانوا مظناً القيام بالشرائع والتمسك بها»^(٤).

ولعل من نافلة القول أن السيد المدرسي يرى أن الإمام العادل لا يخالف الدين لعدالته، فيكفي شرط العدالة عن شرط كونه من قريش، فضلاً عن ذلك فإن العمل الإسلامي يجب أن يكون خالصاً من أي مصلحة أو رغبة مادية أو حمية جاهلية.

إن ما يجب إدراكه هو أن مصدر سلطة الفقيه العادل - من وجهة نظر السيد المدرسي - ذات منشأ إلهي في ركنها الأساس، كونه يمثل نائب الإمام ﷺ، وأي سلطة غير سلطته تُعدُّ باطلة بصرف النظر عن مقدار تأييد الأمة. ولعل القارئ يستنتج حقيقة مفادها أن آراء السيد المدرسي حول الولاية (السلطة) ومصدرها تمثل مزيجاً من مرجعيته الدينية (الإسلامية) التي تُعطي الحاكمية لله وحده سبحانه وتعالى، وترفض أي حكم لا يتقاد إلى حكمه،

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٤) انظر: محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

ومرجعيته المذهبية (الاثني عشرية) التي [تتمسك بخط الإمامة وتطوراته].

لكن إذا كان مصدر السلطة هو الله سبحانه وتعالى، فما هو دور الأمة في هذه السلطة؟

يُشكّل الاختلاف حول دور الشعب التشريعي أحد أوجه التناقض التي تُثير كثيراً من الجدل بين نظام الحكم الإسلامي ونظام الحكم الديمقراطي في الوقت الحاضر^(١).

فالديمقراطية الحديثة -وكما نعرف- تعطي للشعب دوراً كبيراً في ممارسة السلطة! كونه مصدراً للسلطة. ولعل القارئ لمؤلفات السيد محمد تقي المدرسي يلحظ اهتماماً مميزاً للشعب، لدرجة أنه عدّ أي تحرك نحو الإصلاح والتغيير في واقع المسلمين لا يُكتب له النجاح دون التفاف الجماهير حول القيادة الرشيدة، ووصف أن من أبرز العوامل التي تُؤدّي إلى حيوية المجتمع الإسلامي وبناء حضارته الإسلامية، ومن ثمّ تفوقه على سائر المجتمعات ومقدرته الذاتية على الانتصار عاجلاً أم آجلاً على أعدائه؛ هو وجود الطاعة في هذا المجتمع، والطاعة المطلوبة هي «الطاعة النابعة من التسليم الذاتي والقناعة الواعية وقهر الشهوات والأنانيات، وتبديلها بطاعة العقل وطاعة من يُمثّل العقل ويُجسّده، أي طاعة الله سبحانه وتعالى، وطاعة من هو خليفة الله في الأرض وهو الإمام أو نائبه»^(٢).

والسيد محمد تقي المدرسي على الرغم من اهتمامه بالشعب فإنه لا يجعله مصدر السلطة في الدولة، ولا يُطلق له صلاحيات واسعة لا في التشريع ولا في اختيار حكامه، فمن الناحية التشريعية لا يكون الشعب سيّداً (مُشرّعاً) سواء بشكل مباشر أم عبر نوابه؛ لأنّ المشرع هو الله سبحانه وتعالى، ولا يحق للشعب

(١) محمد باقر الموسوي، الشورى والديمقراطية، ط ١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٣م، ص ٢٥٦.

(٢) انظر: محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

تشريع شيء يخالف شرع الله سبحانه، وبذلك ستسير العملية التشريعية استناداً إلى ما يستنبطه الفقهاء من أحكام عامة من الشرع الإلهي^(١).

أما في مجال اختيار الحاكم الأعلى للدولة فإنه - وفقاً للسيد محمد تقي المدرسي - لا يستطيع الشعب أن يكون حراً في اختيار أي شخص ليكون حاكماً عليه، بل لابد أن يقتصر اختياره على الفقهاء العدول بشروطهم المحددة - سيتم تناولها في المطلب القادم -، فكما جاء شرطاً الرسول ﷺ الأساسيان، وهما الوحي و العصمة، وهكذا الحال في الإمام الذي يخلف الرسول ﷺ، إذ يشترط فيه (العلم) بالدين و(العصمة)، فهكذا في الرئيس الذي يحكم في غيبة الإمام، إذ يشترط فيه أمران:

(الفقه) وهو العلم بالدين، و(العدالة) وهي التجرد للدين الذي يقوم مقام العصمة، وتؤدي نتيجهما، إذ دون هذين الشرطين - انسياقاً مع رأي السيد المدرسي - لا تحقق سيادة الدين لا في النبي ﷺ ولا في الإمام، ولا في الفقيه العادل الذي يخلف الإمام ويقود الأمة في غيابه^(٢).

وتأسيساً على ذلك يتضح جلياً أن السيد المدرسي قد وصف فلسفة (الاختيار) هي فلسفة تُحدد سلطات الله، إذ إنه عندما يمنح العبد حرية اختيار القائد فإنه بذلك يعزل الله عن مجال إدارة الحياة، وهذا يُعدُّ خطأً محضاً ما دام الله هو الملك الحق، وهو الولي الحق، وله الدين كله والسيادة جميعاً، فليس لبشر أن يكون له الخيرة في مجال السلطة والقيادة، بل عليه انتظار اختيار الله حتى يعتد به

(١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ١، ط ١، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٣١٢ هـ، ص ٧٤ - ٧٩.

(٢) للمزيد انظر:

- محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٢، مصدر سابق، ص ٢٦٤.
- صادق الحسيني الشيرازي، المسائل الإسلامية، ط ٢١، بيروت، دار صادق للطباعة والنشر، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م، ص ٣٠.

ويسير في اتجاهه، لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٢).

وعلى أساس هذه القاعدة تقوم القيادة الإسلامية، وتكون هذه القاعدة هي ضمان التنفيذ الذي يدفع المنتمين إلى هذا الدين إلى إطاعتها وامثال أوامرها^(٣)، ومن ثم فإن هذه العلاقة المتينة بين الدين وقيادته تخلق في القيادة استقامة تلقائية فلا تنحرف قيد أنملة، فأية محاولة منها بالابتعاد عن الدين تفقد القيادة مبرر الاستمرار والبقاء^(٤).

ويرى السيد المدرسي أن نظرية الإسلام القائلة (إن الحكم إلا لله) تختلف عن النظريات الأخرى كنظرية الحلول، ونظرية التراضي. وقبل الخوض في تنفيذ هذه النظريات نوضح تلك النظريات من وجهة نظر السيد المدرسي^(٥):

١- نظرية الحلول

ويذكر السيد المدرسي أن بعض الاتجاهات التي تبنت هذه النظرية تعتقد أن الله يحل في طائفة من البشر حلول الروح في الجسم، وأنه يكسب هذه الطائفة مسحة الإلهوية الذاتية وتستتبع السيادة التشريعية على سائر الناس. وهذه النظرية لا تقتصر -كما يرى السيد المدرسي- على مجال الدولة (التي تدعي الحكم

(١) سورة القصص، الآية ٦٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٣) محمد تقي المدرسي، البعث الإسلامي، ط ٤، مكتب العلامة المدرسي، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م، ص ١٢٥.

(٤) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٨٤.

التيوقراطي الذاتي^(١).

بل وتشمل الاتجاهات السياسية التي ترى رئيسها مطاعاً؛ بسبب حلول روح الله فيه، وهذا حال الاتجاهات السياسية التي تعتمد نظرية الحلول الصوفية. وقد أوضح السيد المدرسي أن الإسلام بريء عن مثل هذه النظريات الوثنية لابتناء الإسلام على مبدأ «أحذية الله».

٢- نظرية التراضي

وتنطلق هذه النظرية من مبدأ حرية البشر في اختيار الهدف والوسيلة في الحياة، وترى أن وجود هدف مشترك بين فردين يفرض عليهما العمل تحت قيادة لتحقيقه، وهذه القيادة تتحقق بتراضيها حيث يتنازل أحدهما بمجرد رضاه للثاني له (كنظريات العقد الاجتماعي)، وقد وجّه السيد محمد تقي المدرسي عدة انتقادات لهذه النظرية، ومنها^(٢):

أولاً: أنها تتنافى مع المعتقدات الإسلامية، فكيف تجتمع نظرية حرية البشر في اختيار نظام لنفسه مع نظرية أن الإنسان عبد الله، أم كيف تجتمع نظرية: أن على البشر أن يبحثوا لنفسه عن قيادة كيفية مع نظرية أن الله قد بعث ديناً كاملاً، وجعل فيه كل ضروريات الحياة والتي منها أسلوب قيادتها.

ثانياً: أنها تسبب انفصال المسلم عن واقعه إذ ستكون حينئذ قاعدة التوحيد هي قاعدة دينه، وقاعدة الكفر هي قاعدة حياته، فالقاعدة الأولى تُبين له أنه يلزم عليه اتباع دين الله، أما القاعدة الثانية فتقول له: عليك بنبذ قيادة الله إلى القيادة التي ترضاها فهناك يقع التناقض -كما يرى السيد المدرسي-، إذ كلما ازداد إيماناً

(١) هو الحكم الذي كانت الكنيسة تتبناه في العصور السوداء، وكان سبباً للردة الأوروبية عن الدين.

للمزيد انظر: محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٣٧.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٨٥.

بالدين ازداد ضعفاً في طاعته للقيادة، وكلما تمتنت علاقته بالقيادة ضعفت رابطته مع الدين، فهنا لا بدّ له أن يضحى بأحدهما في سبيل الآخر. وأخيراً تبقى لدينا نظرية الإسلام القائلة (إن الحكم إلّا لله)، التي تبنتها القيادة الإسلامية، إذ إن هذه النظرية - ومن وجهة نظر السيد المدرسي - قائمة على قاعدة التوحيد الرأسيّة، على أن الله لم يكن ليذر الخلق سدى يبحثون لأنفسهم عن قيادة ونظام، إذ يبعث إليهم رسولاً يحمل إليهم أفضل المناهج التي يحكمهم بها، ولم يكن الرسول ﷺ ليذر أمته دون إمام، ولا إمام يذر الناس دون قائد، ومن هنا فقد نصب الأئمة الفقهاء العدول قادة للناس جميعاً^(١).

مما تقدّم نستنتج أن السيد محمد تقي المدرسي قد حدّد شروط الحكم بشرطين أساسيين:

الأول: أن يكون الحكم حكم الله سبحانه وتعالى، وحكم الله لا يُمكن تغييره؛ لأن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة.

الثاني: أن يكون الحاكم برضا الناس بعد امتلاك هذا الحاكم للشروط المقرّرة في الشريعة، وبذلك فقد جعل خيارات الشعب محصورة بفئة محددة بعينها، (وتمتلك مواصفات خاصة).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٨٦.

ولاية الفقيه

تُعَدُّ قضية ولاية الفقيه من القضايا التي أثارت جدلاً واسعاً في الفكر السياسي الإسلامي، وانقسم المفكرون بشأنها، بين مؤيد ورافض لها، ولهذا سنبحث في هذا المبحث عن ولاية الفقيه لدى السيد المدرسي من خلال ثلاثة مطالب هي على النحو الآتي:

المطلب الأول: ولاية الفقيه.

المطالب الثاني: السيادة.

المطلب الثالث: شروط الولي الفقيه.

المطلب الأول: ولاية الفقيه

ترك الإيمان بخط الإمامة وانعكاساته وتطوراته تأثيراً كبيراً في تطور الفكر السياسي الشيعي، فيما يتعلّق بتعامله مع قضية السلطة، ولم يبرز هذا الأمر بشكله الجلي المثير للجدل إلا بعد غيبة المهدي (الإمام الثاني عشر عند الشيعة)، فظهرت نتيجة ذلك عدة نظريات سياسية يُمكن تسميتها بنظريات ما بعد الغيبة، منها:

نظرية الانتظار^(١)، ونظرية الحسبة^(٢)، ونظرية ولاية الفقيه^(٣).

(١) نظرية الانتظار: هي أول نظرية ظهرت في الميدان السياسي الشيعي بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام، وهي تقول بتحريم العمل السياسي أو السعي لإمامة دولة إسلامية في عصر الغيبة، لذا أخذ المؤمنون بهذه النظرية من الفقهاء المتقدمين موقفاً سلبياً من قضية تولي السلطة، أمثال: محمد بن أبي زينب النعماني (ت ٣٤٠ هـ - ٩٥٢ م)، والسيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٢٦ هـ - ١٠٣٥ م)، كما سار على هذا المنهج الرافض لتولي السلطة وانتظار الإمام كل من الشيخ المفيد والشيخ الصدوق والعلامة الحلي وهم من فقهاء الشيعة المتقدمين، أما السيد محمد تقي الأصفهاني (ت ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م) وهو من فقهاء القرن العشرين فقد ساند هذه النظرية بالقول: لا يجوز مبايعة غير النبي والإمام؛ إذ لو بايع غيره جعل له شريكاً في المنصب الذي اختصه الله تعالى به. ويستدل أنصار هذه النظرية على رأيهم بعدد من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهناك من يرى أن سبب ظهور هذه النظرية يرجع إلى حالة الاضطهاد التي يواجهها الشيعة من الأنظمة الحاكمة، فكان من نتائج هذه النظرية تمسك الفقهاء بشدة بالتقية، وإفتائهم بحرمة الاجتهاد والتقليد، واتخاذهم موقفاً سلبياً من ولاية الفقيه.

للمزيد من الاطلاع حول ذلك راجع كلاً من:

- أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ط ١، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٨ م، ص ٢٧١ - ٣٢٣.

- رشيد الخيون، مصدر سابق، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) نظرية الحسبة: وهي تمثل مرحلة متطورة في الفكر السياسي الشيعي الذي حاول ملء الفراغ القيادي الذي عانى منه الشيعة بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام، إذ حاولت هذه النظرية توسيع سلطة الفقهاء لتشمل أمور التقليد، والخمس، والزكاة، وإقامة صلاة الجمعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة إذا اقتضى الأمر، ولكنها لم تصل إلى حد إعطاء الولاية العامة للفقيه، وكان الشيخ حسن الفريد (ت ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م) أبرز من وضع الأطر العامة لهذه النظرية.

للمزيد من الاطلاع راجع كلاً من:

- أحمد الكاتب، مصدر سابق، ص ٣٥٥.

- علي صادق، مصارحة نقدية في إشكاليات ولاية الفقيه ومبدأ شورى الفقهاء، بلا طبعة، بغداد، بلا جهة نشر، بلا تاريخ، ص ٤٧٠.

(٣) نظرية ولاية الفقيه: يحاول بعض إرجاع جذور هذه النظرية إلى الشيخ (شمس الدين محمد بن مكي) المعروف بالشهيد الأول (قتل سنة ١٣٦٦ م)، إلا أن التأسيس الفعلي لهذه النظرية في الميدان السياسي الشيعي يعود إلى قيام الدولة الصفوية الشيعية التي أسسها إسماعيل

ومن هذه الأخيرة ينطلق السيد محمد تقي المدرسي في طرح آرائه حول الولاية الفقهية وجعلها السلطة العليا في الدولة الإسلامية. إن ولاية الفقيه عند

الصفوي (ت ١٥٣٤م في إيران)، إذ وصف هذا الرجل نفسه نائباً للمهدي، وعندما خلفه ابنه طهماسب (ت ١٥٧٦م) وكان لا يزال صغيراً في الحادية عشر من عمره احتاج من أجل تثبيت سلطته إلى مساندة فقهاء الشيعة فاستقدم المحقق الثاني الشيخ (علي عبد العال الكركي) من لبنان، وكتب إلى جميع ولايات دولته إلى ضرورة الخضوع لأحكام وأوامر الشيخ كونه نائباً للإمام المهدي المنتظر، ومنح الشيخ لقب شيخ الإسلام، وجاء بعد المحقق الثاني في السير على منهجه في ولاية الفقيه الشيخ (أحمد بن محمد بن مهدي النراقي الكاشاني، ت ١٨٣٢م)، وارتقى بهذه الولاية إلى درجة الولاية المطلقة حينما قال: كل ما كان للنبي والإمام فيه الولاية وكان لهم فللفقيه أيضاً ذلك، إلا ما أخرجه الدليل من إجماع أو نص أو غيرهما.

وقد ساند الشيخ النراقي في توجهاته هذه كل من: محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦م) في كتابه (جواهر الكلام)، والشيخ رضا الهمداني (ت ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م) في كتابه (مصباح الفقيه)، والسيد الخميني في كتابه (البيع) الذي أمر بالولاية المطلقة للفقيه، فضلاً عن عددٍ آخر من الفقهاء الذين أقرّوا الولاية للفقيه، لكنهم لم يمنحوه الولاية المطلقة، بل الولاية المحددة التي لا تجعل ولايته كولاية الإمام، بل هي ولاية دون الولاية المطلقة، وفوق الولاية الحسبية التي سبق الإشارة إليها، ومن هؤلاء السيد محسن الحكيم (ت ١٩٧٠م)، والسيد محمد الحسيني الشيرازي، والسيد محمد رضا الكلبايكاني. وهناك من عارض ولاية الفقيه هذه انطلاقاً من اعتقاده بركافة أدلتها الشرعية، وجعل الأدلة الفقهية التي تقود إلى معارضة ولاية الفقيه تستند إلى أن قيام حكومة الفقيه يؤدي إلى أمرين:

إذا ظلم الفقيه حل الخراب في الأرض وفسدت حكومته، وإذا عدل في الحكم استقامت الأمور، بحيث يمكن الاستغناء عن الإمام المهدي صاحب العصر والزمان. وهاتان الفريضتان باطلتان شرعاً ولا يمكن الإتيان بهما. ولعله ما زالت نظرية ولاية الفقيه -حتى الوقت الحاضر- تثير جدلاً بين علماء وفقهاء الشيعة، وهي تمثل حالة المخاض التي يمر بها الفكر السياسي الشيعي المعاصر.

للمزيد من الاطلاع راجع كلاً من:

- محمد الحسيني الشيرازي، فقه الاجتهاد والتقليد، ط ٢، بيروت، دار العلوم، ١٩٩٧م، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

- أحمد الكاتب، مصدر سابق، ص ٣٧٩ - ٤٠٥.

- رشيد الخيون، مصدر سابق ص ٦٨ - ٧٤.

السيد محمد تقي المدرسي تعني القيادة، وهذه القيادة لديه «هي قيادة القلوب وليست قيادة الأبدان، وهي قيادة الرضا وليست قيادة التسلط، وهي قيادة التسليم وليست قيادة الإرهاب، ومن دون إيجاد حالة الرضا التي هي الحالة القيادية في المجتمع، يستحيل إيجادها في قمة الهرم التي تُشكّل القائد الأعلى لهذه الأمة»، والقيادة الحقيقية هي لله تعالى، والرسول ﷺ، والإمام المعصوم عليه السلام، وفي زمن الغيبة لنواب الإمام المنتظر... وهم الفقهاء العدول...»^(١).

وساق السيد محمد تقي المدرسي كثيراً من الأدلة لتبرير الولاية الفقهية، التي استند فيها إلى الأدلة الأربعة:

القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والإجماع، والعقل^(٢).

(١) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ١٣١.
(٢) استفاد السيد محمد تقي المدرسي من أدلة التشريع الأربعة، ووظفها في تأييد نظريته حول ولاية الفقيه، وهذه الأدلة هي - في الغالب - ذاتها الأدلة المستعملة في الدلالة على نظرية ولاية الفقيه عند غيره من الفقهاء الذين يؤيدون هذه النظرية، ويمكن الإشارة إلى هذه الأدلة باختصار بالشكل الآتي:

أولاً: أدلة القرآن الكريم

وتستند الأدلة إلى الكثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥١).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (سورة الحج، الآية ٤٠).

والفقيه هو الشخص الذي يتولى توجيه حركة المجتمع صوب المثل الإسلامية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذُكْعُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٥٥).
﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء، الآية ٨٣).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوُا اللَّهَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٤٤).

وانتهى السيد المدرسي في تفسيره للولاية الأخيرة إلى الدعوة للتدبر في كلمات الله هذه:

أولاً: التوراة التي أنزلها الله هي محور الحكومة؛ لأن فيها حكم الله، ومن يتولى عنها فليس بمؤمن.

ثانياً: النبيون يحكمون الناس بالتوراة التي فيها هدى ونور لأنهم ﷺ اسلموا الله، فملاك حكومتهم أمران: الفقه بالتوراة، والعدالة بالتسليم التام له.

ثالثاً: الربانيون، وهم العلماء المقربون لرب العالمين، والأخبار (وهم العلماء العدول)، يحكمون الذين هادوا من أهل الكتاب لما فيهم من خصال:

أ- بما استحفظوا من كتاب الله، وتفقهوا في دينه، وبقدر فقههم وحفظهم لكتاب الله تكون سعة حكومتهم لا مطلقاً.

ب- وبما كانوا على كتاب الله شهداء، فطبقوه على أنفسهم وراقبوا تطبيقه على المجتمع، فكلما كانت شهادتهم أكبر كانت حكومتهم أكد.

ج- وبما لديهم من خشية الله لا خشية الناس، فإذا أخضعوا لطغيان الإرهاب سقطت ولايتهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُونِ﴾.

د- وبما لديهم من الزهد في زخرف الدنيا، وعدم الانهيار أمام ترغيب الأثرياء ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

ثانياً: أدلة السنة النبوية الشريفة

لقد رجع السيد محمد تقي المدرسي إلى الكثير من أحاديث الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ لإثبات وجهة نظره منها:

- ١- جاء في عدة أحاديث هذه الكلمة في النص (العلماء ورثة الأنبياء).
- ٢- وفي أحاديث أخرى جاء (أن العلماء (الفقهاء) أمناء الرسل).
- ٣- وفي عدة أحاديث أخرى جاء (العلماء خلفاء الرسول).
- ٤- وفي حديثين: أن العلماء في أمة الإسلام (كسائر أنبياء بني إسرائيل، أو طائفة منهم كانوا أئمة وملوكاً)، فلا بد أن يكون العلماء مثلهم.

٥- وفي قول للإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) حول الفقهاء «فإنهم حجتني عليكم وأنا حجة الله عليكم»، ولا بد أن لنا نعرف معنى الحجة في سبيل معرفة هذا الحديث. الحجة هي الشهادة التي يحتج بها البشر وقد يحتج الله بها عليهم، أما الناس فلهم الحجة إذا تمسكوا بتلك الشهادة وعملوا وفقها، أما الله فله الحجة البالغة لو نصبها للخلق وأمرهم بطاعتها وهيأ لهم وسائلها فعصوا أمره فيها واتبعوا أهواءهم دونها، فالحجة إذن هي التي ينصبها الله لخلقه هداية وإماماً، فإذا عمل الخلق بها أصبحت لهم، وإلا كانت عليهم، إذن فالحجة إنما تنصب لاتباعها الناس لا ليخالفوها، ومن هنا نكتشف أن المنطق الإسلامي يُعبر بالحجة عن الكتاب أو الإمام الذي تجب طاعته، فهي أعلى شهادة تمنح لشيء أو لشخص، ومن هنا فقد سمى القرآن الكريم (آية الله) حجة فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

ءَاتَيْنَاهَا إِذْ هَمَّ عَلَى قَوْمِهِ ﴿ (سورة الأنعام، الآية ٨٣).
 وسمى الرسول حجة فقال: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُل﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٦٥) كما عبرت السنة في الحديث المتقدم عن (الإمام) وعن (الفقهاء) بالحجة.
 هذه من جهة، أما من جهة أخرى فهناك بعض الروايات التي يحتج بها جميع الفقهاء المؤيدين والمعارضين لنظرية ولاية الفقيه، وهي على النحو الآتي:
 - مقبولة عمر بن حنظلة: قال سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاء أيحل ذلك؟، فقال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فأنا يأخذ سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً، لأنه يأخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر بالطاغوت... قلت فكيف يصنعان؟ قال عليه السلام: ينظران إلى من كان منكم ممن روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخفَّ بحكم الله وعلينا ردٌّ، والرَّادُّ علينا كالرَّادِّ على الله، وهو على حدِّ الشرك بالله.

- مشهورة أبي خديجة: قال بعثني أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى أصحابنا فقال: إياكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى بينكم في شيء من الأخذ والعطاء أن تتحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلاً ممن قد عرف حلالنا وحرامنا، فإني قد جعلته قاضياً، وإياكم أن يُخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر.
 - الراوية المنقولة عن المهدي المنتظر عليه السلام التي جاء فيها «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم».

ثالثاً: أدلة الإجماع

يرى السيد المدرسي أن الطائفة الشيعية قد أجمعت على ذلك فيما يحكيه لنا مؤلف كتاب (العناوين) وهو من الفقهاء، فيقول بعد نقل الإجماع: «وهذا الإجماع واضح لمن تتبع كلمة الأصحاب، ونقل الإجماع في كلامهم على هذا المعنى لعله مستفيض»، ولعله معنى المستفيض هو أن ينقل الخبر أكثر من ثلاثة من الفقهاء.

رابعاً: دليل العقل

انتهى السيد محمد تقي المدرسي من ذكر هذا الدليل بالتأكيد على أن الولاية ثابتة للفقيه بدلالة:

١- أن علة بعث الأنبياء والأئمة موجودة في نصب الرئيس، فكما وجب النصب عقلاً بالنسبة إلى النبي والإمام وجب النصب عقلاً بالنسبة إلى القائم ثم مقامهما، ويؤيد العقل أن النبي والإمام ينصبان الوكلاء والنواب في مختلف البلاد عند وجودهما، لذا فالنصب في حال غيابهما أو وجب.

والولاية تعد في حقيقتها تجسيدا للإدارة الدينية^(١).

والمراد من الولاية هنا (السلطة) التي لا بد لكل مجتمع منها، والتي يمارسها الحكام في المجتمعات العقلانية عادة، فولي الفقيه هو الذي يحق له شرعاً ممارسة هذه السلطة في المجتمع، في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام^(٢).

وولاية الفقهاء هي امتداد لولاية الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، لكونها ثابتة للفقيه بالجعل والتنصيب؛ لذا فمشروعية ولاية الفقيه نابعة من شرعية سلطة الإمام المعصوم عليه السلام، التي هي مستمدة من شرعية السلطة الإلهية والولاية على

٢- أنه من القبيح أن يترك الحكيم أمتة دون قائد ينظم أمورهم ويصلح فاسدهم ويرشد ضالهم ويقيم أودهم، ويحارب أعداءهم ويسالم أولياءهم، فالنظام الاجتماعي والدولة المنبثقة منه ضرورة عقلية؛ لأن جملة ضرورات مهمة تعتمد عليه، كالدفاع عن النفس وحماية الضعيف عن بطش القوي، وترتيب أمور المعيشة وما أشبه، وإذا كانت الدولة ضرورية فإن أقرب الأنظمة إلى المفاهيم الشرعية هو دولة الإمامة أو الولاية، حيث تجتمع فيها مصالح العباد وحقوق الله سبحانه.

وللمزيد من الاطلاع حول هذه الأدلة راجع كلاً من:

- محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١١٤ - ١١٥.
- محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص ٢٦٠ - ٢٦٣.

- محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي، مصدر سابق، صفحات متعددة.
- محمد تقي المدرسي، استفتاءات (الفتاوي الجديدة لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله)، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م، ص ١٩ - ٢٠.

- محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٤١٠ - ٤١١.
- ناصر حسين الأسدي، شورى الفقهاء المراجع ومفتاح الإصلاح العام، ط ٣، بيروت، دار صادق للطباعة والنشر، ٢٠٠٤ م، ص ٣٥ - ٣٦.

(١) مهدي هادوي، تاريخ نظرية ولاية الفقيه، في مدخل الفكر السياسي في الإسلام، مجموعة مقالات، المترجم خليل العصامي، ط ١، طهران، مؤسسة الهدى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م، ص ١٧١.

(٢) محسن الأراكي، نظرية الحكم في الإسلام، ط ١، قم المقدسة، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٥ هـ، ص ١٤٢.

العالم تكويناً وتشريعاً، ولذلك تُشكّل ولايته المرتبة الثالثة لمنشأ السلطة ومصدر السيادة^(١)، أي بعد سلطة الخاتم محمد ﷺ وسلطة الإمام عليّ عليه السلام.

ويرى أحد الباحثين أن نظرية (ولاية الفقيه) التي طرحها السيد محمد تقي المدرسي أول مرة في نهاية الستينات احتسبتها الحركات الإسلامية فتحاً جديداً وسبقاً تاريخياً في مشروع الحركة الإسلامية عموماً^(٢).

ويذهب أكثر من ذلك عندما يؤكد أن الحركة على الصعيد السني استتجت أن تصدّع حركة الأخوان المسلمين ناشئ عن إهمالها لموضوع القيادة في الاستراتيجية الحركية، فبعد شهادة المؤسس (حسن البنا) بدأت الجماعة تفقد توازنها الحركي ووزنها الجماهيري، وبقي منصب القيادة فارغاً أو لم يملأه شخص بوزن الإمام البنا، لغياب الوعي القيادي في الجماعة^(٣)، وعلى الصعيد الشيعي فإن الأطروحة التي قدّمها السيد محمد تقي المدرسي قد استدركت النصاب السياسي للمرجعية وقدّمت لأول مرة أطروحة (الفقيه القائد) قبل أن تتعرّف الجماهير الشيعية في العراق والخليج ولبنان إلى نظرية (ولاية الفقيه) عند الإمام الخميني بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران^(٤).

وينطلق السيد محمد تقي المدرسي في بحثه عن القيادة الإسلامية وضرورة تولي الفقيه العادل السلطة السياسية والدينية في الدولة من عقيدة مفادها أن المرجعية الشيعية تشتمل على عوامل قوة وقدرة لا حصر لها، ولكنها كامنة ومتشعبة وغير مستغلة بصورة كافية^(٥)، وحسب تصوير مراقب غربي للمرجعية

(١) فاضل الصفار، فقه الدولة، بحث مقارنة في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والأنظمة الوضعية، الجزء ٢، قم المقدسة، دار الأنصار، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م، ص ٢٤٤.

(٢) فؤاد إبراهيم، الفقيه والدولة: تطور الفكر السياسي الشيعي، بحث فقهي - تاريخي، ط ١، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٨ م، ص ٣٦٣.

(٣) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦٦.

(٥) محمد تقي المدرسي، المعهد الإسلامي بين الأصالة والتطوير، مصدر سابق، ص ٥٩.

الشيعية في العهد البهلوي بأنها كانت تمثل الإضراب العام والإدارة الشعبية والرأي العام في وجه الملك وحكومته، فهي إلى جانب ذلك تمتلك القاعدة الشعبية العريضة والأموال الطائلة والسلطة الدينية، ومن ثم فهي القادرة على صناعة السلطة السياسية^(١).

إن ما سعى إليه السيد المدرسي في بحثه حول القيادة الإسلامية، هو تجسير الفجوة بين الفقيه والأمة، من خلال نقل الفقيه من ميدان الفتيا إلى ميدان القيادة، مؤكداً على أن «القيادة تعكس حضارة الأمة وتبرز روح نظامها، كما تعطي فكرة جامعة عن فلسفتها في الحياة، مضافاً إليها أنها تضمن انطلاقة الأمة واستقامة مسيرتها في الحياة، كما أن الحاجة إلى القيادة ترمي إلى استقطاب جهود الأمة وتوجيهها توجيهاً موحداً نحو الخير و الحق، في محاولة لشد بعضها ببعض بما تكون أكثر قوة وأمتن رباطاً»^(٢).

أما بالنسبة إلى مسألة الشورى وموقعها في ولاية الفقيه فإننا نرى أن الشورى ركن أساسي للحاكم الإسلامي من وجهة نظر السيد المدرسي، وقد يتفق معه في هذا الرأي السيد كاظم الحسيني الحائري، إذ يذكر «أن الشورى الثابتة في القرآن والروايات هي الاستشارة بالآراء من طريق المشورة، وليست عبارة عن رأي الأكثرية على الأقلية»^(٣).

أما بالنسبة إلى السيد محمد الحسيني الشيرازي فإنه يرفض القبول بالولاية

(١) نقلاً عن فؤاد إبراهيم، الفقيه والدولة، مصدر سابق، ص ٣٦٣.

(٢) انظر: محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٣٧٤.

(٣) للمزيد راجع:

أ- كاظم الحسيني الحائري، الفتاوى المنتخبة، مجموعة إجابات في فقه العبادات والمعاملات،

الجزء الأول والثاني، ط ٢، قم المقدسة، دار البشير، ١٤٣١ هـ، ص ٧٢ - ٧٣.

ب- كاظم الحسيني الحائري: أساس الحكومة الإسلامية، دراسة الاستدلالية مقارنة

بين الديمقراطية والشورى وولاية الفقيه، ط ٢، قم المقدسة، دار البشير، ١٤٢٧ هـ،

ص ١٠٧ - ١٠٨.

المطلقة (العامة) للفقهاء التي تجعل ولايته كولاية الإمام المعصوم عليه السلام، لذا نراه يقول في هذا الشأن: «الولاية المطلقة تكون من خصائص الباري عز وجل وهو عادل لا يظلم أحداً، وكذلك من حوِّله الله تعالى لها، وهو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام أو من ينوب عنهم عليهم السلام في زمن الغيبة من الفقهاء المراجع العدول، فهؤلاء سلطتهم الإدارية محدودة بالشرع المقدس، وتكون خاضعة لولاية شورى الفقهاء المراجع في المسائل العامة»^(١)، ولعل السيد محمد باقر الصدر يتفق مع السيد محمد الحسيني الشيرازي في نظريته عن ولاية الفقيه والشورى^(٢).

أما بالنسبة إلى السيد محمد مهدي شمس الدين فإنه يبرر موقفاً فقهياً ثالثاً يستند إلى مبدأ ولاية الأمة في عصر الغيبة، وهذه الصيغة (ولاية الأمة) تُبقي على الدور المحدود للفقهاء، وتحول دون أن يكون للفقهاء أي دور خارج ما ثبت له بالدليل من ولايات جزئية ومحدودة^(٣)، وولاية الأمة على نفسها معناه أن الأمة هي صاحبة الحق في إقامة الحكومة وممارسة السلطة في عصر الغيبة الكبرى، ولا ينقطع لزوم وجود الحكومة الإسلامية بوفاة النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك مخالف للعقل^(٤).

وتأسيساً على ما تقدم فإننا نلاحظ أن السيد محمد تقي المدرسي، في مفهومه للسلطة السياسية، قد عدّ ولاية الفقيه هي: «صورة القيادة الإسلامية المثلى التي نسعى إليها في الأوضاع الطبيعية»^(٥).

(١) محمد الحسيني الشيرازي، نحو إدارة ناجحة، ط ١، كربلاء المقدسة، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٦م، ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، مصدر سابق، ص ٢٤.

(٣) محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط ٣، قم المقدسة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص ٤١٨.

(٤) محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٧٩.

(٥) مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد محمد تقي المدرسي في مدينة كربلاء المقدسة في جامع الإمام موسى الكاظم عليه السلام، بتاريخ ١٧ / ٣ / ٢٠١٢م.

ولكن السيد محمد تقي المدرسي يرى أنه في حالة لم نتمكن من تحقيق هذه الصورة المثلى من القيادة التي تتمتع بشرعية مطلقة، فإن هناك نوعاً من القيادات التي تمتلك شرعية نسبية يعود إليها الفضل في استمرار الحكومة العادلة^(١).

(وهذا ما سنلاحظه في المبحث الرابع والذي نتطرق فيه لمفهوم الحكومة الإسلامية).

إن المطالع للقرآن الكريم في حديثه عن قصة بلقيس أو طالوت أو ذي القرنين يجد هنالك شرعية نسبية للملك غير الرسول، ويرى أن هذه الحالات استمدت شرعيتها من الله سبحانه وتعالى في حين إذا وجدت في هذا العصر فإنها لا بد -ووفقاً لرأي السيد المدرسي- أن تستمدّها من عبادة المؤمنين^(٢)، واعتماداً على مبدأ الشورى كما هو الحال في قصة بلقيس. يتّضح مما سبق أن السيد محمد تقي المدرسي يرى أن الشورى للحاكم لا تكون في بداية انتخابه فقط، إنما الشورى استمرارية، بدلالة أن بلقيس استشارت قومها حينما جاء رسول نبي الله سليمان عليه السلام لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِیَ الْكَذِبُ كَرِيمٌ﴾^(٣) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مَسْلُومِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَّ ﴿٣٢﴾^(٤).

إذن الشورى تعني «أن تكون هناك مجموعة اجتماعية رقبية يعود إليها الفضل في استمرار الحكومة العادلة، أما الأقوال الشائعة بأن الناس يُصلحهم حاكم مستبد فإنها لا تجد نصّاً مؤيداً في الشرع ولا تجربة تاريخية ناجحة؛ لأن حكومة الاستبداد غالباً ما تنحرف عن أهدافها»^(٥).

(١) عبد الغني عباس، تطلع أمة، مصدر سابق، ص ١٠٧.

(٢) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن (تفسير للقرآن الكريم)، الجزء الثامن، ط ٢، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٣٩٧.

(٣) سورة النمل، الآيات ٢٩ - ٣٢.

(٤) نقلاً عن: عبد الغني عباس، تطلع أمة، مصدر سابق، ص ١٠٧ - ١٠٨.

وجدير بالذكر أن السيد محمد تقي المدرسي قد ذكر ثلاث ملاحظات تُوضّح الآلية التي يمكن بها الوصول إلى القيادة الإسلامية في الظروف المعاصرة، وهي على النحو الآتي^(١):

الملاحظة الأولى: إن انتخاب القائد الأعلى لا يكون هو البداية، وإنما إذا تکرّست القيم الدينية في المجتمع، فإن (القيادات الميدانية أو الوسيطة)^(٢) هي التي تقوم بانتخاب القائد، إذ من المعلوم أن تركيبة كل مجتمع تعتمد على مجموعة من المؤسسات والتجمعات والخلايا المتعددة، وكل مؤسسة من هذه المؤسسات تنتخب قائداً لها، فمؤسسات المساجد تنتخب الرجل الكفوء والقادر والتقي، وهكذا المؤسسات السياسية والتنظيمات، وعلى أساس هذه القيادات الميدانية التي تُؤدّي دوراً كبيراً في توجيه المجتمع نحو الخير والصلاح، فإنها تقوم بدور انتخاب الأصلاح.

الملاحظة الثانية: إن القيادة السياسية هي التجلي الأبرز لطبيعة المجتمع، واعتماداً على هذه الحقيقة فإننا لا بد أن نسعى إلى تكريس القيم الدينية في المجتمع أولاً، حتى يتم توجيهها إلى القيادات الربانية، هذا التوجّه الذي تفرضه علاقة التفاعل والتكامل بين أبناء المجتمع على الأساس القيمي والديني والقيادة الرسالية، ومن هنا فإن الذين يسعون إلى الوصول إلى القيادة بالقفز على مرحلة الإصلاح الاجتماعي خاطئون لا محالة؛ لأنهم حتى لو وصلوا إلى بناء قيادي سليم إلا أنه يقف على أساس مهترئ سرعان ما يزول.

الملاحظة الثالثة: إن منهجية الحكم وكيفية القيادة وطريقة الانتخاب ومدته كل هذه الأمور خاضعة لحكم العقل وتبعاً للأحوال وطبيعة المجتمعات، وهذا الذي يعطي الفكر الإسلامي صبغة عقلانية تتدخل لرسم هذه الأطر

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) المقصود بهم هنا العلماء ووكلاء المراجع.

حسب الأوضاع الخاصة^(١).

وأخيراً يُبيّن السيد المدرسي نقاط القوة في القيادة المرتكزة التي تجعل المجتمع المؤمن سابقاً لغيره من المجتمعات، وهي على النحو الآتي:

١- إن القيادة التي تستمد قدرتها من الإمكانيات المتاحة تُربّي أبناءها على الكسل والخمول، وتجعلهم من ثمّ شعباً مستهلكاً، في حين القيادة الرسالية تُربّي أبناءها وجماهيرها على الشجاعة والإقدام والعطاء والإنتاج، ولعل الفرق بين التريتين:

أن الأول همّه الاستهلاك يبحث عن الاستيراد ولا يسأل عن التصدير، في الوقت الذي يكون فيه الإنتاج المحلي محاصراً لا يحصل على حماية اقتصادية، في حين يكون الثاني همّه تشجيع حالة الإنتاج والعطاء.

٢- إن القيادة الرسالية تصب اهتماماتها في مجال التربية الأخلاقية لأتباعها، وهذه التربية هي التي تدفع المجتمع إلى مجالات التقدّم والرخاء والإبداع، في حين القيادات الأخرى محافظة تخشى الأفكار الجديدة، ولهذا توقف مسيرة التطور الجماهيري تحت عناوين متعددة كالقداسة والأصالة والتراث.

٣- القيادة الرسالية القائمة على القيم تكون قيادتها سليمة وحكيمة؛ لأنها تقود المجتمع تجاه القيم الصالحة من العدالة والمساواة ونصرة المستضعف... بينما القيادات الأخرى وبوصف منطلقاتها اللاقيمية لا تستطيع أن تقود الناس إلّا إلى الظلم والعدوان والتمييز والتعالي على الآخرين.

المطلب الثاني: السيادة

إن السيد محمد تقي المدرسي في نظريته عن السيادة أكد أن الشعب يجب أن

(١) عبد الغني عباس، تطلع أمة، مصدر سابق، ص ١٠٩.

يكون انعكاساً للتوحيد الإلهي، وهذا - من وجهة نظر السيد المدرسي - جوهر السياسة الإسلامية المتمثلة أولاً وقاعدياً بالسيادة والقوة المؤثرة في توجيه الأمة، وهذه السيادة تقوم على أساس التوحيد ورفض الشرك الذي يعني تحطيم القوة السياسية المبتنية على قواعد مادية كالمصالح البرجوازية الطبقية والقومية والمهنية والسلطوية، فالإسلام حين يرفض الشرك يرفضه ويقضي عملياً على تنامي أية قوة سياسية مهما كان اتجاهها وأسباب وجودها، وهرمياً فإن السيادة القائمة على التوحيد الإلهي تنتقل بصورة طبيعية إلى طبقة الفقهاء بعد الأنبياء والأئمة المجسدين لتلك السيادة التي تحقق وحدتها تلاحم المجتمع الإسلامي وتحفظ وحدته واستقراره، واستطراداً تحقق رفاهه الاقتصادي وحرية السياسية^(١).

ولكن السيد المدرسي - بنظريته عن السيادة تلك - قد أكد ويؤكد مرات عدة في كتبه على أن الإسلام ليس استبدادياً دكتاتورياً، فربما هنالك من يستبد بالحكم باسم الإسلام، فالإسلام - في رأيه براء منهم، فالسيد محمد تقي المدرسي يذكر قائلاً: «فالإسلام هو دين الرأي والنظرية، دين المقدسات والقيم الخيرة التي يجب أن تسود وتحكم، دين المسؤولية والمواثيق والعهود المبرمة والوفاء بها، وإن أضعف فرد في هذا المجتمع لا بد أن يتحمل مثل هذه المسؤوليات، فقبول الحكم شيء وطاعته شيء آخر، وإن الانقياد والتسليم لله واجب»^(٢)، ومن ناحية أخرى ووفقاً لرأي السيد محمد تقي المدرسي يجب أن يكون انتخابه للحاكم انتخاباً حراً صادراً عن وعي، وتجب مراقبته لئلا تظهر منه بادرة تجرّه إلى الانحراف تدريجياً، أي مراقبة التزامه بالقيم والاستمرار والاستقامة عليها ثم إبداء الرأي، والمشاورة، وإسداء النصيحة لهذا القائد^(٣). وقال السيد المدرسي: الحكومة المثالية - التي يسعى إليها ويتحرك نحوها في حركته ومسيرته الإيمانية

(١) نقلاً عن: فؤاد إبراهيم، الفقيه والدولة، مصدر سابق، ص ٣٦٤.

(٢) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٣٤٣.

(٣) محمد تقي المدرسي، الحكم الإسلامي في مدرسة الإمام علي عليه السلام، مصدر سابق، ص ١٣٤.

والرسالية في الحياة- تتحقق اذا التزم الشعب بالشروط السابقة^(١).

يبنى السيد محمد تقي المدرسي فكرة القيادة - كما أوضحنا سابقاً - من رؤية مستمدة من فكرة الحاكمية الإلهية التي طرحها أول مرة «أبو الأعلى المودودي، وشرح أبعادها وطور مضامينها سيد قطب، في أن حاكمية الله لا تعني إلا حاكمية شريعته في الحياة البشرية... ومن ثم فحاكمية الله في حقل التشريع تنتهي إلى سيادة الدين»^(٢).

(١) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.
(٢) ينظر أبو الأعلى المودودي وسيد قطب إلى السلطة متمثلة في (الحاكمية) أي أنها تمثل سلطة الأمر والنهي العليا المطلقة، وهذا في الأصل لا يكون إلا الله تعالى، إذ يرى (أبو الأعلى المودودي) -الذي يعد من أبرز منظري هذا الاتجاه- أن تصور الإسلام عن الحاكمية واضح ولا تشوبه شائبة، فهو ينص على أن الله تعالى وحده خالق الكون وحاكمه الأعلى، وأن السلطة العليا المطلقة له وحده، أما الإنسان فهو خليفة هذا الحاكم الأعلى ونائبه، والنظام السياسي لا بد من أن يكون تابعاً للحاكم الأعلى، ومهمة الخليفة هي تطبيق قانون الحاكم الأعلى في كل شيء وإدارة النظام السياسي على وفق أحكامه. وتأسيساً على هذا الرأي فإن من مبادئ وقواعد الإسلام السياسية أن تنتزع جميع حقوق الأمر والتشريع من أيدي البشر، منفردين ومجتمعين، ولا يؤذن لأحد أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعون، أو ليس قانوناً لهم فينقادوا له ويتبعوه، فإن ذلك أمر مختص بالله تعالى وحده لا يشاركه فيه أحد غيره، فالحاكم الحقيقي هو الله والسلطة المختصة بذاته تعالى وحده، وليس لفرد أو أسرة أو حزب أو لساائر القاطنين في الدولة نصيب في هذه الحاكمية، والسبب في ذلك هو أن جملة صفات الحاكمية وسلطتها مجتمعة في يديه سبحانه، وليس في هذا الكون أحد قط يحمل هذه الصفات أو ينال السلطات. أما (سيد قطب) -وهو يعد أيضاً من منظري هذا الاتجاه- فإنه يرى أن القاعدة النظرية التي قام عليها الإسلام على مدار التاريخ هي أفراد سبحانه بالآلوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية.. ومعنى تقرير هذه القاعدة من الوجهة النظرية، هي أن تعود حياة البشر بجمليتها إلى الله لا يقضون هم في شأن من شؤونها ولا في أي جانب من جوانبها من أنفسهم، بل لا بد أن يرجعوا إلى حكم الله فيها ليتبعوه. وتأسيساً على ذلك فإن الناس بجمليتهم لا يملكون حق الحاكمية إنما يملكه الله تعالى وحده، فهم يارسون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه، أما ما لم يشرعه الله فلا سلطان لهم ولا شرعية، إذ إن الحاكمية من خصائص الإلوهية، ومن ادّعى الحق فيها فقد نازع الله أولى خصائص أولوهيته، سواء ادّعى هذا الحق فرداً أم طبقة أم حزب أم هيئة أم أمة أم الناس جميعاً...

إن الإسلام لا يعترف بسيادة الإنسان على نفسه من دون أن يقرّها الله سبحانه وتعالى ربّه وخالقه ومالك أموره ومن إليه المصير... ولذلك فهو يضع أولى قواعد السياسة على أساس معتدل يرتفع البناء باعتدال.

يوجّه السيد محمد تقي المدرسي انتقاداته إلى فلاسفة البشر أمثال لوك وروسو لأنهم يُقرّرون حق السلطة للبشر، واصفاً فلسفتهم تلك بأنها تجعلهم ينحرفون في سيرهم من المنطلق حتى النهاية؛ ذلك لأنه^(١):

وإذا كانت الحاكمة تمثّل سلطة الأمر والنهي العليا والمطلقة، وهذا مرده إلى الله تعالى، تنظمه شريعته، التي هي بمثابة القانون الأعلى الذي لا يملك المؤمنون إزاءه سوى الطاعة، فإن هذا الأمر والنهي يقتضي سلطة معينة في الواقع تكون مخوّلة إلزام الأفراد ولو بالقوة لدى الاقتضاء، بتنفيذ ما صدر عن تلك السلطة صاحبة الحاكمة، ومن أجل ذلك (والرأي لأنصار هذا الاتجاه) لا بد من أن تكون هناك خلافة نائبة عن الله تعالى وسلطانها تكون مقيدة في العادة بالشريعة الإسلامية، أي سلطة تنفيذ ما صدر عن سلطة الأمر والنهي العليا والمطلقة، فإذا كانت الحاكمة لله تعالى بخاصة فلكل من قام بالحكم في الأرض على وفق القانون الإلهي يكون خليفة الحاكم الأعلى، ولا يتولى إلا ما ولّاه المستخلف، فإذا كانت هذه الخلافة تشمل جميع المؤمنين، فلا بد لهم من تفويض خلافتهم إلى فرد عن رضا منهم واتفاق كلمتهم عليه، ويخلص أنصار هذا الاتجاه بالإشارة إلى أن السلطة المطلقة هي لله تعالى وحده، والإنسان في علاقة عبودية والله تعالى من خلال سلطته تعالى المطلقة عليه، لذلك فإن الخضوع لسلطة أو إرادة شخص أو مجموعة ما أو حتى الأمة هو إشراك في حال تناقض إرادة الفرد أو الأمة والرسالة الإلهية والمبادئ المنصوص عليها في القرآن الكريم. للمزيد انظر:

- أبو الأعلى المودودي: الحكومة الإسلامية (ترجمة) أحمد أدريس، ط ١، القاهرة، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٧٧ م، ص ٤٦.
- أبو الأعلى المودودي: الخلافة والملك (ترجمة) أحمد أدريس، ط ١، الكويت، دار القلم، ١٩٧٨ م، ص ١١.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، ط ٧، ج ٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١ م، ص ٣٦٤.

- سيد قطب: معالم في الطريق، ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٤ م، ص ٦٥.
(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٣٤٢.

- ١- إذا كان حق السلطة للبشر كان لكل منهم الخروج عليها متى شاء، إذ ليست السلطة أكثر من شيء أرادته الفرد في زمن، فإذا ما أراد أن يرفضه، فلماذا لا يجوز له ذلك؟ ولماذا نأخذ بكلامه الأول دون الثاني؟.
- ٢- ثم إن الناس لا يتفقون دائماً في وضع شكل خاص للسلطة أو فرد معين منها، فيكون مبعث خلافات لا تنتهي، وهي من ثم تُسبب شقاء البشرية (كما هو موجود في الأنظمة الحالية).
- ٣- إن الإنسان حين يكون مُعرّضاً للخطأ في كل أطواره ومعرضاً للتأثر بالدعاية والتأثر بالنزاعات والتأثر بالشهوات وما أشبه من أنواع المؤثرات في النفس، فلا بد أن يأتي تعيينه لنوع الحكومة والحاكم خطأ على الأغلب (كما نراه اليوم وقبل اليوم وكل يوم نظرية جديدة وشخصاً جديداً وليس الثاني بأحسن من الأول وإن عارضه وخالفه).
- ٤- إن سلطة الشعب على نفسه تُمنى في أحسن الفروض بهذه المساوىء.. أما إذا جاء الاستغلال -وهو آتٍ قطعاً- وإذا استبد الرئيس بالحكم وزور الانتخابات فهناك شقاء ليس وراءه شقاء.

ولهذه النواحي وغيرها فقد قرر الدين أن حق الحكم إنما هو لله فقط، والله أيضاً حق انتخاب الرئيس، وليس للناس أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. وتأسيساً على ذلك يرى السيد المدرسي فكرة قيادة الفقيه بقوله: «وإذا كان مقياس السيادة هو تقمُّص الدين إذ له فقط السيادة الحقة، وإذا كان الفقيه العادل هو الذي تقمُّص روح الدين وجسّد تعاليمه فإنه أحرى بالسيادة من غيره، بل ستكون سيادة غيره شركاً بالله العظيم سبحانه عن الشرك»^(١).

ومؤدى هذا الرأي -من وجهة نظره- حرمة التصدي للقيادة العامة من أي إنسان لم تبلغ به الفقاهاة حد الاجتهاد، ولا الضبط حد العدالة، ولا لأي

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٦٢ - ٦٣.

إنسان كذلك من الآخرين.

إن السيد محمد تقي المدرسي قد طرح وجهة نظر مختلفة للسيادة تتقاطع جذرياً مع نظرية السيادة الشعبية التي طرحت في القرنين السادس عشر والسابع عشر وتبلورت لدى لوك وروسو فيما بعد، وتستند نظرية السيادة الشعبية على فلسفة سياسية عبّر عنها أرسطو بأن الحياة السياسية هي صفة فطرية لدى الإنسان، ومن ثمّ فإن حكر السلطة في فئة أو طبقة معينة يُفضي إلى اختلال التوازن البشري، وانطلاقاً من اعتبار الدولة والمجتمع حيز مزاولة الشريعة، والتي يصبح التعبير عنها بولاية الفقيه يتنفي حق الأمة في إنتاج سلطتها، كما يلزمها اتباع طريقة محدّدة في انتخاب قيادتها ونوع القيادة أيضاً، فالسيد محمد تقي المدرسي في سياق إجابته عن سؤال حول أسلوب اختيار القائد يستنكر أساليب: الاقتراع، والاستفتاء، والتظاهرات، بوصفها أساليب غير إسلامية؛ لقوله: «أما الإسلام فإن له أسلوباً ومنهجاً آخر في انتخاب القائد هو منهج الضمير والوجدان»^(١)، أي توظيف مسألة (التقليد) بالمفهوم الفقهي الشيعي في الحيز السياسي، «فأنا عندما أقُلّد العالم الفلاني بوجداني وضميري وبينني وبين الله فأني أكون قد ارتبطت بعقد لا يمكن أن ينقسم أبداً، أي إن هذا الارتباط أصبح قوياً بإمكانه أن يدوم لسنين طويلة»^(٢).

وبناءً على ذلك فإن أسلوب الاختيار النابع من الضمير يُمثّل الاختيار الأقوى من وجهة نظر السيد المدرسي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدّ السيد المدرسي أن في الانتخابات السياسية يمكن أن يحدث تزوير في صناديق الاقتراع، في حين أن الإنسان لا يستطيع أن يزور على نفسه ويخدعها لأن القضية بينه وبين الله تعالى^(٣).

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ٩٦.

(٢) انظر: محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٧٩.

ولعل وجهة نظر السيد المدرسي بخصوص اختيار القيادة الإسلامية لم تسلم من الانتقادات، فقد وجّه فؤاد إبراهيم نقده لها بوصفها تنطوي على غموض ناتج من أمرين هما كما يأتي^(١):

الأمر الأول: من دعوى إسلامية الأسلوب المذكور، إذ لا نص ديني يحضره، بقدر استناده على واقع تاريخي، فالمرجعية الشيعية بواقعها الحالي وشروطها المستحدثة، لم تكن معروفة قبل نحو قرنين، ومع ذلك يمكن للمدرسي تبديد الغموض في حال تأويل بعض النصوص الواردة في باب تقليد الفقهاء (رواية الحديث) على أنها كاشفة عن أسلوب اختيار القائد، ولكن ذلك لا يصل بحال إلى تعميم الأسلوب إلى باقي المذاهب ممّا يصحح نحله صفة (إسلامي).

الأمر الثاني: إمكانية تزوير الوعي السياسي للجمهور، وهي إمكانية تسري على التقليد أيضاً، فإمكانية التزوير قابلة للوقوع في كلا الحالتين وبالوسائل نفسها.

المطلب الثالث: شروط الولي الفقيه

إن الحديث عن الولاية الفقهية يتطلّب معرفة الشروط الواجب توافرها فيمن يتولّى هذا المنصب، وقد حدّدها السيد محمد تقي المدرسي في ثمانية شروط، هي على النحو الآتي^(٢):

- ١- الإيمان: ويقصد بالإيمان أن يكون شيعياً اثني عشرياً، فيخرج بذلك من مرجعية التقليد كل كافر، أو مخالف، أو صاحب مذهب باطل.
- ٢- الحرية: أي لا يكون المرجع عبداً أو ما أشبه.
- ٣- الذكورة: أي يجب أن يكون المرجع رجلاً، فلا يجوز تقليد النساء.
- ٤- البلوغ والرشد: إذ لا يجوز تقليد الصغير.

(١) فؤاد إبراهيم، الفقيه والدولة، مصدر سابق، ص ٣٦٦.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، صفحات متعددة.

- ٥- طَيْب الولادة: ألا يكون مُتَوَلِّدًا من الزنا، أي طاهر المولد.
- ٦- الفقه: معرفة المناهج بصورة مستوعبة «وبما أن الناس يعجزون عن معرفة أنفسهم فهم يلتمسون هدى الله الذي يبعثه إليهم مع رسله المكرمين، ويضع لهم به أفضل المناهج العلمية لحياة البشر».
- ٧- العدالة: وهي مَلَكَةٌ إتيان الواجبات وترك المحرمات من المرجع، إذ لو استُفسر عن حاله من جيرانه أو مَن يُعَاشِرُونَهُ أو أهل مِلَّتِهِ لأخبروا بصلاحه.
- ٨- الاجتهاد: «هو القدرة على تفقه الأحكام الشرعية المبتنية على القواعد العامة».

ولعل السيد محمد تقي المدرسي يرى أن توافر هذه الشروط في القيادة الإسلامية يُمثِّلُ صمام الأمان للحفاظ على مصير الأمة^(١).

لقد وصف السيد محمد تقي المدرسي أن (الفقه) و(العدالة) شرطان أساسيان للقيادة الإسلامية، فقد وصف اشتراط (الفقه) في القائد العام ليس إلا كاشتراط (الوحي) في الرسول ﷺ، أما اشتراط (العدالة) فيه فهو كاشتراط (العصمة) في الرسول ﷺ، ووصفها ضرورة تقتضيها طبيعة التوحيد في واقع الدين الإسلامي؛ إذ إن فقد العدالة أو العصمة قد يُسبِّب ولوج أمر غير سيادة الله في حرم القيادة، فلذلك الفقيه العادل الذي تتوافر فيه شروط المرجعية الدينية الكاملة، يُمثِّلُ (قيادة إسلامية)، وإن ما سواه أنى كان اسمه وأنى كانت صورته يُمثِّلُ الطاغوت (قيادة جاهلية)^(٢).

ووفقاً لهذه الرؤية يمنح السيد محمد تقي المدرسي الفقيه صلاحيات واسعة، مع اختلاف في دلالة مفهوم (الصلاحية) التي تكتسب لدى السيد المدرسي معنى (المسؤولية) لإضفاء الطابع الديني عليها، لكون المسؤولية لا

(١) عبد الغني عباس، المصدر السابق نفسه، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٢.

تعني تعزيز سلطة الفقيه بمقدار ما هي تعزيز لسلطة الرسالة، لقول السيد المدرسي: «إن مسؤولية القائد الإسلامي وصلاحياته هي تحقيق أهداف تلك الرسالة وحمايتها وتوجيه الأمة حتى لو اقتضى تحديد بعض الحريات»^(١).

وقد أوضح السيد المدرسي أن شرط الاجتهاد في الولي الفقيه ينطلق من قاعدتين أساسيتين هما على النحو الآتي^(٢):

١- إن الفقه الإسلامي المتوافر والموجود لا يكفي لسد كل احتياجات الحياة المتطورة؛ ذلك لأن أحداث الحياة تخرج كل يوم بسؤال جديد يتطلب الإجابة، ولا يمكن أن يجيب عنه الفقه الثابت لعدم وجود (نص خاص) بشأن هذه الحادثة الجديدة، أما القواعد العامة فلا بد من وجود من يفقهها ويعرف وجوه تطبيقها.

٢- إن الاحتياج إلى الولي الفقيه يرجع إلى عدة أسباب، أهمها: استقطاب جهود الأمة، وتوجيهها توجيهاً موحداً نحو الخير والحق، ولا يمكن ذلك إلا بعد أن يجعل الولي الفقيه مرجع كل غامضة.

فضلاً عن الشروط المذكورة يُضيف السيد محمد تقي المدرسي شروطاً ذاتية وأخرى موضوعية لا بد أن يلتزم بها الولي الفقيه، وهي كما يأتي^(٣):

أ- الشروط الذاتية للولي الفقيه: وتتمثل بالكفاية الإدارية، والصبر، وتحمل الأذى، وسعة الصدر، والتي يعدها المدرسي آلة القيادة، والثقة بالنفس، والاعتماد على الذات، ومقاومة الضغوط التي تستهدف سلب ثقتنا بأنفسنا، وبالنتيجة التوكل على الله عز وجل.

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٨ - ٥٩.

(٣) محمد تقي المدرسي، النهج الإسلامي (تأملات في مسيرة الحركة الإسلامية)، مصدر سابق، ص ١٥٦.

ب- الشروط الموضوعية للولي الفقيه: من أبرز هذه الشروط هي التفاعل مع الجماهير التي تعيش في الوسط الذي يعيش فيه الولي الفقيه، ولذلك أوجب السيد المدرسي على الولي الفقيه أن يعرف ما تطمح إليه الجماهير من تطلعات مُتمثلة بالحرية والسعادة والعدالة والمجد.

وبالنتيجة فعليه أن يطرح شعارات القضية الحقيقية التي تعيشها أوسع طبقة من الجماهير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن تحس الجماهير بأن للولي الفقيه شجاعة عملية وعلمية تُمكنه من طرح قضايا الجماهير بكل جدٍّ وصراحة^(١).

وتأسيساً على ما تقدم نرى أن السيد محمد تقي المدرسي قد أسقط شرط الأعلمية في التصدي لمرجعية الفتوى إلى المستوى الذي يمكن الرجوع فيه إلى غير الأعلم حتى في حال وجوده^(٢).

وإن مسألة عدم اعتبار الأعلمية في التصدي لمرجعية شرطاً أساسياً لم تُشكّل صفة انفراد عند السيد محمد تقي المدرسي، بل يذهب إلى الاتجاه نفسه السيد محمد حسين فضل الله، إذ يرى عدم وجوب تقليد الأعلم، بل الأولى انتخاب الأفضل تقوىً وعلماً وكفاية على أساس الكفاية والتقوى المشروط بالاجتهاد^(٣).

أما بالنسبة إلى شرط الذكورة فالسيد المدرسي يذكر قائلاً: «إن خير الناس للقيادة من توافرت فيه الحكمة والحزم ولاريب في أن الرجل ابلغ من المرأة حكمة ورشداً واشد حزماً لأن المرأة إنسانة عاطفية تستهويها المظاهر القريبة، في

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٨.

(٢) محمد تقي المدرسي، استفتاءات (الفتاوى الجديدة لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي)، مصدر سابق، ص ١٢.

(٣) انظر:

- محمد حسين فضل الله، أحكام الشريعة، ط ١، المركز الإسلامي الثقافي، ١٤١٧ هـ، ص ٦٨.

- محمد حسين فضل الله، الفتاوى الواضحة، ط ٢، المركز الإسلامي الثقافي، ١٤٢٠ هـ، ص ٢٠.

حين ينفذ الرجل إلى حقائق الأمور ومستقبل الأحداث»^(١).

ويضع تبريرات لرأيه هذا بقوله: «فضلاً عن أن هذه الحقيقة وجدانية تشهد عليها الأحداث اليومية للحياة فإنها حقيقة علمية تؤكدتها أبحاث علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا والاجتماع؛ إذ إن الفيسيولوجيين يؤكدون أن أعصاب المرأة أكثر حساسية أو أسرع نبضاً من أعصاب الرجل، ويؤكد السيكولوجيون أن انطباع المرأة النفسي أشد وأعمق من انطباع الرجل، أما الاجتماعيون فيلاحظون أن المرأة لا تتعمق في الأحداث بل تقف عند مظاهرها الخارجية»^(٢)، ويضيف: إن الأمم على اختلاف بيئاتهم وتناقض أفكارهم لم يستخلفوا امرأة إلا في حالات نادرة جداً، وإن هذا لشهادة على أمرين^(٣):

- ١- أن البشر قد اهتدى بفطرته إلى عدم صلاحية المرأة للقيادة.
- ٢- أنه لم تستطع امرأة أن ترتفع إلى مستوى القيادة، وإن لم يكن قد اشترط في قانون الدولة أن يكون القائد رجلاً، بل لو أن المرأة كانت تمتلك كفايات الرجل جميعاً لاستردت حقها من الرجل استرداداً وانتزعت، مع أن عدد النساء أكثر من الرجال غالباً.

ولعل المبررات المتقدمة قد قدمها السيد المدرسي من زاوية التحليل العقلي والنفسي، أما ما يقتضيه النص التشريعي فيذكر أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في كتابه الكريم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(٤).

وفي الحديث النبوي: «لا يفلح قوم وليتهم امرأة».

(١) محمد تقي المدرسي، المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، ط ١، دار محبي الحسين عجلاله ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م، ص ٦٠.

(٢) انظر: محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٤٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٤٦.

(٤) سورة النساء، الآية ٣٤.

وإن للقوامة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى دلالة حول القضاء والحكم، وليس في هذا النص تصريح أو تلويح إلى اختصاص (القيمومة) بداخل البيت وفي الشؤون الزوجية، كما زعمه بعض، ولعل السيد محمد حسين فضل الله لا يتفق مع السيد المدرسي في رأيه المتقدّم، فالسيد محمد حسين فضل الله يرى إمكانية تصدي المرأة للمرجعية الدينية؛ لقوله: «إن القواعد الأصولية لا تمنع من أن يرجع إلى المرأة في الأحكام الشرعية إذا كانت على مستوى عالٍ من الاجتهاد والعدالة.

لأن قضية التقليد ليست من القضايا الشرعية كي تحتاج إلى نص شرعي، بل هي قضية عقلانية»^(١).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السيد فضل الله يرى أن اشتراط الفقهاء للذكورة لا أساس له؛ لأن المرجعية هي أمر علمي، واشتراط الفقهاء للذكورة ناشئ من طبيعة المجتمع الذكوري، والتقاليد الاجتماعية الموروثة^(٢).

وختاماً لهذا المبحث فإننا نرى أن السيد محمد تقي المدرسي قد جعل للفقهاء سلطة واسعة بوصفها مستمدة من الله سبحانه وتعالى بالجعل والتنصيب، وجعل من دور الأمة دوراً محدوداً بانتخاب من يمتلكون شروطاً محددة إلا أن هذا الدور قد اتسع ليشمل انتخاب الفقيه وعزله في أوضاعنا المعاصرة انطلاقاً من مبدأ الشورى.

(١) محمد حسين فضل الله، دنيا المرأة، (د.م)، المركز الإسلامي الثقافي، ١٤١٧هـ، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) محمد حسين فضل الله، ١٠٠ سؤال وجواب، ج (٢١)، ط ١، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٤م، ص ٢٨.

وظيفة السلطة

إن للسلطة وظائف، منها الوظيفة الحضارية، والوظيفة التشريعية القضائية والوظيفة الحيوية (التنفيذية) وهذه تضطلع بها الدولة، والدولة لدى السيد المدرسي يكتفيها ويقرنها بالولي الفقيه في الإسلام بوصفه رئيس الدولة، والدولة ممثلة للأمة؛ لذلك سنناقش في هذا المبحث وظائف السلطة من خلال ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الوظيفة الحضارية.

المطلب الثاني: الوظيفة التشريعية والقضائية.

المطلب الثالث: الوظيفة التنفيذية.

المطلب الأول: الوظيفة الحضارية

أجمع الفقهاء على وجود حضارتين منذ بدء الخليقة، هما حضارة الحق وحضارة الباطل، ولكل حضارة منطقها الخاص، فالأولى منطقها - كما بين الله تعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(١).

والثانية منطقها: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾^(٢).

(١) سورة الأعلى، الآية ١٤.

(٢) سورة طه، الآية ٦٤.

فحضارة الباطل كانت ولا تزال تُعبّر عن نفسها بالاستعلاء والاستكبار. وحضارة الحق كانت ولا تزال تُعبّر عن نفسها بالإيمان وتزكية النفس وغير ذلك من المبادئ التي تسمح للإنسان بالتعالي والكمال والفوز بدار الخلود^(١).

يقول السيد المدرسي: «إن الحضارة - آية حضارة - تبدأ من الإنسان نفسه، فهو هدفها كما هو وسيلتها، وما من حضارة بزغت في التاريخ إلّا وكانت بدايتها إيقاظ (الإنسان) في الإنسان؛ لأن الإنسان قد يملك كل شيء: الأرض المعطاء، السواعد القوية، والأمن، لكنه يفقد في الوقت نفسه كل شيء؛ لأنه قد يفقد ذاته وينسى نفسه، وهنا يحتاج إلى من يُعيده إليها ويهتف به قائلاً: «ألا عدّ إلى نفسك أيها الإنسان!!»، وإذا استجاب لهذا النداء انطلقت حضارته...»^(٢).

لقد وصف السيد المدرسي الوصول إلى الحضارة الحق بأنه غير ممكن إلّا عبر البرامج الروحية، وأن أولئك الذين يريدون أن يصلوا بأمّتنا إلى مستوى حضاري أرفع من الحضارة الغربية دون أن يأخذوا الجانب الروحي في النظر هؤلاء فاشلون سلفاً.

إننا ولكي نردم هذه الفجوة بين بلداننا والبلدان المتقدمة ليس أمامنا طريق إلّا الرجوع إلى تلك البرامج الروحية التي وضعها الإسلام وخطّها الرسول الأعظم محمد^(٣)، فإذا كانت وظيفة الرسول ﷺ هي الرقابة على تطبيق الدين الإسلامي، فإن مسؤولية الأمة - ووفقاً لتوجيهات السيد المدرسي - مشابهة لذلك إلّا في واحد فقط هو:

إن رقابة الرسول إنما هي على تطبيق الأمة لمنهاج السماء، ورقابة الأمة إنما

(١) د. فرح موسى، خيارات الأمة وضرورات الأنظمة، ط ١، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م، ص ٢٦١.

(٢) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٣٣.

(٣) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ١٠٢ - ١٠٣.

هي عليها وعلى الأمم الأخرى، ومثل هذه الأمة التي وكلت لها مهمة الرقابة على سائر الناس في أمر إقامة الدين يكون عليها - من باب أولى - إقامة حكم الله داخل أبنائها، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١).

إذن فلأمة الإسلاميه سمتان اثنتان^(٢):

١ - إقامة حكم الله داخل حدودها.

٢ - إقامة حكم الله في آفاق الأرض.

وانطلاقاً من سمات الأمة الإسلامية ودورها في الحياة فقد وصف السيد المدرسي الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر بأنها تعيش مرحلة التجديد، ومن ثم فإنها تحتاج إلى من يتدرج معها في منطلقاتها الفكرية كافة ومنتزعاتها التشريعية وأعرافها الأخلاقية، محتملة لكل الضغوط الثقافية التي تتعرض لها في ابتعاثها الجديد، وأن كل هذه المسؤوليات لا يمكن أداؤها دون قيادة رشيدة وتسليم الأمة لهذه القيادة بكامل طاقتها الفكرية والمادية وصبر الأمة على ما تنتهله من هذه القيادة الرشيدة (مثلة بالفقيه العادل) من الثقافة، فالتوجيه الثقافي خاص به دون أي فرد آخر؛ لذلك عندما قسم السيد المدرسي وظائف الفقيه فقد أفرغ باباً واسعاً من الشرح المفصل في أغلب كتبه لوظيفة الفقيه المتمثلة بالتوجيه الثقافي.

فقد وصف السيد المدرسي الثقافة: «هي المعرفة التي تؤثر في عقيدة البشر وسلوكه»، والمنطق الإسلامي يسمى الثقافة بـ(العلم)، ويسمى الذي نسميه بالعلم باسم آخر هو (الحكمة)، ولذلك يعد السيد المدرسي المنطق الإسلامي يأمر بأخذ العلم من القيادة الإسلامية خاصة، في حين يحرص على أخذ الحكمة من كل إنسان كافر أو مسلم، إذ يقول: «الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها»^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٤١٧.

(٣) عبدالغني عباس، تطلع أمة، مصدر سابق، ص ١٠٣.

والسيد المدرسي يطرح حقيقة مفادها أن هنالك فرقاً بين (الثقافة الإسلامية) و(ثقافة المسلمين)، فالمسلمون أمة من الناس عاشت متفاعلة مع الحياة بما فيها من حقائق كونية، أما الإسلام فهو الذي أوحى به الله إلى نبيه محمد ﷺ؛ لذلك (الثقافة الإسلامية) هي المعارف الصادقة المفيدة التي جلّت عن الكذب والزور والباطل، لأنها نازلة من السماء هدى ونوراً لأهل الأرض، أما ثقافة المسلمين فهي ما تأثرت بسلوك المسلمين ونفسياتهم سواء كانت حقة أم باطلة، صحيحة أم خاطئة، وبما أن الدين ليس إلا ثقافة ونظاماً إذ لا بدّ له أن يتكفّل القيام بكل حاجة ضرورية للبشرية، ومن المعلوم أن الثقافة أولى هذه الحاجات ولذلك فقد تكفل بها الدين الإسلامي^(١)، وهذه المهمة من المهمات الكبيرة التي تقع على عاتق القيادات الإسلامية في نظر السيد محمد تقي المدرسي، لأنه يرى أن الوضع الثقافي في العالم الإسلامي قد عكرت صفوه ثلاثة عوامل تتمثل بـ:

١ - الثقافة الجاهلية.

٢ - الثقافة اليونانية.

٣ - الثقافة الأوروبية الحديثة.

وكل هذه العوامل تضعنا أمام حقيقة لا بدّ من الاعتراف بها، وهي أننا بحاجة إلى ثورة ثقافية تصحح الأخطاء وتتلافى الانحرافات، ولكي تتم هذه الثورة نحتاج إلى إجراء تقييم مرحلي للوضع الثقافي في خمسة مجالات^(٢):

المجال الأول: دراسة الزيادات التي دخلت في الفكر الإسلامي سابقاً وحاضراً، وما يمكن مستقبلاً.

المجال الثاني: وإذا حذفت الزوائد يمكن أن يقع فراغ في المنظومة الثقافية، ولكننا يمكن أن نقوم بسده بواسطة الاستنباط من مصادر التشريع الموثوقة.

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٢.

(٢) عبدالغني عباس، تطلع أمة، مصدر سابق، ص ١٠٣.

المجال الثالث: التمييز بين الثابت والمتطور في الثقافة الإسلامية.

المجال الرابع: التدقيق في إعطاء العلاجات المرحلية للثقافة الحاضرة.

المجال الخامس: إن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى ثقافة ناهضة، وميزات هذه الثقافة أنها جماهيرية وقوية ومتوحدة وسريعة الهضم.

مما سبق نلاحظ أن السيد المدرسي قد دعا إلى الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي، والذي دعا إليه الكثير من المفكرين الإسلاميين.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما هي آلية وظيفة الفقيه العادل في هذه الثورة الثقافية؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول: إن السيد المدرسي قد حدّد ثلاث نقاط رئيسية، وهي على النحو الآتي^(١):

الأولى: إن الثقافة الإسلامية وحدة متناسقة بين الأصول والفروع، وأفضل من يحيط علماً بهذا التناسق هو الفقيه العادل.

الثانية: الثقافة الإسلامية على صورتها الآتية خليط من الصالح والفساد، والقادر على التمييز بين هذين الأمرين هو الفقيه العادل الذي التصق لمدة مديدة من الزمن بالأحاديث الشريفة والقرآن الكريم أثناء استنباطه للأحكام الشرعية.

الثالثة: العدالة شرط ضروري لتصفية الثقافة، لأن من تتلاعب به رياح الشهوة لا يجد بداً من إضافة أفكار تؤمن شهواته وأهواءه.

وبما أن الفقيه العادل يمثل الدولة الإسلامية وهي بدورها تمثل الأمة الإسلامية، وبما أن معارف الدين هي الأسس الثابتة للثقافة التي تعطيها الدولة لمواطنيها؛ فإن مواطنيها تضع قواعد للتوجيه الثقافي العام للدولة الإسلامية في

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٣ - ١٠٤.

حقل التربية والتعليم وفي حقل الرقابة على المطبوعات والتوجيهات بصفة عامة، وفي حقل الإعلام والإرشاد، فالإعلام الإسلامي يجب أن يكون منسجماً مع الإسلام، ويجب أن يتصف بعدة صفات، لعل أهمها^(١):

الصفة الأولى: الإعلام الإسلامي هو إعلام إلهي تجاوز الدنيا إلى الآخرة، لأن الدنيا لا شيء بالنسبة إلى الآخرة، والإنسان العاقل الحكيم يجب أن يستغل هذه الدنيا لصالح آخرته.

الصفة الثانية: الإعلام الإسلامي هو إعلام شجاع لا يهادن فهو يضع النقاط على الحروف، أي هو الخطاب الفاصل والحاكم الذي يفرق بين الحق والباطل، فالإعلام الإسلامي يجب ألا يخلط الأمور مع بعضها ويقول كلمات دبلوماسية ليخرج من المأزق، فهذا أمر مرفوض ولا يجوز إلا عند الضرورة، فالأدب والتعبير الحسن في مكانهما ولكن الوضوح له موقعه أيضاً.

الصفة الثالثة: إن الإعلام الإسلامي لا يُعبّر عن الصور المتحركة، فهو يربط الحدث بمسيرته التاريخية، ويتعمّق في الجذور ليقتبس منها العبرة، ويربط بين السنن الإلهية التي بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم، فهو إعلام شرعي يقتضي البحث عن الشريعة.

فعلى كل مسلم التماس التوجيه الثقافي من الفقيه العادل، ورفض كل ثقافة سواها حتى ولو لم تكن هناك دولة قائمة؛ إذ إن هذه النصوص شاملة له بمؤداها التعبيري، شمولها له بعلتها التشريعية^(٢)، وهذا لا يعني القطيعة مع الأفكار الإنسانية بل على الإنسان دوماً أن يضع في باله أن له دين إسلامي كامل يستطيع أن يستقي منه عوامل تطوّره وتقدّمه^(٣).

(١) محمد تقي المدرسي، الإمام الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، ط ١، طهران، دار البصائر، انتشارات المدرسي، ١٤١٤ هـ، ص ٢٠٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٤٣.

(٣) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ٦٧.

نمّا سبق نصل إلى نتيجة مؤداها أن السيد محمد تقي المدرسي يُصنّف ضمن تيار القطيعة مع الأفكار الوضعية المخالفة للشرعية.

المطلب الثاني: الوظيفة التشريعية والقضائية

يرى السيد المدرسي أن الدين الإسلامي يُولي زمام السلطة التشريعية إلى الفقيه العادل، وهذه السلطة هي المسؤولة عن وضع النظام للناس فيقول:

«نحن بوصفنا مسلمين نعتقد أن الله عز وجل هو أفضل من وضع نظاماً للبشر، وهذا النظام جاء على شكل قواعد عامة تطبق على أحوال خاصة»^(١).

وللسلطة التشريعية ثلاثة أبعاد يختص بها الفقيه، وهي على النحو الآتي^(٢):

أ- وضع الدستور:

وهو المبادئ العامة والخطوط العريضة التي تُبنى عليها سائر الأشياء، وعلى الرغم من أن القرآن الكريم تكفل بهذه المهمة، إلا أن الذي يستطيع التعامل مع القرآن تفسيراً وتأويلاً هو الفقيه، وبتعبير آخر:

إن للقرآن الكريم جانين هما كالآتي:

الأول: جانب التربية والتوعية والتذكرة والتدبر، وبابه مفتوح أمام كل البشر.
الثاني: جانب التعليم والتوجيه والتشريع والتنظيم، وبابه مسدود إلا أمام من تفقه بالدين.

ب- القانون:

وهو المنهاج المفصل الذي يحتوي على سائر ما يحتاجه الإنسان من

(١) محمد تقي المدرسي، فقه القضاء وأحكام الشهادات، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ١١.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٤٦.

الأحكام، وبإجماع المسلمين إن هذا الأمر يجوز للفقيه العادل.

ج- اللائحة:

وهي القرارات المنتزعة من أحكام القانون، وتأتي هذه القرارات في التعبير الإسلامي بلفظ (الحوادث الواقعة)، هي الحوادث التي تجددت مع تطور الزمن وتوجد لها قوانين كلية لا نصوص خاصة.

لقد ذهب الفكر الإسلامي إلى أن سلطة التشريع من مختصات الله سبحانه، والتشريع إما أن يكون من طريق الكتاب أو من طريق سنة الرسول ﷺ، التي أمر الشارع المقدس باتّباعها وحذر من مخالفتها، وهذا يعني أنه لا توجد جهة تملك سلطة إصدار القوانين إلا بتفويض من الشارع المقدس^(١).

وأما بالنسبة إلى السيد محمد تقي المدرسي -وكما أسلفنا- فقد وصف بأنه لا توجد سلطة تشريعية لها أهلية التشريع والتقنين على نحو ما عليه الفكر الوضعي الغربي في هذا الشأن، وإنما يوجد المجتهد الجامع للشرائط الذي يُفتي -بما هو مفتٍ- بما يؤدي إليه اجتهاده في المسائل الشرعية التي لم يرد بشأنها نص واضح في الشريعة يحدد حكمها، وعلى هذا فإن (المرجع الشرعي) في معرفة الأحكام في القضايا الحادثة والحوادث الواقعة هو الفقيه، ولكن الفقيه -ونظراً للتطورات المعاصرة- فإنه لا ينفرد في آرائه الفقهية في إصدار الأحكام الشرعية في الموضوعات الخارجية، بل يعمل بالتعاون مع الأمة للاستئثار بالآراء من طريق المشورة، فقد وصف السيد المدرسي أن الشورى إنما هي مجال حركة العقل والوظائف المحركة إليه، وهي معرفة أحسن السبل لتحقيق القيم السامية وتحديد الموضوعات الخارجية التي تطبق عليها الأحكام الشرعية.

(١) محمد عبدالله السنان، السلطات الثلاث في الدولة الإسلامية، مجلة منار الإسلام، العدد ١١، ١٩٨٢م، ص ١١١.

وقد يرد التساؤل الآتي:

كيف تحدّد الشورى الموضوعات الخارجية؟ وما هي القنوات التي تتحرّك عبرها الشورى لتصل خلاصة أفكارها وخبرتها إلى القيادة لتتخذ القرار المناسب؟ للإجابة عن هذه الأسئلة يوضح السيد محمد تقي المدرسي ملاحظتين مهمتين^(١):

الملاحظة الأولى: إن المزيد من مجالس الشورى والمؤسسات الدستورية التي تصب فيها يعني المزيد من تركيز الخبرة وتنشيط المجتمع، وهكذا نقيس المجتمع المتقدم بمدى اهتمامه بالشورى وبعده مؤسساته ومدى نشاطها.

الملاحظة الثانية: إن تجارب البشرية عبر قرون متهادية ثروة علمية لا يمكن تجاهلها، بل ويجب الاستفادة منها في منهج الشورى.

أما عن آلية حل المشكلات الحاصلة في الدولة بطريقة الشورى فتمر بعدة خطوات تمثل بمجموعها القنوات التي تتحرك عبرها الشورى كالآتي^(٢):

أولاً: الجهة المتصدية (الدولة مثلاً) تطرح المشكلة وبصورة سؤال محدد على الرأي العام، إما بصورة مباشرة (مثل الاستفتاء العام)، أو بصورة غير مباشرة (عبر ممثليهم في المجالس الاستشارية).

ثانياً: تتصارع القوى الاجتماعية التي تختلف آراؤهم أو مصالحهم في القضية، وعبر هذا التصارع تبلور الأفكار عند الرأي العام بصورة جيدة، وتشارك مراكز البحوث والخبراء والحكماء في طرح وجهات نظر مختلفة في الموضوع.

(١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص ٢٥٨.

(٢) للمزيد راجع:

- محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، مصدر سابق، ص ٣٧.

- محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص ٢٥٩.

ثالثاً: تلخص الآراء وتجتمع صفوتها عند الممثلين الذين -هم بدورهم- يدلون بأصواتهم في الاقتراع على عنوان قانوني معين، ويكون هذا العنوان بمثابة تحديد المصلحة عند العرف ومن ثم أرضية لحكم الشرع المقدس.

رابعاً: فإذا تكونت الأرضية نظر الفقيه في الأمر واستنفذ جهده في التعرف إلى القيم الدينية، والقواعد الشرعية التي تطبق في هذه القضية، وهل يعارض رأي الناس نصاً شرعياً، أم لا؟، وكيف يجب أن تأتي الصياغة النهائية للحكم الشرعي، حتى ينسجم مع سائر أحكام الشريعة؟ فإذا لم يجد الفقيه شيئاً من ذلك أمضى الحكم، وإلاّ ردّه واقترح صيغة مناسبة.

أما بالنسبة للوظيفة القضائية فإن صلاحيات هذه الوظيفة تنحصر في تعيين الشخص الذي يحق الحق ويستحقه^(١).

وتنقسم هذه الوظيفة عادة إلى مدنية وشرعية إلاّ أن الإسلام يأبى هذا التقسيم إذ لا ينطلق الإسلام من المبدأ القائل «الدين لله، والحكم للشعب» بل ينبعث من مبدأ «أن الدين والحكم ليسا إلاّ لله»، ويحدد الإسلام هذه السلطة بقيادة الفقهاء انطلاقاً من مبدئه في أن الحكم لله وحده.

المطلب الثالث: الوظيفة التنفيذية

وتعد هذه السلطة من وجهة نظر السيد المدرسي من أقوى السلطات في البلاد، لأنها تمسك بزمام الحكم الحقيقي^(٢).

ويرى السيد محمد تقي المدرسي بأنه حتى لو كانت السلطة التشريعية والقضائية صائبة، مع وجود الانحراف في السلطة التنفيذية، فإن ذلك يعني

(١) محمد تقي المدرسي، فقه القضاء وأحكام الشهادات، مصدر سابق، ص ٣٥.

(٢) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٣، ط ١، طهران، دار نشر المدرسي للطباعة والنشر، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م، ص ١٨١.

فشل هذه السلطات جميعها، فكيف يمكن تحصين هذه السلطة من الانحراف؟

يجيب السيد المدرسي: إن القوة التنفيذية لا يمكن أن تحصن بقوة تنفيذية عليا، وإنما الذي يتمكن من ذلك وجود قوة فوق المادة، وهذه القوة مفقودة في النظم الأخرى وموجودة في نظام الإسلام عبر الفقه والعدالة، فالفقه تبصير للواقع، والعدالة تعني السير وفقه، ولو لم توجد في الشريعة نصوص خاصة تعد هذين الشرطين في القوة التنفيذية لوجب علينا أن نعهما اعتماداً على بصيرة العقل ومقياس الدين، حيث إن النصوص الشرعية التي تنهى عن طاعة الجاهل في أبسط الأشياء، لا يمكن أن تفتح المجال أمام طاعة القوة دون فقه وعدالة^(١).

ثم يأتي التساؤل المهم: ما هو الداعي الذي يستدعي القيادات الإسلامية بهذه الصورة وبهذه الصيغة؟

يتسلسل السيد المدرسي في الإجابة عن هذا التساؤل تدريجاً، فيؤكد أن قيمة القيادة الإسلامية نابعة من قيم المجتمع المؤمن، فهي انبثاق عن تلك القيم التي تحكم المجتمع، وهذا يعني أن القيم التي تحكم حياة الأفراد وطبيعة شخصياتهم ونظرتهم إلى الدين. ولكي تفتح الصورة أكثر يذكر هنا نمطين من تعامل المجتمعات مع القيادة^(٢):

النمط الأول: النظرة السطحية، وتعتمد هذه النظرة على الاعتقاد بأن القيادة مبعث للرزق ومصدر للعطاء المادي، وقد جاء هذا الصنف في كثير من الآيات القرآنية، إذ نظروا إلى الأنبياء بهذه الصورة، تقول الآية الكريمة:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَقٌّ تَفْجُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ﴾^(٣).

(١) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٥٣.

(٢) عبد الغني عباس، تطلع أمة، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان ٩٠ - ٩١.

النمط الثاني: النظرة الرسالية المعتمدة على الإيمان بالغيب، وعلى هذا الفرض لا تهتم هذه النظرة بالحالة البشرية والمعيشية، وإنما يكفيها أن تستمد هذه القيادة شرعيتها من القيم الإلهية.

إن التسليم للحقائق الغيرية القائمة بالله سبحانه وتعالى من وجهة نظر السيد محمد تقي المدرسي كالتسليم للقيادة المجعولة، ولهذا التسليم عدة مراحل^(١):
المرحلة الأولى: الإذعان، وهو الاعتراف بالوجود مقابل الإنكار.

المرحلة الثانية: الاعتراف بالحقوق، إذ إن الاعتراف ليس مطلوباً لذاته وإنما هو مقدمة لمعرفة هذه الحقوق والإذعان إليها، فالإذعان لله عز وجل وحب عباده، وحب المخلوقات.. بوصفها إشعاعات لنور الإيمان، ومن هنا تنبع ضرورة القيادة الإسلامية تأمين هذه الحقوق والسهر على تحقيقها.

يذكر السيد محمد تقي المدرسي أن ممارسة القوة التنفيذية أظهر وأكبر وأخطر ما مارسه الرسول الأعظم ﷺ.

فقد كان الرسول ﷺ قائد حرب، ورئيس وحدات إدارية، ومجري الحدود ومقيم حكم الله في الأرض، فلا بد إذن أن يكون خليفته قائماً بهذه الأمور في أول يوم ترجع إليه أمور الحياة، وإذا كان الفقهاء العدول هم (خلفاء الرسول وأمناءه) في الرسالة وورثته في المعارف، وإذ هم حجج الإمام وخلفاؤه فهم أولى بتلك الرسالة من غيرهم.

وهناك دليلان على اختصاص السلطة التنفيذية بالفقهاء العدول، وهما^(٢):

أ- الرواية المقبولة المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام: إذ قال راويها: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٦.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٦٢.

أو ميراث فتحاكمها إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ فقال عليه السلام:

من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت وما يحكم له فإنما يأخذه سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾.

فقلت: فكيف يصنعان؟! فقال:

ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً.

لقد أصبح المجتمع العصري أشد حاجة إلى النظام من أي مجتمع آخر في التاريخ لما تميز به من تعقيد الحياة المتزايد، وشدة التنسيق لدى الأعداء مما يسبب فقدانه انهيار الأمة وتخطيمها.

وقد عرف السيد المدرسي النظام بأنه «كل ما تحتاج إليه الأمة في حياتها المعيشية ولم تجد له حكماً عاماً أو خاصاً في الشريعة»^(١).

فتعيين الموظفين في مناصب الدولة، وتنسيق العمل في القطاعات المختلفة للدولة، وفرض إجراءات إضافية لحماية استقلال الأمة أو أمنها، وتوجيه الاقتصاد فيما إذا هدد انفلاته كيان الأمة وما إلى ذلك، نظام تحتاج إليه الأمة الإسلامية حاجة سائر الأمم إليه، ويضيف قائلاً:

وحسبنا مثلاًلن نتزعهما من واقعنا الراهن يدلان على أن النظام أصبح اليوم ضرورة ملحة أشد منها في أي يوم آخر:

١- إن بلداً متخلفاً كالبلاد الإسلامية، لا يمكنه أن يحافظ على استقلاله، ويضمن تطوره إلا بانعاش اقتصاده وتحريره من الاحتكار الأجنبي والعجز في الخبرة.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٦٣.

وكل ذلك لا يمكن إلا بالتعاون وتنسيق، وبذل ما بوسع الأمة من طاقات، فمن سيقوم بهذه المهمة سوى الإمام (أي الدولة)، وهل يمكن لغيره أن يخطط لاقتصاد الأمة، ويعرض تخطيطه عليها؟؟

٢- في اليوم الذي تحشد القوى الجاهلية طاقاتها في كتل منظمة متراسة هل يمكن للإمام (وهو يمثل الأمة الإسلامية أبداً) إلا أن يحشد طاقات الأمة ويوجهها ضد أعدائها؟؟

ولكن كيف يقوم الإمام بذلك إذا حدّدنا صلاحياته ضمن حدود ضيقة هي حدود تطبيق الشريعة فقط؟

ثم هل يمكن لدولة تقوم باسم الإسلام أن تدعو الناس إلى إطاعة التنظيم الذي لا بدّ أن تقوم به الدولة قطعاً باسم جاهلي؟

أم لا بدّ أن يكون في الدين ما يستطيع الإمام أن يطالب باسمه: الأمة يجب أن تطيعه ضمن حدود الشريعة العامة لكي يقدر على حشد ما لها من طاقات من أجل تحقيق آمالها؟

ويختم السيد المدرسي حديثه في هذا المجال بالقول: «إن التوجيه الاقتصادي والتوجيه السياسي (ضمن كتل دينية) من الضرورات الملحة التي لو لم يكن في الإسلام نصّ يخول بموجبه الإمام حقها، لاستنبطناها من دليل العقل، ذلك أنه يهدي إلى أن على الله أن يوحى إلى نبي الإسلام وخاتم النبيين ديناً كاملاً فيه كل ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة.

وبإضافة التوجيه الاقتصادي الذي يحتاج إليه الناس كالتوجيه السياسي يعلم أن الدين قد خوّل ذلك إلى (الفقيه العادل) الذي نقطع بعدم وجود غيره أهلاً لهذا المنصب الخطير»^(١).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٦٤.

الحكومة الإسلامية

تتابعت البحوث حول أفضل أشكال الحكم وأسسها التي تضمن إيصال البشرية إلى ساحل السعادة، ورفع أنماط الظلم والتعدي التي ابتليت بها على مر التاريخ.

وقد جاءت أفكار السيد محمد تقي المدرسي عن صيغة الحكومة الإسلامية استجابة لمتطلبات الواقع الراهن (الوضعي)، ولمعرفة أفكاره عن الحكومة الإسلامية ارتأينا تقسيم المبحث على ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الحكومة الإسلامية

المطلب الثاني: رئيس الحكومة الإسلامية.

المطلب الثالث: مؤسسات الحكومة الإسلامية.

المطلب الأول: مفهوم الحكومة الإسلامية

إن العناية الربانية والحكمة الإلهية قد قضت بأن يكون الرسول ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، نظراً لما تعنيه هذه الولاية من رحمة وهداية وتدبير، من منطلق كونه حاكماً مطلقاً ومرجعاً دينياً وسياسياً للأمة، وقد أنزل الله كتابه بالحق عليه ميزاناً للعدل، فمن اهتدى به بلغ رشده، ومن استوحى منه عرف

وجه الصواب في متشابهات الأمور، وهنا يعد السيد محمد تقي المدرسي أن سعادة المسلمين ولقرون متطاولة كانت بسبب استضاءتهم بنور الوحي، فبنوا حضارة كبيرة وتنعموا باستقرار وأمن وتقدم، إلا أنهم حين توقفوا عن مسيرة الوحي تخلّفوا واستغل أعداؤهم ذلك، فاستضعفهم وأذاقوهم الويلات^(١)، واليوم حيث تنطلق نهضة عارمة باتجاه التغيير في أوساطهم، ليس لهم وسيلة للخلاص من التخلّف والاستضعاف إلا باستحصال منهجين أساسيين^(٢):

المنهج الأول: ويكون بالعودة إلى ذلك الميزان الذي ادّخر فيه منظومة متكاملة من قيم الحق، والمثل التي تفيض بالأنظمة العادلة.

المنهج الثاني: ويكون بالعودة إلى السيرة النبوية الشريفة وإلى روايات أهل البيت عليهم السلام.

لقد حدّد الوحي معالم الحكومة الإسلامية من خلال بيان أبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها الإمام، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٥).

أما ما جاء في السنة الشريفة فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما

(١) محمد تقي المدرسي، تزكية النفس سبيل المؤمنين، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٩.

وَلَّتْ أُمَّةٌ قَطُّ أَمْرَهَا رَجُلًا وَفِيهِمْ أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَذْهَبُ سَفَالًا حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مَا تَرَكُوا».

وجاء في جواب الإمام علي عليه السلام على رسالة بعثها إليه معاوية: «الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل، ضالًّا كان أو مهتديًّا، مظلومًا كان أو ظالمًا، حلال الدم أو حرام الدم، ألا يعملوا عملاً، ولا يُحدثوا حدثًا، ولا يُقدِّموا يدًا ولا رجلاً، ولا يبدؤوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً عارفاً بالقضاء والسُّنة، يجمع أمرهم، ويحكم بينهم، يأخذ للمظلوم من الظالم حقه، ويحفظ أطرافهم ويجبي فيأهم، ويُقيم حجَّهم وجمعتهم، ويجبي صدقاتهم».

أما عن صيغة تلك الحكومة فإن السيد محمد تقي المدرسي، لم يحدِّد لها صيغة ثابتة، وإنما جعلها تابعة للمتغيرات، بعد اعتماد ثوابت الشريعة، ذاكراً مجموعة من التوصيات عدّها تُشكِّل بمجموعها إطاراً للحكم الإسلامي، وهي على النحو الآتي^(١):

أولاً: الحكم الإسلامي حكم رئاسي يختار آحاد الأمة شخص الرئيس ذي الصلاحية، ويراقبون أداؤه لمسؤولياته، ولهم عزله في حال تخلفه، حسب ما تُقرِّره القوانين الشرعية.

ثانياً: تنتخب الأمة -انطلاقاً من أدلة الشورى- مؤسسات دستورية هدفها تقديم المشورة للرئيس، ولها صلاحيات محدّدة حسب الأحكام الشرعية، وهي تقوم بدور الوسيط بين الأمة والرئيس في تقديم المشورة وفي الرقابة على الأداء.

ثالثاً: لا بدّ أن تتوافر في الرئيس شروط هي تجسيد للقيم الإلهية، مثل

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١١٨.

الإيمان والفقه بأحكام الدين فقهاً يوافر له استنباط الأحكام الشرعية في الوقائع المستجدة.

كما تشترط فيه العدالة، والقدرة على أداء واجباته بوصفه رئيس.

رابعاً: مصدر السيادة هو الأمة الإسلامية، انطلاقاً من مبدأ الكرامة البشرية والحرية اللتين منحهما الله تعالى للإنسان، فهي تقرّ الدستور، ولها الحق أبداً في تغييره كلاً أو بعضاً، كما هي التي تنتخب الرئيس والمجالس التشريعية والرقابية في الدولة حسب آلية تُقرّها الأحكام الشرعية^(١).

لقد جاءت نظريات السيد محمد تقي المدرسي عن الحكومة الإسلامية مختلفة عما ذكره في سبعينات القرن العشرين عن ولاية الفقيه المطلقة، واصفاً أن الله سبحانه وتعالى له الولاية التكوينية والتشريعية، ومن ثمّ فهو مصدر شرعية السلطة، إلّا أنه في طرحة هذا، وكما قلنا جاء كردّ فعل للإجابة على متغيرات الواقع، إلّا أنه قد وصف أن ولاية الفقيه المطلقة هي شكل الحكومة المثالي المنشود إلّا أنه ولحد هذا الوقت لم تتوافر الأرضية المناسبة لتحقيق دولة الفقيه المطلقة^(٢).

وتأسيساً على ما تقدّم يُنشئ السيد المدرسي فكرته عن شكل السلطة في الدولة الإسلامية اعتماداً على خلفيات نظيرية معروفة، معتمدة على فكرة رجل الدين الذي يجب أن تتوافر فيه مواصفات خاصة وشرائط معينة يستطيع من خلالها تأسيس حكومة دينية صالحة، ويعتمد السيد المدرسي في ذلك على عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر حينما ولّاه على مصر، ويرى السيد المدرسي «أن سرّ خلود هذا العهد بالتأكيد لم يكن في نوع الكلمات المستفادة، ولا في

(١) مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد محمد تقي المدرسي بتاريخ ١٧ / ٣ / ٢٠١٢ م، في كربلاء المقدسة.

(٢) انظر: محمد تقي المدرسي، الحكم الإسلامي في مدرسة الإمام علي عليه السلام، مصدر سابق، ص ١١ - ١٢.

طرائف الأدب المستخدم، ولا لخصوصية شعب مصر وحاكمها.. وإنما يكمن خلود هذا العهد في روحه وقيمه وتعاليمه، إذ لم تحصر كلماته في حدود مصر وحاكمها، وإنما هو منهاج قويم لكل حاكم يريد أن يحكم بالقسط وأن ينفع الناس...»^(١).

ويضيف قائلاً: «إن هذا العهد بالرغم من كل الانقلابات العسكرية والتحويلات السياسية والتغيرات الجغرافية واتساع الفواصل الزمانية.. يبقى مناراً لكل من ينادي بكرامة الإنسان ويسعى إلى العدالة ويأمل بناء حكومة صالحة في الأرض...»^(٢).

وهنا قد يرد التساؤل الآتي: إذا كان هذا العهد مكتوباً لمن يريد أن يحكم البلاد، فماذا يخص المحكومين؟

لقد أجاب السيد محمد تقي المدرسي عن هذا التساؤل بشكل مختصر بعدة نقاط أهمها:

أولاً: معرفة نوع الحكم الذين يحكموننا، هل هم سائرون على هدى الدين ومنهاج الرسالة، هل هم يحافظون على كرامة الإنسان ويسعون باتجاه العدالة، هل اتخذوا المناصب لخدمة الناس أم لتعزيز مواقعهم في السلطة، هل همهم الأول الأمة أم مصالحهم الشخصية؟...

ثانياً: من خلال مطالعة هذا الأثر الخالد يعرف كل إنسان - مهما كانت مهنته - ما هي حقوقه على الدولة، وما هي الفرص التي ينبغي أن تتوافر له، فإذا ما حُرِمَ منها فليعرف أنه قد سُلِبَ حقُّه وعليه أن يطالب به بالأسلوب المناسب.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٢.

(٢) محمد تقي المدرسي، الحكم الإسلامي في مدرسة الإمام علي عليه السلام، مصدر سابق، ص ١٣ - ١٤.

ثالثاً: إن كل إنسان في موقعه قد يكون حاكماً على عمله ومحيطه الذي يعيش فيه، فرب عائلته، حاكم على عائلته، والمعلم حاكم على طلابه، وصاحب المعمل حاكم على عمّاله، والقائد العسكري حاكم على جنوده، وهكذا... وبهذا يُمكن لكل واحد منا أن يستفيد من هذا العهد في بناء حكومة صالحة، ولو بشكل مُصَغَّر حسب دائرة عمله، كما يُمكن أن يتَّخذ هذا العهد نقطة تحوُّل في حياة الإنسان إذا ما التزم بمفرداته واستفاد من محتوياته.

المطلب الثاني: رئيس الحكومة الإسلامية

أولاً: مسؤوليات رئيس الحكومة الإسلامية

بوصف الدولة الإسلامية دولة إلهية فإن أبرز مسؤوليات رئيسها -بحسب رأي السيد محمد تقي المدرسي- هي على النحو الآتي^(١):

- ١- استنباط الحكم الشرعي في الحوادث الواقعة لإصدار القرار الرئاسي اعتماداً على الفتاوى الشرعية التي يُصدرها هو أو لجنة من الفقهاء.
- ٢- اتِّخاذ القرار الرئاسي المناسب في شؤون البلاد اعتماداً على صلاحياته.
- ٣- إقرار الخطوط العريضة التي تهدي حركة الدولة بعد تبلورها في مجالس الشورى أو لجان الخبراء.
- ٤- تنفيذ أحكام الشريعة، والمراقبة على حسن أجراء الأحكام، فهو المسؤول الأول أمام الله ثم أمام الناس، على شؤون البلاد كافة.
- ٥- قيادة القوات المسلحة، ومسؤولية إعلان الحرب للدفاع عن البلاد وقيم الدين تطبيقاً للأحكام الشرعية، وكذلك صلاحية إنهاء حالة الحرب وإقرار السلام.

(١) علي عبود المحمداوي، الفكر الشيعي المعاصر.. رؤية في التجديد والإبداع الفلسفي، الصدر، المدرسي، الميلاد ناهج، ط ١، سوريا، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٩م، ص ٥٤.

- ٦- إعلان حالة الطوارئ في البلاد وإنهاؤه بعد استشارة مجلس الأمن القومي.
- ٧- إقرار مجالس الشورى والأمر بافتتاحها.
- ٨- عقد المعاهدات مع سائر الدول.
- ٩- تخفيف العقوبات عن المجرمين نظراً لمصالح الأمة العليا.
- ١٠- إجراء اللازم من أجل إدارة البلاد وتنفيذ المسؤوليات الملقاة عليه، مثل: الأمر بالاستفتاء العام، وتشكيل لجان من المسؤولين لأمر بهم البلاد، ومنح ألقاب وأوسمة عسكرية أو مدنية حسب المصلحة وما أشبه.
- ١١- تعيين أولي الكفاءة للمناصب الآتية^(١):

- أ- رئيس القوة القضائية في البلاد من بين الفقهاء جامعي شرائط الفتوى والتقوى والكفاية الإدارية.
- ب- رئيس أركان الجيش وقادة القوات المسلحة.
- ج- القائد العام لقوات الشرطة.
- د- رئيس جهاز الأمن العام.
- هـ- ممثلي الدولة لدى الدول الأخرى أو المؤسسات الدولية.

ويرى أحد الباحثين أن هنالك نقطة مهمة تؤخذ على مسؤوليات الرئيس، وهي أنها تضمّنت مهمات ليست من مسؤوليات الرئيس، ومن أجل الحفاظ على سير الدولة على المنوال الجمهوري والحر والابتعاد عن الاستبداد فإنه يجب إبعاد مسؤولية إقرار مجالس الشورى عن الرئيس؛ لأن الأمة هي من تمارس انتخابهم، وهي المخوّل الوحيد في رفضهم أو إقرارهم، وإن مجرد انتخابهم يُعدُّ إقراراً لهم، وإن تعيين رئيس الجهاز القضائي لا يُمكن أن يُعيّنه الرئيس، ومن ثمّ سيكون خاضعاً له فيما بعد لأنه يراقبه ويقاضيه إذا أخل بمهامه، وإن كان هناك تبرير يلوح في الآفق -لدى السيد المدرسي- فحواه أن المرجع هو الرئيس، ومن ثمّ الأمر القضائي خاص بالمجتهدين والمراجع في الشريعة الإسلامية، والرئيس في

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٢.

هذه الحالة يُعدُّ ممثِّل الإمام أو نائب الإمام العام، ومنه أنه المخوَّل في تعيين رئاسة القضاء^(١).

وبما أن السيد المدرسي يعد الدولة دولةً دستوريةً يحكم فيها القانون الإسلامي وليس لأحد من أبنائها - وبينهم الرئيس - أن يُبدِّل حكم الله أبداً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾.

على عكس أكثر التشريعات التي جعلت للرئيس الحق في تغيير القانون في كثير من الأحوال، ويذكر السيد المدرسي أن الدين الإسلامي يجعل لذلك ضمانات أهمها^(٣):

- ١- من شروط الرئيس أن يكون تقياً، ومعنى التقوى: العمل بالدين، ومن عطلَّ أحكام الله فليس فاسقاً أو ظالماً فقط بل هو كافر أيضاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝٤﴾، ويعزل من الرئاسة فوراً.
- ٢- إن الرئيس يُعزل بمجرد أن يعمل بالمعاصي أو بمجرد أن لم يحكم بما أنزل الله، ويجري عزله ببساطة جداً؛ إذ يجب على الذي عرف منه المعصية أن يتراجع عن متابعتها ويرجع عن تقليده.
- ٣- إن المجتمع المسلم مجتمع واعٍ يعرف أحكام الله ويراقب الرئيس فيها، فمتى انحرف الرئيس قومه بالسيف.
- ٤- في الحكومة الإسلامية ليس للرئيس قوة إلا بالدين، فمتى انحرف عن الدين خارت قوته وخرَّ صريعاً.

(١) علي عبود المحمداوي، الفكر الشيعي المعاصر، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ١ - ٢.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٣٤٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٤٤.

ثانياً: سلطة الرئيس

يرى السيد المدرسي أن سلطات الرئيس مستمدة أبداً من الشعب^(١)؛ وذلك لأن مصدر السيادة هو الأمة الإسلامية انطلاقاً من مبدأ الكرامة البشرية والحرية اللتين منحهما الله تعالى للإنسان، وقد حدّد السيد المدرسي مهمات الأمة الإسلامية بالآتي^(٢):

- ١ - إقرار الدستور أو تغييره أو تعديله.
- ٢ - انتخاب الأمة السلطة التشريعية.
- ٣ - انتخاب الأمة السلطة التنفيذية وهي الرئيس.
- ٤ - انتخاب الأمة الهيئة القضائية والرقابية.

ويرى السيد محمد تقي المدرسي أن فلسفة الإسلام في الحكم ترفض بشدة أن يكون هناك قطاعان: حاكم ومحكوم، شعب وحكومة، بل تمزجها وتجعلها كياناً موحداً، وتحقيق ذلك من خلال جملة من الضمانات، لعل أهمها - من وجهة نظر السيد محمد تقي المدرسي -^(٣):

- ١ - أن نظام الجيش في الإسلام يختلف عن الأنظمة الأخرى؛ ذلك لأن الجيش في الإسلام داخل في الشعب، بل هو الشعب كله، فإذا احتاج المسلمون إلى الدفاع عن أنفسهم أو الهجوم على أعدائهم هبّ الناس كلهم لذلك، ومن هنا فليس من الممكن في الإسلام استخدام الجيش ضد الشعب، بل الجيش يقف دائماً مع الشعب لأنه ليس جهازاً من غيره.
- ٢ - أن الإسلام يشترط في أجهزة الدولة كافة أن يكونوا كفؤين أمناء ويفرض على الناس مراقبتهم، فلا يمكن للرئيس أن ينصب أحداً

(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٢) علي عبود المحمداوي، الفكر الشيعي المعاصر، مصدر سابق، ص ٥٢.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٣٥.

غير كفوء أو غير أمين.. وإذا ظهرت أجهزة الدولة فليس من الممكن أن تستخدم للأغراض أو المصالح الخاصة.

٣- إن الدين يقاطع سلاطين الجور ويأمر الناس بمقاطعتهم، ولذلك فإن الرئيس الخائن لا يُمكنه أن يعيش في مجتمع مسلم.

ينتقد السيد محمد تقي المدرسي بعض الدول المسماة بالديمقراطية في أن سيادتها أول الأمر تابعة لإرادة الشعب، أما استمرارها فإنها هو نتيجة لدعم أجهزة الدولة لها، فحكمها يبدأ بإرادة الشعب أما استمراريتها فتبقى بفعل أجهزته (الجيش، الشرطة، الأمن، الاستخبارات... إلخ)، في حين الإسلام يجعل كلاً من الابتداء والاستمرار بإرادة الشعب وتحت رحمته، فيبدأ حكمه بالشعب ويستمر بإرادة الشعب أيضاً^(١).

ثالثاً: صفات الرئيس

ويرى السيد محمد تقي المدرسي أن الرئيس يجب أن تتوافر فيه مجموعة من الصفات المثالية، أهمها^(٢):

- ١- التقارب بينه وبين الناس.
- ٢- ألا يتخذ لنفسه حجاباً ووسائط دون الناس.
- ٣- عدم التعدي على حقوق الآخرين - وإن كان له السيطرة التامة عليهم - وإجراء العدل بينهم.
- ٤- أن يكون برّاً رحيماً بالناس.
- ٥- أن يستشير في أمور بلده ولا يستبد برأيه الخاص.
- ٦- التواضع للناس.

(١) محمد تقي المدرسي، العمل الإسلامي، ج ٣، ط ١، طهران، دار نشر المدرسي للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ، ص ٩٥.

(٢) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٣٨.

- ٧- المساواة بين الناس في كل شيء.
 ٨- أن يعيش مثل أضعف من تحت السلطة.
 ٩- أن يلتزم بعهوده ومواريثه التي يُقدِّمها لشعبه أو للشعوب الأخرى.

رابعاً: عند غياب الرئيس

إذا فقد الرئيس صلاحيته بسبب انعدام كفاياته العلمية أو العملية أو الدينية (فقدته للعدالة)؛ فإنه يُعزل عن منصبه، وعزل الرئيس - من وجهة نظر السيد محمد تقي المدرسي - هو من حق الأمة، فعندما يُتهم الرئيس بانعدام الكفاية يُطرح الأمر على مجلس الشورى، وإذا تمت مطالبة أكثرية أعضائه بالنظر في الأمر، تتشكّل لجنة عليا للنظر في الأمر مؤلفة من ثلاثة أعضاء من هيئة كبار العلماء، وثلاثة أعضاء من مجلس الشورى، وثلاثة من كبار القضاة، وتشكّل جلساتها برئاسة أكبر الأعضاء سنّاً، وبعد النظر في هذا الأمر إذا أقرت اللجنة التهمة يُطرح الأمر على الاستفتاء العام فإذا أقر الشعب عزله، يُنتخب رئيس جديد، علماً أن خلال تلك المدة (عزل الرئيس أو وفاته) فإن هيئة كبار العلماء تقوم مقامه في إدارة دفة البلاد حين إقرار انتخابات عامة^(١).

المطلب الثالث: مؤسسات الحكومة الإسلامية

أولاً: هيئة كبار العلماء

هيئة كبار العلماء في الحكومة الإسلامية - من وجهة نظر السيد محمد تقي المدرسي - هم عادة يُشكّلون مراجع التقليد وكبار وكلائهم، ويتم انتخابهم من أبناء الشعب مباشرة، إذ يتم ترشيحهم من الناس، وتنتخب هذه الهيئة كل خمس سنوات قابلة للتجديد^(٢)، تقوم هيئة كبار العلماء بعدة مهام، وهي على النحو الآتي^(٣):

- (١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٤ - ١٢٥.
 (٢) علي عبود المحمداوي، الفكر الشيعي المعاصر، مصدر سابق، ص ٥٦.
 (٣) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٧ - ١٢٨.

- ١- تقوم بمراقبة الرئيس وأمانته في إدارة البلاد.
- ٢- مراقبة قرارات مجلس الشورى لتكون موافقة لأحكام الشرع ومصالح الأمة.
- ٣- في حال غياب الرئيس أو عزله تقوم هذه الهيئة بإدارة البلاد حين انتخاب رئيس جديد.
- ٤- تقوم هذه الهيئة بطرح من تراه مناسباً للرئاسة ممن يجتمع لديه مؤهلات القيادة العامة، ويكون للأمة حق انتخابه أو رفضه، علماً بأن الهيئة قد تطرح أكثر من اسم لكي تختار الأمة واحداً منهم بالأكثرية.
- ٥- تقوم بتأييد الأحزاب والمنظمات السياسية وإصدار أحكام بجواز تصديها لأموال البلاد.

ثانياً: مجلس الشورى

يمثل مجلس الشورى أعلى سلطة في البلاد بعد مقام الإمامة، وهو القناة الشرعية الأساسية التي تنقل إلى السلطات آراء الناس بأمانة وكفاية^(١).

ويرى -السيد محمد تقي المدرسي- أن الغاية من مجلس الشورى هو لكي تتراكم خبرات الأمة في قضاياها ومصالحها السياسية والاجتماعية والاقتصادية تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنبَغُ لَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢).

والأمة تنتخب -انطلاقاً من أدلة الشورى- مؤسسات دستورية هدفها تقديم المشورة للرئيس، ولها صلاحيات محدّدة حسب الأحكام الشرعية، وهي تقوم بدور الوسيط بين الأمة والرئيس في تقديم المشورة وفي الرقابة على الأداء.

ومجلس الشورى يتصدى للمسؤوليات الآتية^(٣):

(١) علي عبود المحمداوي، الفكر الشيعي المعاصر، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٣) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٣١.

- ١- تشريع الأنظمة والقوانين التي تخدم مصالح البلاد استناداً إلى أحكام الشريعة الغراء والتي تُبينها هيئة كبار العلماء.
- ٢- وضع خطة تنموية للبلاد حسب المصالح العليا للأمة.
- ٣- مراقبة المواثيق الدولية التي تُبرمها الدولة مع الدول الأخرى.
- ٤- مراقبة أداء الدولة لواجباتها.
- ٥- التصديق على المسؤولين المباشرين للدولة.

ثالثاً: القضاء

يرى السيد محمد تقي المدرسي أن القضاء من مسؤوليات الإمام، ويمكن له أن يُحوّل تلك المسؤولية إلى شخص أو هيئة، وفي أوضاع معينة يُحوّل إلى الأمة حق تعيين قضاة بعد بيان شروط القاضي في الإسلام، ومنها:

العدالة، والكفاية، والقدرة على استنباط الأحكام من مصادرها^(١).

وختاماً لهذا الفصل فإن السيد المدرسي يرى أن مصدر شرعية السلطة هو الله سبحانه وتعالى، فله وحده الحاکمة التكوينية والتشريعية، منطلقاً من نظرية (إن الحكم إلا لله)، إن هذه النظرية - من وجهة نظر السيد المدرسي - قائمة على قاعدة التوحيد الرأسية القاضية على أن الله لم يذر الخلق سدى بل بعث إليهم رسولاً يحمل إليهم أفضل المناهج التي يحكمهم بها، ولم يكن الرسول ﷺ ليذر أمته دون إمام، ولا إمام يذر الناس دون قائد، وهنا فقد نصب الأئمة الفقهاء العدول قادة للناس. وولاية الفقيه بالنسبة للسيد المدرسي هي ولاية واسعة، فالفقيه يضطلع بالوظائف الحضارية والتشريعية والقضائية والتنفيذية، ولعل دور الأمة في ولاية الفقيه الواسعة ينحصر في اختيار الفقهاء الذين يتمتعون بصفات خاصة جعلها السيد المدرسي صمام الأمان للحفاظ على مصير الأمة، ولكن السيد المدرسي يرى أنه في حالة لم يتمكن من تحقيق هذه الصورة المثلى من

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٣.

القيادة التي تتمتع بشرعية مطلقة فإن هناك نوعاً من القيادات التي تمتلك شرعية نسبية يعود إليها الفضل في استمرار الحكومة العادلة واعتماداً على مبدأ الشورى، لذلك فقد أعطى السيد المدرسي نموذجاً للحكومة الإسلامية جاء كرد فعل للإجابة عن متغيرات الواقع، جاعلاً الحكم الإسلامي فيه حكم رئاسي يختار آحاد الأمة شخص الرئيس، ويراقبون أداؤه لمسؤولياته، ولهم عزله في حال تخلفه حسب ما تقرره القوانين الشرعية، وتنتخب الأمة - انطلاقاً من أدلة الشورى - مؤسسات دستورية هدفها تقديم المشورة للرئيس، ولها صلاحيات محددة حسب الأحكام الشرعية، وهي تقوم بدور الوسيط بين الأمة والرئيس في تقديم المشورة وفي الرقابة على الأداء، فأعطى السيد المدرسي بذلك دوراً للأمة لتكون مصدراً للسيادة، انطلاقاً من مبدأ الكرامة البشرية والحرية اللتين منحهما الله تعالى للإنسان، فهي التي تنتخب الرئيس والمجالس التشريعية والرقابية في الدولة حسب آلية تُقرّها الأحكام الشرعية.

الفكر السياسي عند المرجع المدرسي

الفصل الرابع

حقوق الإنسان عند المرجع المدرسي

المبحث الأول: مفهوم حقوق الإنسان والمفاهيم المقاربة لها.

المبحث الثاني: الحقوق والحريات العامة في الإسلام.



الفصل الرابع

حقوق الإنسان عند المرجع المدرسي

لقد أخذت قضية حقوق الإنسان مساحة كبيرة من الاهتمام في الوقت الحاضر، إذ لم تعد شأنًا داخليًا يخص دولة ما، بل أصبحت ذات بُعد دولي يعكسه الاهتمام المتزايد بها في إطار المنظمات الدولية والإقليمية، وقد وجدنا أن هذه القضية قد أخذت حيّزاً واسعاً في الفكر السياسي للسيد المدرسي، ولتسليط الضوء على ذلك سيتم تقسيم هذا الفصل على مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم حقوق الإنسان والمفاهيم المقاربة لها.

المبحث الثاني: الحقوق والحريات العامة في الإسلام.



مفهوم حقوق الإنسان والمفاهيم المقاربة لها

إن تحديد حقوق الإنسان والمفاهيم المنبثقة منها في الفكر السياسي للسيد المدرسي يتطلب تقسيم المبحث على ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الحق لغة، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: القوى الإجرائية للحقوق والحريات وضمائنها.

المطلب الثالث: الحقوق والحريات العامة في المفهومين الغربي والإسلامي.

المطلب الأول: مفهوم الحق لغة، واصطلاحاً

أولاً: مفهوم الحق لغة

تعددت المعاني اللغوية لمصطلح الحق وتمحور حول عدة معانٍ منها:

الأول: «الثبوت واللزوم والوجوب والنصيب وهو دائماً ضد الباطل ونقيضه»^(١).

الثاني: «حق الأمر يَحِقُّ حقاً، وحقّة، وحقوقاً: صح وثبت وصدق»^(٢).

(١) عبد السلام المزروعى: مركز الإنسان في المجتمع (دراسة تأريخية عن حقوق الإنسان)، ط ١، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ١٩٩٧، ص ٨٨.

(٢) محمد علي النجار وآخرون، المعجم الوسيط ج ١ ج ٢، ط ٢، أسطنبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ب. ت، ص ١٨٧.

فالحق هو خلاف الباطل، وهو مصدر حقَّ الشيء يحق، إذا ثبت ووجب^(١)، وعرفه ابن منظور على أنه (نقيض الباطل)، ويستعرض استعمالات أخرى له تدور حول معاني الثبوت، والوجوب والأحكام، والتحقيق، والصدق، واليقين^(٢)، وعرفه الجرجاني بأنه (الثابت الذي لا يسوغ إنكاره)، ومن معاني الحق في اللغة: النصيب، والواجب، واليقين، وحقوق العقار، أي مرافقه^(٣).

ويدل الحق أيضاً على أنه «الثابت الذي لا يستطيع أحد إنكاره، واليقين بعد الشك، وهو العدل، والأمر المقتضي، والمال، والمملك، وصدق الحديث»^(٤).

لقد ورد لفظ الحق في عدة مواضع ومعاني في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد جاءت بمعنى اسم من أسماء الله الحسنى في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾^(٦). وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأِنَّيَّةٌ فَاَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٨).

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ج ٣، بلا رقم، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ص ٢٢٢.

(٢) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب ج ١، بلا رقم، منشورات الحوزة، ١٤٠٥ هـ، ص ٤٦ - ٥٦.

(٣) علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥، ص ٩٣.

(٤) د. عامر حسن فياض، الرأي العام وحقوق الإنسان، ط ١، بغداد، (ل.م.ط)، ٢٠٠٣، ص ٧٨.

(٥) سورة النور، الآية ٢٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٣.

(٧) سورة الحجر، الآية ٨٥.

(٨) سورة الأنفال، الآية ٨.

أي يجعله ظاهراً، ويهدي إلى الحق في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾^(١).

أما في السُّنَّة النبوية الشريفة ورد استعمال كلمة الحق في مواطن عدة منها على سبيل المثال ما ورد في حديث الرسول: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه»^(٢). وفي حديث آخر: «حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركون به شيئاً»^(٣).

ويتلخص المعنى اللغوي على أنه الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب لاشتغالها على ذلك^(٤).

ثانياً: مفهوم الحق اصطلاحاً

لقد حدّد أصحاب القانون الوضعي معنى الحق بأنه «قدرة أو سلطة إدارية يخوّلها القانون شخصاً معيناً برسم حدودها، وقيل: الحق هو رابطة قانونية بمقتضاها يخوّل القانون شخصاً من الأشخاص على سبيل الانفراد والانتشار للتسلط على شيء، أو اقتضاء أداء معين من شخص آخر، وقيل: الحق مصلحة يحميها القانون»^(٥)، وقد ذهب عدد من الفقهاء المحدثين إلى القول بأن فقهاء الشريعة الإسلامية لم يضعوا تعريفاً جامعاً مانعاً للحق بمعناه العام، وأنه قد نقلت عنهم بعض التعاريف، قاصرة عن تحديد معناه تحديداً دقيقاً، وبيّنوا أن ذلك قد يعود إلى أن فقهاء الشريعة الإسلامية القدامى قد رأوا أن فكرة الحق

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣.

(٢) علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص ٩٤.

(٣) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، بيروت، دار صادر، ص ٤٧٧.

(٤) علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص ٩٤.

(٥) انظر: محمد رأفت عثمان، الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٢، ص ٩.

معروفة لا تحتاج إلى تعريف، مكتفين بوضوح معناه اللغوي^(١).

وذهب بعض العلماء المعاصرين إلى تعريف الحق بمعناه الاصطلاحي وفق أسس واعتبارات عدة منها^(٢):

- ١- تعريف الحق على أساس أنه مصلحة ثابتة.
- ٢- تعريف الحق بأنه اختصاص، أو علامة اختصاصية بين صاحب الحق ومحله.
- ٣- تعريف الحق من منطلق معناه اللغوي (الثبوت والوجوب).
- ٤- تعريف الحق من منطلق أخلاقي إنساني.

وذهب علماء مسلمون معاصرون إلى أن مفردة الحقوق ذات معانٍ اصطلاحية عدة نشير إلى أهمها:

- ١- يكون المراد من (الحقوق) أحياناً هو النظام الحاكم على السلوك الاجتماعي لدى المواطنين في المجتمع، أي مجموعة (ما ينبغي وما لا ينبغي) التي يلزم أبناء المجتمع الواحد به^(٣).
- ٢- تأتي بمعنى السلطة والمكنة المشروعة أو معنى الطلب الذي يجب لأحد على غيره، ومثال ذلك أن للمغصوب منه حق استرداد عين ماله لو كان قائماً، وأخذ قيمته أو مثله^(٤).

وبذلك نلاحظ تنوع تعاريف حقوق الإنسان بتنوع الكتابات، فبعض الكتاب يعرفها بأنها «مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة

(١) عبد السلام العبادي، حقوق الإنسان في الإسلام، ج ١، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٩٩٣، ص ١٨٤.

(٢) د. فاروق سلوم السامرائي، حقوق الإنسان في القرآن في كتاب (حقوق الإنسان في الفكر العربي)، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢، ص ٧٩.

(٣) محمد تقي المصباح اليزدي، الحقوق والسياسة في القرآن، ط ١، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ص ١٨٢.

(٤) عبداللطيف بنا سعيد الغامدي، حقوق الإنسان في الإسلام، الإنترنت، فقرة الملف العلمي.

بطبيعته، والتي تظل موجودة وإن لم يتم الاعتراف بها، بل أكثر من ذلك وحتى لو انتهكت من سلطة ما^(١)، في حين يُعرّفها كاتب آخر بأنها «الحقوق التي تولد مع الفرد ولا تحتاج في ممارستها إلى اعتراف الدولة وحتى تدخلها، وإنما يتحدد دور الدولة بمجرد تنظيم استعمال هذه الحقوق من الأفراد ورفع التعارض المحتمل بينهم»^(٢).

هناك اختلاف في الآراء حول كون الحق جزءاً من الحرية أم الحرية جزءاً من الحق؟! فبعض الكتّاب يجدون صعوبة في الجمع بين مفردتين في تعريف واحد، فالحق هو شيء لصيق بالإنسان بطبيعته، ويظل معترفاً به دائماً حتى لو انتهك من السلطة، فهذا الحق يبقى لصيقاً بالإنسان، أما بالنسبة للحرية فهي تقع ضمن إطار القانون الوضعي ويقوم القانون بالاعتراف بها وتنظيمها^(٣)، ففي هذه الحالة نرى أنها مفهومان مختلفان من حيث ما يرتبانه على عاتق السلطة من مسؤوليات، فنحن نرى أن حقوق الإنسان لا يمكن الإفادة منها، وتأمينها إلاّ من طريق السلطة وما تقوم بإنشائه من مرافق عامة لهذا الغرض كالضمان الاجتماعي، والمؤسسات الصحية والتعليمية، أما الحريات العامة فهي تكون بمثابة إمكانيات اختيار مرتبطة بالإنسان الفرد، ومن الممكن أن تكون بمعزل عن السلطة ويستفاد منها بعد أن يُنظمها قانون ما.

في حين تُعدُّ بعض حقوق الإنسان وحرياته العامة مفهوماً متلازمين ولا يوجد اختلاف بينهما^(٤).

(١) عدنان حمودي الجليل، نظرية الحقوق والحريات العامة في تطبيقاتها المعاصرة، ط ١، القاهرة، مطبعة سجل، ١٩٧٥، ص ٩.

(٢) محمد عبد المتوكل، الإسلام وحقوق الإنسان في حقوق الإنسان العربي، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩، ص ٩٥.

(٣) محمد تقى المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٣٩.

(٤) حسان محمد شفيق العاني، نظرية الحريات العامة، تحليل ووثائق، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ٦.

فالواقع يؤشر فرضية وافترض التلازم ما بين الحقوق والحريات، فالحقوق هي بمثابة قيمة للحريات، بمعنى أن الحرية دون حقوق سوف تكون مجردة من كل قيمة^(١)، فالحرية تتم حينما يمتلك كل فرد حقوقاً يستخدمها كما يشاء^(٢).

وهناك من يفرق بينهما بالقول: «إن المقصود بالحق هو الحق الاستثنائي الذي يثبت لشخص معين دون الكافة، أما الحرية فهي تكون مباحة للكافة، أو أن الحرية رخصة للشخص له حق الاختيار بين أمور متعددة، أما الحق فهو مصلحة مشروعة يحميها القانون فيما أن يستعملها أو لا يستعملها^(٣)، فحرية الرأي مثلاً تسمح للشخص أن يتبنى هذا الرأي أو غيره فالشخص يقررها بنفسه، في حين حق المساواة ليس فيه مجال الاختيار والحق بالمساواة لا يقررها الشخص بنفسه، إنما يقررها النظام أو المجتمع وليست مرهونة بالشخص ذاته، والاعتداء على الحريات الشخصية يتبعه استنكار معنوي، في حين يكون الاعتداء على الحقوق عملاً مخالفاً للقانون يترتب عليه جزاء مادي^(٤).

ومهما كان فإن هذا الاختلاف لا مبرر ولا وجود له، فالحقوق نشأت منذ وجود الإنسان، وهي متأصلة في كل فرد لا تُشتري ولا تُكتسب ولا تُورث، وهي واحدة لكل البشر بغض النظر عن العنصر والدين، ومن ثمّ فلا يمكن انتزاعها، أما الحرية فهي شيء ملازم للحق ولا يمكن فهمهما دون تواجدهما معاً، لذا فالحق والحرية وجهان لعملة واحدة.

(١) د. عامر حسن الفياض، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) ريموند كيتل، العلوم السياسية، ترجمة د. فاضل زكي ود. حسن علي ذنون، ج ٢، ط ١، بغداد، شركة الطباعة الأهلية، ١٩٦٠، ص ٢٠٨.

(٣) محي محمد مسعد، حقوق الإنسان، دراسة تحليلية مقارنة، ط ١، القاهرة، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٦، ص ٧.

(٤) موريس نخلة، الحريات، ط ١، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ١٩٩٩، ص ٣١ - ٣٢.

أما عن مفهوم الحق عند السيد محمد تقي المدرسي، فهو يرى أن الإسلام حق وأجدر بالإنسان أن يتبعه، وأنه منهج الله رب العالمين، وأنه شامل لجميع نواحي البشر وشامل لكل أفراد البشر، وشامل لكل أدواره ومراحل تطوره، وأنه ينفذ أحكامه وتعاليمه في حين لا يمكن غيره من تنفيذه، ينفذها بالإيمان بالله سبحانه وتعالى والضغط الاجتماعي وقانون العقوبات وما أشبه...

وينطلق في تعريفه للحق بكونه: هو ما يطابق الواقع^(١)، وحين يتصادق ما بنفس البشر مع ما في الواقع يكون هو الحق، والحق في اللغة يعني الثبوت والتقرّر والوجود، ولذلك فإن للحق معنى آخر - غير تطابق الشعور وخارج الشعور - ذلك المعنى هو الوجود سواء علم به أحد أم لم يعلم، اعتقد به أم لم يعتقد، فمثلاً اللجنة حق لأنها موجودة فعلاً في الخارج فإذا علم بها أحد كان علمه حقاً أيضاً، ولفظة الحقيقة تعطي ذات المفهوم.. إنها تعكس الأمر الثابت في الواقع الخارجي^(٢).

ويرى السيد المدرسي أن معرفة البشر لواقعة وواقع خلقه ومُبتدئه ومُنتهاه هي التي تحطّ طريقه في الحياة، فإذا اتّبع الفرد الحكمة في الحياة فهو بذلك يتبع الحق، وباتّباع الحق يتحلّى الفرد بالفضائل (وهي تتلخص في مراعاة حقوق الآخرين وأتباع الحق).

ولا بد أن تُسخّر كل قوى الحياة في تطبيق الحق، إذ به يتمكن الناس من أن يؤدوا الحقوق، وبسببه يلتزم كل فرد بواجباته تجاه نفسه وتجاه الآخرين، فحقوق البشر تنشأ من أحد أمرين:

العمل والحاجة، فمن عمل استحق الأجر بقدر ما أحسن، ومن احتاج

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٤٣ - ٤٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٠١.

كان -بقدر حاجته- الحق على القادرين، وبما أن البشر خلُقوا شعوباً وقبائل مختلفة لكي يتعاونوا في سبيل تحقيق سعادتهم، وهي استثمار الطاقات الموجودة في نفسها وفي الآفاق، ذلك لأن الأرض والسماء إنما هي مخلوقة للبشر ومُسَخَّرَةٌ من أجلهم، وإن اتَّبَعَ الحق -هو السبيل الوحيد- إلى استثمار هذه الطاقات، وبما أن الحق هو مطابقة العمل للواقع المفروض والذي يحكم هذا الواقع المفروض هو الله من طريق الرسل أو العقل السليم بتذكرة الأنبياء ﷺ ومن ثم باتِّباع الناس لقيادة حكيمة.

أما عن تعريفه للحرية فيذكر السيد المدرسي أن «الحرية تتمثل في حفظ حرمة الآخرين، فحريتي تكون حقيقة وواقعية حين يحترم الآخرون حقوقي، ويحترمون شخصيتي وكرامتي»^(١)، فالإسلام لا يستخدم كلمة الحرية إلا قليلاً من وجهة نظر السيد المدرسي، وإنما يستخدم الإسلام الجانب الآخر للحرية وهو الحرمة فيقول: «حرم الله، حرمة الإنسان، حرمة البيت، حرمة القتل، وحرمة الاعتداء»، فالحرية تتبدل في مفهوم الإسلام إلى الحرمة؛ لأن الحرمة هي التي تحافظ على الحرية وحينما يحافظ الناس على حرمة البيت، والشارع، والمدرسة، والسوق، فمعنى ذلك محافظتهم على حرية الأفراد^(٢)، فالحرمة والحرية -من وجهة نظر السيد المدرسي- وجهان لعملة واحدة، فالإسلام يُقرّر أن المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله، وهذا يعني أن الإنسان المسلم لا يجوز له أبداً الاعتداء على الآخرين باسم الحرية؛ لأن هذه الأعمال من قتل وسرقة وما شاكلها تنافي كلها مفهوم الحرية الحقيقي^(٣)، ويضع السيد المدرسي مراتب تندرج على النحو الآتي^(٤):

(١) انظر: محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٢٦٩.

(٢) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ١٧٣.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٧٣ - ١٧٤.

١- حرية اتخاذ القرار عند الإنسان. فالإنسان الذي يعيش حرّاً، يحيا بلا قيود داخل نفسه بفضل إرادته الحرة، وهذه الدرجة من الحرية هي جزء من روح الله التي نفخها في الإنسان، إذ جعله يقرّ بالأمانة العظمى التي حملها.

٢- كفالة القانون للحرية. وهي أن يكفل القانون حرية الإنسان بما يتضمنه من الحرمات كحرمة الدم، والعرض والسمعة والمال والشخصية وما إلى ذلك.

٣- الحرية الطبيعية. المقصود بالحرية الطبيعية هي حرية الإنسان بالتمتع بالوسائل التقنية الحديثة والمتطورة كالطائرات والبواخر والغواصات وبقية وسائل الاتصال السلكية منها واللاسلكية، بل وحتى المركبات الفضائية التي تدور خارج مدار الأرض.

والإسلام يركز على هذه الحريات الثلاث (حرية القرار، وحرية القانون، والحرية الطبيعية)، مرة واحدة وبشكل متساوٍ من التأكيد.

ويرى السيد المدرسي ضرورة أن يكون إنسان الحضارة الإسلامية النموذجية حرّاً يتمتع بكامل حريته، وحين يصبح هذا الإنسان حرّاً فإن ذلك سيكون مدعاة لانطلاقه في هذه الدنيا محطاً للقيود النفسية التي تحول دون انطلاقه ونشاطه، وهذا يمثل الجزء الأكبر من هدف بعث الأنبياء والرسل ﷺ لينطلق الإنسان في آفاق التوحيد المعنوية المتمثلة في الحرية والاستقلال والخير والسلام^(١).

مما سبق نلاحظ أن السيد المدرسي لم يُفرّق بين الحقوق والحريات العامة، فالعقل والفطرة ورسول الله قد بيّنت سبيل الرشد للإنسان، فقد تبين الرشد من الغي، ولذلك فلا حاجة لإكراه الإنسان على سلوك الصراط السوي، إذا تمسك

(١) محمد تقي المدرسي، المصدر السابق نفسه، ص ٢١٦.

بحقوقه (الكفر بالطاغوت) وقوة الحق (الإيمان بالله)^(١)، لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

المطلب الثاني: القوى الإجرائية للحقوق والحريات وضماناتها

إن أهمية الحقوق والحريات عند السيد محمد تقي المدرسي لم تمنعه من وضع ضوابط (أطلق عليها السيد مصطلح القوى الإجرائية)، تُحدِّدها وتحول دون تحوُّلها من مهمة إصلاح الإنسان وحفظ كرامته إلى أداة هدم للفرد والمجتمع، فالسيد المدرسي يعد الحرية من أهم مشكلات الأنظمة في العالم، وسر هذه المشكلة يكمن في أمرين^(٣):

الأول: إن هناك نزعة نحو الطغيان والاعتداء والسيطرة عند الإنسان بصفة عامة، وهذه النزعة هي أقوى وأعنف وأبقى من أية نزعة أخرى، فهي التي أخرجت أبانا آدم وزوجته عليهما السلام من الجنة، حينما قال إبليس لهما: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(٤)، إذ أثار فيهما هذه النزعة، فوجود هذه النزعة عند الإنسان من أقوى الأخطار التي تُهدِّد حقوق وحريات الآخرين، وحرية الفرد وحقه إنما يتحددان بحدود حقوق وحريات الآخرين، أما إذا طغت الحريات الفردية وتعدَّت حدودها فإنها تتحوَّل إلى شريعة الغاب.

الثاني: حين يستخدم الإنسان حريته، فإن وضعه سيكون انعكاساً لنفسيته ومستواه الحضاري، فقد يكون الإنسان مُتخلِّفاً من الناحية الحضارية والثقافية، ومنحرفاً من الناحية السلوكية؛ لذلك فإن حريته اللامحدودة ستكون كارثة

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٣) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ١٩٦.

(٤) سورة طه، الآية ١٢٠.

حقيقية له وللآخرين، وحينما نُعطي له الحق بأن يكون حرّاً في اختياره فإن الحرية ستُكرّس تخلفه وانحرافه، ومن ثم ستُكرس الفساد في الأرض.

إن الحقوق والحريات تحتاج إلى توجيه سماوي وإلى مجموعة من القوى الإجرائية التي تحول دون انحرافها، وهذه القوى الإجرائية -من وجهة نظر السيد المدرسي- تتمثل بالآتي^(١):

أولاً: الإيمان

إن الإيمان بالله -المحيط علماً وقدرة- وباليوم الآخر الذي يجازي فيه بالخير خيراً وبالشر شراً قوة لا مثيل لها في دفع الفرد إلى عمل الخير والتمتع بحقوقه وحرياته ومن ثم احترام حقوق وحريات الآخرين، وقوة الإيمان بالله واليوم الآخر تميّز بأنها:

١- تستطيع أن تُهذّب النفس من الداخل وتنظم مشاعر الإنسان وتحفظه من الحسد والحقد والجبن والقلق وما أشبه.

٢- تتمكن من حفظ الفرد عن الخروج عن أحكام الله إذ لا مراقب ولا دولة ولا جزاء.

٣- إن عمل الخير الصادر عن النفس المؤمنة يكون عملاً مُتقناً بوصفه صادراً عن إرادة الفرد ورغبته وليس كرهاً عليه.

وهذه السلوكات يضمنها الإيمان وحده ولا تستطيع القوانين البشرية مهما تنوّعت وتطورت أن تُقوّم السلوك الإنساني؛ وذلك لأنها تتميز بالآتي^(٢):

أ- لا تتمكن من تهذيب النفس من الداخل، لذلك يشيع القلق النفسي وتطفح النفوس بالعقد الجنسية والحضارية.

(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٥٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٥٥.

- ب- وهي لا تستطيع أن تُنظّم سلوك الفرد الداخلي فلا تستطيع قطع الإجرام الذي كثيراً ما يقوم سرّاً.
- ج- إن الفرد يريد من الداخل الشر ويحبر على عدم فعله من الخارج فإنه بذلك سوف يعيش أزمة داخلية باستمرار، وتنمو فيه البغضاء للشعب والقانون، وينتهي به الأمر إلى الثورة والتمرد.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الفرد هو تابع لمجتمعه، وعندما يخرج عن عاداته وتقاليده يُعاب عليه من أفراد مجتمعه، والدين يستخدم هذه الصفة حيث يجعل العمل بأحكام الدين صبغة اجتماعية يُعاب من تركها، وتبرز هذه السمة حينما يُوصي الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفرض على كل مسلم أن يراقب الناس جميعاً، فإذا رأى فيهم خروجاً على حكم ديني أو أخلاقي سارع إلى إنكاره^(١)، وهذه القوة لا تبلغ في حجمها القوة الإيمانية ولكنها -من وجهة نظر السيد المدرسي- قوة كبيرة؛ إذ إن مراقبة الجماهير أقوى بكثير من مراقبة طائفة خاصة (كرجال الأمن والشرطة)، وهي من ثم لا تُكَلِّف الشعب مالاً ووقتاً ولا أي شيء آخر^(٢).

ثالثاً: التربية

للتربية قوة داخلية تجعل الفرد يتحلّى بالأخلاق الفاضلة الكفيلة بجعل الفرد يمارس حقوقه وحياته العامة دون المساس والاعتداء على حقوق وحيات الآخرين، والتربية الإسلامية تتميز بعدة سمات تجعلها أقوى من القوانين والنظام الحاكم، وهي على النحو الآتي^(٣):

- (١) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج٦، مصدر سابق، ص ٣٩٣.
- (٢) محمد تقي المدرسي، الإنسان وآفاق المسؤولية، ط١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين ع، للنشر ١٤٢٨ هـ، ص ٢٦.
- (٣) محمد تقي المدرسي، معالم التربية الإسلامية، ط٢، طهران، دار محبي الحسين ع، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م، ص ٥٠.

- ١ - استخدام الطاقات الكامنة كافة في جوهر الإنسان كالعاطفة والعقل وحب الذات وحب الأقرباء وحب الآخرين من أبناء المجتمع وهكذا...
- ٢ - تقوية أواصر الأسرة والقرباة مما تؤثر في انطباع الفرد باحترام حقوقهم.
- ٣ - تنقية الجو المحيط بالأطفال، فالنظام التربوي نقطة البداية فيه هي الأم والأب اللذان يُفترض أن يُعلِّما أولادهما الدين والشرف والتربية الصالحة دون الاعتكاف على جمع الأموال، فالتوجُّه المحض إلى الشؤون الدنيوية ونسيان التوجُّه المعنوي وتكريس المعنويات لشخصية الجيل يعني توجيه ضربة قاصمة للحركة الاجتماعية، إذ سينتج عن ذلك تخريج جيل اجتماعي مشوّه لا تُصلحه القوانين مهما كانت صارمة وقاطعة، فالمجتمع المسلم حينما يكون ملتزماً بالدين وتعاليمه، لا تحدث فيه حوادث القتل والسرقة والجرائم الأخرى، ومن ثم لا يحصل تعدُّ على حرمان وحرقات وحقوق الآخرين في ذلك المجتمع.

رابعاً: العقوبة

العقوبة المفروضة في الإسلام ليست فقط تكميلاً لنواقص الإنسان، بل إنها حصن منيع للمجتمع عن الجريمة أيضاً، فالعقوبات الإسلامية تتميز بالسّمات الآتية^(١):

- ١ - أنها لا تثبت بشبهة أو سوء ظن، بل تُدْرَأ بالشبهات.
- ٢ - وبعد أن تثبت الجريمة ويثبت أن مرتكبها قد ارتدع عنها يحق للحاكم أن يعفو عنه فتحاً لباب التوبة أمام المجرمين.
- ٣ - ولكن إذا لم يثبت أنه تاب، فمن المستحيل قبول الشفاعة فيه أبداً لقول الرسول ﷺ لأسماء بن زيد: «لا يُشفع في حدّ».
- ٤ - إن أحكام القصاص مشروعة في الإسلام.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٨.

فضلاً عما تقدّم فإن السيد المدرسي يرى أن الأحكام الإسلامية تتمتع بكفاية لتوفير السعادة للبشر وقلع مادة الجريمة والرذيلة والاستغلال وخنق الحريات^(١).

وهناك بعض الضوابط الأخرى التي حدّدها السيد محمد تقي المدرسي من ضمنها^(٢):

- ١ - الإيمان بمبدأ الشورى، وذلك فيما يتّصل بمصالح العباد وأمورهم المعاشية.
- ٢ - القيادة الصحيحة القائمة على العلم والعدالة والتقوى والكفاية والشجاعة.
- ٣ - التشجيع المتبادل والنهي عن التثييط، فالإنسان بطبيعته يحتاج إلى من يُشجّعه على العمل الفاضل؛ ولذلك ترى المسلمين عندما يقوم أحدهم بعمل إيجابي فإن الآخرين يُقبلون على تشجيعه، وبهذه الطريقة يُعطي بعض العزيمة والإرادة للآخرين.
- ٤ - إزالة الحجب القائمة بين الأفراد والتي يمكن أن تفصل المؤمنين عن بعضهم مثل العصبيات بسائر أقسامها وأسمائها، والكبر، والغرور، والحق، وغيرها من الصفات التي جاء الإسلام للقضاء عليها واجتثاثها من جذورها^(٣).

إن السيد محمد تقي المدرسي في تحديده لضوابط الحقوق والحريات كان حريصاً على تحديد السبل التي تُحقّق السعادة لأفراد المجتمع الذي يضم المسلمين وغير المسلمين؛ لأن الإسلام دين الجميع، وتتحدّد علاقة غير المسلمين بهم

(١) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٥٨.

(٢) محمد تقي المدرسي، كيف نبني حضارتنا الإسلامية، ط ٣، قم المقدسة، دار محيي الحسين ع، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٥٠.

ضمن شروط التوافق، ولهم الحرية في ممارسة شعائرهم غير المخلة بالمبادئ الأساسية للدين الإسلامي، والذي يكفل لهم من ثم الحياة الحرة الكريمة المقرونة بالفضائل والتعاليم الإسلامية المنطلقة من أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالبشر خلق الله الذي خلقهم ليرحمهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا نَزَلْنَا لَكُمْ خُفُلًا مِّنْ سَنٍّ﴾ (١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَخَلْقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾.

وهم يُشكّلون وحدة واحدة حيث يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

والهدف من تقسيم البشر أن يحترم بعضهم بعضاً، ويعترف بعضهم بحقوق بعض (التعارف)، وتعبير آخر: الغاية هي أن يُنظّم الناس وضعهم.

ومن الأهداف الأساسية لاختلاف البشر ألسنة وألواناً هو التنافس البناء، وإن قصب السبق هو الكرامة التي تتمثل في التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٥).

فالعلاقة بين الشعوب هي:

(١) سورة هود، الآية ١١٨ - ١١٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٢٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٨.

أولاً: التعارف (أي: الاعتراف ببعضهم).

ثانياً: التنافس على الكرامة واستخراج كواامن نفوسهم.

ثالثاً: التعاون، إذ يقول ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١).

والرسالات الإلهية جاءت لكي يتعالى البشر على عبادة غير الله من عنصر أو إقليم أو قوم أو مصلحة مادية، ويتسامون إلى حيث التوحيد والتقوى والعمل الصالح والحب والإحسان إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٢).

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٣).

وتتواصل البشرية فيما بينهم لتحقيق تلكم الأهداف السامية ضمن دوائر مختلفة في إطار الحق والعدل والتكامل والتعاون، فمن الدائرة الكبرى المتمثلة في خلق الله تعالى، إذ يقول سبحانه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٤).

وقال سبحانه، وهو يبيِّن العلاقة الإيجابية بين المسلمين والمسلمين من الكفار: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٥).

إلى دائرة أهل الكتاب الذين تقاربت ثقافتهم مع المسلمين بالوحي، وقال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا﴾^(٦).

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٤) سورة النساء، الآية ١.

(٥) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

إلى الدائرة الإسلامية التي جعلت الأمة الإسلامية كتلة حضارية واحدة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

وإلى الدوائر الأقرب التي تُحقّق أهداف طائفة من المسلمين في إطار قومية (عربية أو أعجمية) أو في إطار إقليم أو إطار اقتصادي، فإنها كلها مقبولة شريطة ألاّ تتحوّل إلى التعاون على الإثم والعدوان، وألاّ يُصبح وسيلة للاستعباد والاستغلال.

أما عن ضمانات حقوق الإنسان فالحديث ينصرف في الدول المعاصرة إلى الضمانات القانونية التي توافرها النصوص الدستورية من خلال آليات الرقابة، سواء كانت رقابة قضائية أم رقابة سياسية^(٢).

ومن هذه الضمانات ينطلق السيد محمد تقي المدرسي، إذ إنه قدّم (مقترحاً للدستور الإسلامي)^(٣)، وقد ضمّنه مجموعة من الحقوق والحريات العامة في

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٢) عادل شمران، ضمانات حقوق الإنسان وحياته العامة في النظم الداخلية، مقال منشور على الإنترنت على الموقع: www.fcdrs.com

(٣) الدستور الإسلامي المقترح: لقد شارك السيد محمد تقي المدرسي في الندوات والمؤتمرات وبعض الحلقات النقاشية التي عقدها مختصون في القانون في العراق خلال مدة التحضيرات لكتابة الدستور العراقي بعد إحداث سقوط نظام بغداد عام ٢٠٠٣م، وقدّم السيد المدرسي خلال تلك المؤتمرات مسودة للدستور الإسلامي وقد ضمّنها شكل الحكومة الإسلامية، وأيضاً الحقوق والحريات التي يتوجّب توافرها للمواطنين ويضمّنها من ثمّ الدستور العراقي لهم، ولم يكتفِ بتلك المسودة التي عرضها خلال تلك المؤتمرات بل ضمّنها في كتاب له أصدره عام ٢٠٠٤م بعنوان (فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية)، ولم يجعل هذا الدستور المقترح خاص بالعراقيين فقط، وإنما بالإمكان الإفادة منه من أية دولة عربية إسلامية لقوله: «يشكل العالم الإسلامي كتلة حضارية سياسية واقتصادية وثقافية - وهو جزء من العالم النامي وما يُسمّى بدول عدم الانحياز - ولكل دولة خصوصياتها، ومن هذه المنطلقات يمكن لكتلة بشرية أن تُشكّل دولة عصرية لتحقيق أمانيتها الدينية، أو مصالحها المعاشية في رقعة جغرافية معينة، ولها أن تتخذ من هذا الدستور مصدراً لدستورهم الذي

مجال الاقتصاد، والبيئة، وحياة وكرامة الإنسان، والمشاركة السياسية، وحرية الانتقال، والسكن، والملكية الشخصية، والتربية والتعليم، والعمل، والصحة العامة، والأسرة، والمواثيق الدولية... وغيرها^(١).

وقد جعل ممارسة تلك الحقوق والحريات مكفول من الدولة، وبعض الحقوق والحريات العامة مكفولة بمشاركة الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية^(٢)، فالدستور هو «الضمانة الحقيقية الأولى لممارسة السلطة بشكل قانوني مقيدة وخاضعة لحدود وضوابط معينة منها: تقرُّ شكل الدولة، وتُبين السلطة العامة للدولة، وتُبين جوهر الدستور (كحماية الحقوق والحريات العامة الواردة فيه)، وتحديد الأسس (الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية)، وتُبين مبدأ سيطرة أحكام القانون والعمل على تأكيده وتوطيده ضمن المشروعية، وتُبين عمل السلطات السياسية حالياً ومستقبلاً»^(٣).

والسيد المدرسي يرى أن هدف الدستور الإسلامي المقترح هو تحقيق التقدم الدائم للأمة الإسلامية في إطار تقدم البشرية وليس على حساب سائر البشر، وشعار

لا بد أن ينسجم مع ظروفهم أيضاً»، والذي يهمننا هنا هو أن الدستور يتكوّن من سبعين حكماً، خمسة وخمسين منها تضمّنت مجموعة الحقوق والحريات التي يجب أن يتضمّنّها الدستور ليُحقّق الرفاه والسعادة الدنيوية والأخروية للمجتمع، وبقية الأحكام تتعلّق بالحكومة الإسلامية واختصاصاتها ووظائفها.

للمزيد انظر:

محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، صفحات متعددة.

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، صفحات متعددة.

(٢) محمد تقي المدرسي، الأخلاق عنوان الإيمان ومنطلق التقدم، ط ٤، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٣) جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي من (١٩٠٥ - ١٩٢٠)، ط ١، بغداد، دار الروابي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص ١٤.

ذلك الدستور هو الكرامة، وعماد كرامة الإنسان هو استقلاله عن الجبت والطاغوت، وتقدمه في تسخير ما في الدنيا للتخلص من آفات الزمان من الفقر والمرض والنكبات، ولن يتحقق الاستقلال ولا التقدم إلا من خلال ثلاث قيم هي بالترتيب:

الحرية، والعدالة، والأمن^(١).

فالأمن وسيلة تحقيق العدل والحرية، وهي بدورها وسيلة الكرامة، وليس من الصحيح جعل الأمن الهدف الأساسي للدستور من وجهة نظر السيد المدرسي؛ إذ إن اعتزاز الإنسان بكرامته يفوق حاجته إلى الأمن وهو يضحي بأمنه من أجل كرامته، وأما العدالة فهي لا تتحقق إلا بالحرية^(٢)، وتتصل الحرية أساساً بتحسس الفرد حريته واستعداده للدفاع عنها، وبقناعته بأن حريته إنما تُصان في ظل حرية الجميع، ومن هذا المنطلق فإن حرية الفرد تتكامل أبداً مع احترام حقوق الآخرين^(٣)، وتتصل الحرية أيضاً في النهاية بالدستور الذي يُنظم علاقات الناس ببعضهم، وبقيمتي العدل والأمن أيضاً^(٤).

وهناك ضمانات أخرى يُقدمها السيد محمد تقي المدرسي يمكن أن نعدّها ضمانات دينية تنطلق من كونه مرجعاً دينياً، وتمثّل بالآتي:

أ- الإيمان القلبي بالله الذي خلق البشر وملكهم وخشيته والخوف منه.

ب- الإيمان باليوم الآخر^(٥).

ج- قضاء حوائج المؤمنين بعضهم لبعض^(٦).

(١) محمد تقي المدرسي، معالم على طريق الخلاص مصدر سابق، ص ١٠١.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٣) محمد تقي المدرسي، عقود الإحسان (الوجيز في الفقه الإسلامي)، ط ١، قم المقدسة، مؤسسة انتشارات مشهور، ١٤٢٥ هـ، ص ١٠.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦١.

(٥) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(٦) محمد تقي المدرسي، كيف نبني حضارتنا الإسلامية؟، مصدر سابق، ص ٥٩.

ولعل السيد محمد تقي المدرسي قد أُنْفَقَ مع السيد الحسيني الشيرازي بذكر الضمانات الثلاث السابقة محاولةً منه في إحياء ضمير الإنسان، بحيث يكون ضميره رادعاً داخلياً مانعاً له من انتهاك حقٍّ ما أو مصادرة حرية ما^(١).

المطلب الثالث: الحقوق والحريات العامة في المفهومين الغربي والإسلامي

يرى السيد محمد تقي المدرسي أن البشر قد بحثوا طويلاً عن النظام الأفضل للمجتمع والذي يضمن الحقوق والحريات العامة للأفراد، انتهى من ذلك الطواف إلى نظامين رئيسيين نابعين من مفهومين متعاكسين^(٢):

النظام الأول: التسليم لله، وتقبلُ تشريعه كاملاً، وهذا هو النظام الإسلامي في صيغته الأخيرة المتمثلة في دين النبي محمد ﷺ.

النظام الثاني: الاستبداد بوضع النظام لنفسه، وهو ينقسم تبعاً لافتقاد البشر المقياس الدقيق لمعرفة الصحيح عن الباطل على نوعين:

أ- النظام الفردي الرأسمالي.

ب- النظام الجماعي الاشتراكي.

وبالرغم من أن الإنسان اضطر إلى تعديل كلا النظامين المتطرفين ذات اليمين وذات اليسار تعديلاً جعلهما يقتربان نوعاً ما إلى النظام الإسلامي، فإن الإنسان العصري لا يزال يسرح خياله في متاهة الجهل ويعتقد بأن الاشتراكية أو الرأسمالية أصلح الأنظمة التي تسير بحضارة الإنسان قُدماً إلى الكمال، ومن هنا

(١) للمزيد راجع:

- محمد الحسيني الشيرازي، مع الحرس والشرطة، ط ١، كربلاء المقدسة، مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، ٢٠٠٥م، ص ١٢، ص ٢٢.

- محمد الحسيني الشيرازي، فقه الحقوق، ط ١، بيروت، دار العلوم للتحقيق والنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص ٣٣٨.

(٢) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٦٥.

فإنه لا تزال توجد فكرة تنادي بسلب حقوق الفرد بصورة تامة ودفع المجتمع إلى مستوى الإله المعبود... وتُقابلها فكرة متطرفة تنادي بوجوب إعطاء الفرد كامل حريته وجعله إلهاً من دون المجتمع^(١).

وبناءً على ذلك نُوضِّح أفكار تلك الأنظمة على النحو الآتي:

أولاً: الحقوق والحريات العامة في النظام الرأسمالي

يرى السيد محمد تقي المدرسي أن هذا النظام يركز على فلسفة عامة تقول: «إن تصارع الأفكار والمصالح يظهر على المسرح أفضل ما ينتجه الإنسان، ويلزم على النظام الاجتماعي أن يُهيئ ظروف هذا التصارع كأفضل ما يكون وذلك بفسح المجال لأكبر قدر ممكن من الحريات الفردية لتكون وسيلة مشجعة للإنسان تبعثه لإبداع أفضل الأفكار والقيام بأحسن الأعمال»^(٢)، والحريات الفردية في النظام الرأسمالي من وجهة نظر السيد المدرسي تنقسم على أربعة أقسام هي: السياسية، والاقتصادية، والفكرية، والشخصية، وهي على النحو الآتي^(٣):

١ - الحرية السياسية

وتعني إفساح المجال لكل فرد أن يُقرّر مصيره السياسي بنفسه من طريق إعطائه حق التصويت والمحافظة على هذا الحق، وينشأ من هذا الحق التنافس الحر على السلطة ويكون أقدر الناس على السياسة هو المنتخب النهائي للمجتمع.

٢ - الحرية الاقتصادية

وهي الحرية التي تدفع بكل فرد إلى خوض صراع حر على العمل، وينشأ

(١) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ٨٩.

(٢) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦٧.

من هذا أن كل فرد يضع طاقاته الممكنة في المعركة، وبهذا يحصل المجتمع على أكبر قدر ممكن من طاقات أفراده الإنتاجية، هذا من ناحية التنمية الاقتصادية، أما من ناحية الاقتصاد السياسي فإن الحرية تُحفّز كل فرد إلى اختيار مصالحه الخاصة، وهذا الحافز يحفظ التوازن الاقتصادي للبلاد.

٣- الحرية الفكرية

وتعني أن لكل شخص حق في التمسك بعقائد وآراء معينة تروق له ولا يحق لغيره منعه من الالتزام بتلك الآراء، ومن الحرية الفكرية تنبثق الحرية الدينية، وهي تقضي بتعديل الأفكار التي تنتشر في المجتمع؛ بسبب التصارع بينها واختيار الجمهور لها.

٤- الحرية الشخصية

وتعطي هذه الحرية لكل فرد الحق في التزام سلوك يختاره دون أن يكون لأحد الحق في منعه عنه، وهذه الحرية تعين أيضاً أفضل أحكام السلوك من طريق اختيار أكثرية الناس له^(١).

ويوجّه السيد المدرسي مجموعة من الانتقادات إلى القيم الرأسمالية، من ضمنها كونها مادية؛ لأنها تجعل القيمة التامة للمصلحة وتقيم الحقائق الأخرى من دين وأخلاق وفق ما تنطوي عليها من تلك القيمة (قيمة المصلحة الذاتية)^(٢)، ويرى السيد المدرسي أن هذا التقييم المطلق للمصلحة الذاتية يُشكّل جذر الأخطاء في النظام الرأسمالي^(٣)، ومن جانب آخر فإن السيد المدرسي يعد القضية المساوية العظمى التي تورّط فيها النظام الرأسمالي كانت عودة الأكثرية لأقلية حاکمة، إذ ما أن أُطلقت الحرية الاقتصادية حتى تكتلت الأدمغة البشرية الواعية

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) محمد تقي المدرسي، كيف نبني حضارتنا الإسلامية؟، مصدر سابق، ص ٣٤.

(٣) محمد تقي المدرسي، معالم التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦١.

لتحقيق مصالحها الذاتية وأحرزت لنفسها ثروة طائلة، والثروة هي كل شيء بالنسبة إلى أمة المصالح التي تسودها العقلية النفعية بصورة كاملة، والعقلية الرأسمالية عندما أوحى باستثمار الأكثرية في بلدها يدفعها ذلك إلى التطلع إلى استغلال البلاد الأخرى، وهذا فعلاً هو ما حصل عندما احتلت واستعمرت الشعوب الأخرى لأن العقلية الاستعمارية وما أعقبت من مآسٍ وويلات وحروب وثورات هي نتاج للعقلية النفعية الرأسمالية^(١).

ولعل السيد محمد تقي المدرسي لم يكن المفكر الإسلامي الوحيد الذي وجّه انتقادات إلى النظام الرأسمالي، بل هنالك مجموعة من المفكرين الإسلاميين الذين انتقدوا النظام الرأسمالي، ومن ضمنهم السيد محمد الحسيني الشيرازي، فالشيرازي في الوقت الذي يُشجّع على تبني القانون الدولي والمجتمع الدولي لدوره المدافع عن حقوق الإنسان وحياته العامة، فهو يتمسك بالتأكيد بتفوق منظومة الحقوق والحريات الإسلامية، على ما عداها من منظومات جاءت أو يمكن أن تأتي بها اللوائح والمواثيق الدولية الوضعية؛ لأنه يرى أن المنظومة الإسلامية هي أوسع نطاقاً، وأن الموجود من حقوق وحريات في المنظومة الغربية المتسيّدة على القانون الدولي لا يعادل إلا عشرة بالمائة من تلك الموجودة في المنظومة الإسلامية^(٢)، كما أنه يذكر عدداً من العيوب التي تنطوي عليها المنظومة الغربية في مجال حقوق الإنسان وحياته العامة هي^(٣):

١ - تقييد الحريات، فترى الشعوب الغربية في أغلب شؤونها كالسفر والإقامة والبناء والزراعة والصناعة والتجمع وغيرها مقيدة بالإذن والرخصة من الدولة، وهذا الإذن والرخصة هو تقييد في ممارسة الحريات.

(١) محمد تقي المدرسي كيف نبني حضارتنا الإسلامية؟، مصدر سابق، ص ٣٥.

(٢) محمد الحسيني الشيرازي، الصياغة الجديدة لعام الإيمان والحرية والرفاه والسلام، ط ٤، بيروت، مؤسسة الفكر الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ص ٢٨٨.

(٣) محمد الحسيني الشيرازي، فقه السياسة، ج ٢، ط ٦، بيروت دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص ٣٤ - ٣٧.

- ٢- السماح لرأس المال بالتراكم الجائر أوجب ذلك سيطرته على مختلف الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.
- ٣- الاستعمار للخارج.

أما النقد الذي وجهه السيد محمد باقر الصدر للدول الرأسمالية فهو: أنها قامت على أساس نظام مادي خالص أخذ فيه الإنسان منفصلاً عن مبدئه وآخرته محدوداً بالجانب النفعي من حياته المادية^(١)، وكان من جرّاء هذه المادية التي زخر بها النظام الرأسمالي بروحها أن أقصيت الأخلاق من الحساب ولم يلحظ لها وجود في ذلك النظام، أو بالأحرى تبدّلت مفاهيمها ومقاييسها وأعلنت المصلحة الشخصية هدفاً أعلى، والحريات جميعاً وسيلةً لتحقيق تلك المصلحة، فنشأ عن ذلك أكثر ما ضجّ به العالم الحديث من محن وكوارث ومآسٍ ومصائب^(٢).

أما عن رأي السيد محمد باقر الصدر في مجرى الحقوق والحريات في الحياة الاقتصادية للمجتمع الرأسمالي، فيذكر أن الحرية الرأسمالية هي سلاح جاهز بيد الأقوياء يشق لهم الطريق، ويُعبّد أمامهم سبيل المجد والثروة على جماجم الآخرين، ولما كانت الحرية الرأسمالية لا تقر بالرقابة مهما كان لونها، فالثانيون يفقدون في معركة الحياة كل ضمان لوجودهم وكرامتهم، ويظلون في رحمة منافسين أقوياء لا يعرفون لحرياتهم حدوداً من القيم الروحية والخلقية، ولا يدخلون في حسابهم إلا مصالحهم الخاصة^(٣).

ويضيف قائلاً: «لقد بلغ من هدر الكرامة الإنسانية نتيجة هذه الحرية الرأسمالية أن بات الإنسان نفسه سلعة خاضعة لقوانين العرض والطلب، ومن

(١) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط ٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٠.

(٣) محمد باقر الصدر، اقتصادنا (دراسة موضوعية تتناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية الماركسية والرأسمالية والإسلام في أسسها الفكرية وتفصيلها)، ج ١، ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

ثم رهن القانون الحديدي للأجور الذي يقدّم الأمل للعمال قائلاً لهم: اصبروا قليلاً حتى يصرع الجوع والبؤس قسماً كبيراً منكم فيقل عددكم فيصبح العرض مساوياً للطلب فترتفع أجوركم وتحسّن حالتكم»^(١)، أما عن المحتوى الروحي للأمة فقد وصف السيد محمد باقر الصدر الحرية الرأسمالية بأنها تعمل على تلاشي مشاعر البر والخير والإحسان، وتطفو عليها مفاهيم الإنانية والجشع، وتسود المجتمع روح الصراع في سبيل البقاء بدلاً عن روح التعاون والتكافل^(٢).

ثانياً: الحقوق والحريات العامة في النظام الاشتراكي

يرى السيد محمد تقي المدرسي أن الرأسمالية قد أحدثت أزمة حادة في صفوف تلك الأكرتية المحرومة، فبدأت تشعر بالسقم في العسل، وتسَلَّحت بنظرية الصراع الطبقي والتفسير الديالكتيكي لأحداث التاريخ، وصاغت نظرية (الشيوعية العلمية) التي انبثقت منها كمقدمة وتمهيد - الاشتراكية العلمية -^(٣)، وانطلقت الشيوعية ووليدتها الاشتراكية من هذا المنطلق القائل:

«ما دامت الأقلية الثرية تُشكّل بؤرة الفساد، فلا بد من القضاء عليها بل لا بد من القضاء على تلك الأجواء المساعدة لنموها، وبحث عن البديل فجاء الجواب في البداية بتشكيل حزب يُمثّل الطبقة المحرومة فيقودها إلى الحرب الباردة فالساخنة ضد الأقلية المستبدة وتبني دولة العمال، وتستلم الدولة مقاليد الحكم من أولئك المستغلين ريثما تنضج العقلية الشيوعية في المجتمع، فلا حاجة عندئذٍ إلى الدولة أيضاً فيمكن بذلك التخلّص نهائياً من الدور السلبي للثروة»^(٤).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٤١.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٣٧١.

(٤) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

فالشيوعية وفقاً لهذا المنطلق تتلخّص في الآتي^(١):

- ١ - تحديد الملكية الفردية في حساب توسيع الملكية الجماعية وتأمين وسائل الإنتاج والتوزيع كخطوة أولية لإلغاء الملكية الفردية نهائياً.
- ٢ - توزيع الدولة للسلع المنتجة حسب القانون الشيوعي العام (كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته).
- ٣ - تخطيط الدولة لمناهج الاقتصاد العامة.

ويترتب على هذا الفكر عدم امتلاك الفرد لأي حق في التملك العقاري وينتهي باستغلال الإنسان للإنسان، على الرغم من بقاء بعض الأشكال المحدودة للملكية الخاصة وعدم المساواة في الأجور القائمة على أساس مقدار العمل، ومن خلال هذا العمل يمكن الوصول إلى الشيوعية من طريق توفير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وتطبيق مبدأ (من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته)، فالكل يعمل طواعية بكل إمكانياتهم ويستهلكون بقدر حاجاتهم، وعندها تنتفي الحاجة إلى الدولة والقانون وتحل محلها إدارة الأشياء وتحقق للأفراد الحقوق والحريات الحقيقية^(٢).

ويوجّه السيد المدرسي الانتقادات إلى النظام الشيوعي بكون هذا النظام أدّى إلى اضطراب المجتمعات التي أخذت بالعمل به، وانخفاض الإنتاج كثيراً؛ لأن الإنسان عندما يشعر بأنه يعمل لغيره يقلّ نشاطه هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عدم إيمان الشيوعية بالأديان السماوية أدّى إلى نتائج عكسية، فقد تمّ التضييق على المتدينين وإغلاق الجوامع والكنائس ودور العبادة لمدة طويلة^(٣).

(١) د. عدنان حمودي الجليل، نظرية الحقوق والحريات العامة في تطبيقاتها المعاصرة، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٤٢.

(٢) د. سليمان محمد الطهاوي، الوجيز في نظام الحكم والإدارة، ط ١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٢، ص ٥.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٣٧٣.

وهذا من ثمَّ يُؤدِّي إلى كبت الحقوق والحريات العامة في المجتمع.

ويتفق العديد من المفكرين الإسلاميين المعاصرين مع السيد المدرسي في نقد النظام الاشتراكي، فعلى سبيل المثال يطرح السيد محمد حسين فضل الله عدة إشكالات على النظام الاشتراكي من ضمنها انعدام عدالة التوزيع في الثروات، فلاشتركية -من وجهة نظره- تقطع كل وشائج التعايش مع الملكية الفردية بوصفها دعامة من دعامات النظام الرأسمالي، وتحصر الثروة بملكية الدولة، وبذلك فهي تصادر ملكية الفرد، وهي بذلك تتعارض مع الرؤية الإسلامية^(١).

ويرى السيد محمد باقر الصدر أن محور الملكية الخاصة يقوم على افتراض خيالي ينطلق من قاعدة التأمين في المجالات كافة؛ لأن النظام الاشتراكي سيبلغ درجة عالية من الثروة التي تكون ملكاً للجميع بفضل الاشتراكية الممهدة للمجتمع الشيوعي، وستحقق قاعدتها الكل يعمل حسب حاجته، ومن ثم يمكن إشباع كل الرغبات. وهذا الافتراض غير مقبول من الناحية الواقعية؛ كون الحاجات تخضع لقانون التضحية ما بين اللامتناهي لرغبات الإنسان وما بين الندرة النسبية للموارد^(٢).

إذن تبقى مسألة انعدام الملكية الخاصة أمراً غير مقبول من الناحية العلمية

(١) محمد حسين فضل الله، الحركة الإسلامية.. ما لها وما عليها، إعداد نجيب نور الدين [د.م]، دار التوحيد (د.ت)، ص ١٧٢.

للمزيد راجع:

- علاء الدين خروقة، نظرات في الإسلام، دراسة مقارنة لنظام الإسلام المالي والأنظمة الاقتصادية الحديثة، ط ١، بغداد، مطبعة النجاح، ١٣٨٠ هـ، ١٩٦٠ م، ص ٨٨.

- حسن الظاهر، دراسات في تطور الفكر السياسي، ط ٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص ٣٨٤.

- عمر الإسكندري بك، الشيوعية على حقيقتها، ط ١، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١، ص ٩١ - ٩٥.

(٢) محمد باقر الصدر، اقتصادنا، مصدر سابق، ص ٢٦٩.

حسب رأي السيد محمد باقر الصدر، فضلاً عن أن مسألة تحقيق المجتمع الشيوعي المنشود قد صادرت مبدأ تحقيق العدالة الاجتماعية على أساس حيوية الفرد في خدمة المجتمع على أساس الكفاءة نظير جهده النوعي في الاستثمار نتيجة إلغاء الملكية الخاصة^(١).

ويؤكد السيد محمد حسين فضل الله أن أسباب فشل النظام الشيوعي ترجع إلى عدم قدرته على حل مشكلة الإنسان المعاصر من خلال «اللجوء إلى القوة الحديدية الخائفة في السيطرة على الأفكار المضادة والمشاعر المعادية، التي تتحفز لتتحول إلى ثورة عميقة الجذور في الوعي الروحي عند الشعوب... المغلوبة على أمرها... في اختيار النظام الأمثل، الذي يُحقق لها إنسانيتها في دائرة حاجاتها العامة والخاصة على مستوى الحكم والقانون»^(٢).

ثالثاً: الحقوق والحريات العامة في النظام الإسلامي

إن الحقوق في الإسلام هي منحة وهبة من الله سبحانه وتعالى مصدر الحق لتنظيم حياة الخلق حتى يكونوا سعداء في الدنيا والآخرة، وكان يمكن ألا يجعل الله للعبد حقاً أصلاً، ولكنه تفضل على عباده فجعل للإنسان حقوقاً تؤدّي له، وكلّفه بأداء حقوق الله تعالى، وللآخرين، ثم أعلمه وبلّغه ما له من حقوق وما عليه من واجبات من طريق الشرائع السماوية التي ختمت بالشرعية الإسلامية فكانت ناسخة لما قبلها، وعامة لجميع الخلق، فما أثبتته الشريعة السماوية حقاً، فهو حق وما عداه فليس بحق، فالحاكم هو الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾^(٣).

فالله سبحانه وتعالى هو المصدر الحقيقي لتشريع الحقوق وبيان الحقوق

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٧٢.

(٢) انظر: محمد حسين فضل الله، الحركة الإسلامية.. ما لها وما عليها، مصدر سابق، ص ١٧٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٧.

ومنح الحقوق خاصة أن تشريعه ليس نابغاً من أثره أو حقد أو كراهية، فالخلق كلهم عياله، وليس تشريعه نابغاً من نظرة طبقية، أو جهل بحقائق الأشياء وإنما هو أرحم بالخلق من أنفسهم وأعلم بهم وبأمورهم، وبما يصلحهم ويُسعدهم حق الإسعاد^(١).

والسيد المدرسي يرى أن الإسلام يُقرّر أن كل فرد مسؤول عن أعماله ومُكلّف بواجباته، وله حقوقه في التمتع بالذائد الفكرية والجسمية في حدود خدماته أو حاجاته لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢). وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ^(٣).

وتنشأ هذه الفكرة في الإسلام، (والتي يبدو فيها النزعة الفردية، بادئ النظر) من تقرير أن كل فرد عاقل حر في اتخاذ أي تصميم في الحياة، وبما أنه حر فهو مالك لنفسه ليس لأحد عليه حق العبودية، وإذا كان كل فرد مالكاً لنفسه فهو أملك لعمله وتصرفه من أي فرد آخر، وعلى هذا الأساس المتين يُشرّع الدين أحكاماً خاصة بالفرد (ليس للمجتمع فيها شرك) كأفعال القلب (العقيدة والإيمان) والعبادات وكثير من الأحكام الأخرى^(٤).

ولكن هذه الفكرة الناشئة من حرية كل فرد ومسؤوليته من وجهة نظر السيد المدرسي لا تنافي فكرة أخرى تبدو فيها جماعية الاتجاه، هي:

أن الإنسان عبدٌ لله، وأن امتلاكه لنفسه ناشئ من تمليك الله له ذلك، وبما أنه عبدٌ لله فهو مُسيّرٌ بأمر الله وفي صراطه، وكما خلق الله هذا الفرد خلق الآخر، فهما متساويان أمام الله متكافئان في الحقوق والواجبات، كل منهما عبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا من دون الله، فليس لأحد أن يطغى على الآخر ولا أن يشبع

(١) د. عبدالسلام العبادي، حقوق الإنسان في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٨٩.

(٢) سورة الزلزلة، الآية ٧ - ٨.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٠٤.

هو في حين يجوع جاره، ولا أن يعتزل عن الناس باتباع الرهبانية وباستغلال حق (حريته) استغلالاً غير صالح بالنسبة إلى الآخرين^(١).

وعلى هذا الأساس فلا يصح أن يمحى الفرد حقوق الجماعة، ولا أن تهضم الجماعة حقوق الفرد^(٢).

وبما أن الدين يعترف بالفرد (كوحدة مستقلة في المجموع) يؤكد على الجماعة ألا تغلب على الناس نزعتهم الفردية بحيث تطفئ على علاقة بعضهم ببعض، فالدين يُقرّر عدة نظم في سبيل ربط الفرد بالجماعة، ومن هذه النظم^(٣):

١- أن الفرد محاط بحلقات متداخلة هي بالترتيب:

أ- عائلته.

ب- أسرته.

ج- عشيرته.

د- جيرانه.

هـ- أساتذته و تلاميذه.

و- كل من يمت إليه بصلة كالأصدقاء، وهكذا...

٢- ربط الفرد بالجماعة من واقع العلاقة بينهما في أصل الخلق ويضع لهذه المبادئ مجموعة من المنطلقات، وهي على النحو الآتي^(٤):

أ- أن أفراد المجتمع إخوة فيجب أن يقوموا بإصلاح بعضهم بعضاً؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٥.

(٢) محمد تقي المدرسي، عقود الإحسان، مصدر سابق، ص ١١.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٠٥.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه المصالح العامة، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، ص ٥.

ب- أن أفراد الأمة كأعضاء الجسم الواحد لقول الرسول ﷺ: «المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

ج- أما حق الأمة فهو إضمار السلامة لهم، والرحمة لهم، والرفق بمسنيهم، وتألّفهم وإصلاحهم، وشكر محسنهم، وكف الأذى عن مسيئهم، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار بمنزلة أولادك.

د- أن أفضل الناس في المجتمع الإسلامي هو التقي ولكن هذه الأفضلية لا تمنحه الحق في التكبر على الناس أو تطاوله على حقوقهم.

هـ- أن أفضل الناس عند الله هو الذي ينفع الناس أكثر من غيره.

و- لا بد لكل فرد في المجتمع المسلم أن يراقب الأمور العامة ويهتم بها، فإذا أوجد فيها فساداً سارع إلى إصلاحه^(١).

٣- أما التمايز الطبقي أو العنصري أو القومي فإن الإسلام يتبرأ منه ويتبرأ من كل من ينادي به، ويضع كل دساتيره على أساس المساواة والعدالة الشاملة؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

ويرى السيد المدرسي أن هذه الآية الكريمة تُقدّم وصية خلقية وتربوية إلى المسلمين، وكذلك تُوضّح فلسفة تشريعية يبني عليها الدين كل أسسه، وهي تُقرّر ثلاثة حقائق أساسية في بناء الحقوق الدولية أو الوطنية، وهي على النحو الآتي^(٣):

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، مصدر سابق، ص ٤٠٨.

- أ- أن الناس مخلوقون فلا يملكون إلا ما وهب لهم الله سبحانه وتعالى.
 ب- أن أصل خلقهم ذكر أو أنثى فهم إخوة في الأصل، وما طراً عليهم من الاختلاف فهو عرض يجب ألا يُعتنى به.
 ج- أن هناك شعوباً متميزة وقبائل مختلفة، ولكن كل هذه لا بد أن تُستغل في سبيل التعارف والتعاون، فالقوميات لا بد أن تُستغل للصالح العام لا للتباغض والتحارب.

٤- الإسلام يُقرّر العدالة الاجتماعية على الصعيدين: الحكومي والفردى؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوَّلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١).

وهذه الآية تنسف خرافة: القرابة أو الصداقة أو الغنى نسفاً، وتجعل الميزان هو العدل والحق فقط.

٥- أن الحروب تنشأ في المجتمعات بأحد سببين^(٢):

- أ- أن الناس يُصبحون أمام الدعوات الخيرة إلى فريقين: مهتدي وضال، ويحاول الضالون أن يقضوا على المهتدين لكي يصفو لهم الوضع، ولا بد من هذه الحروب حتى تُصبح كلمة الحق هي العليا شريطة ألا تُستغل هذه الحرب للمصالح المادية.
 ب- أن بعض الطبقات تريد أن تستغل طبقة دون أخرى فتقوم الحرب، ولا بد من القضاء على هذا النوع من الحروب بالقضاء على جراثيمها المتمثلة بالاستغلال.

مما تقدّم يخلص السيد المدرسي إلى نتيجة مفادها أن الإسلام من خلال

(١) سورة النساء، الآية ١٣٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٠٩.

نظامه السابق يوافر ما تحلم به الرأسمالية من حرية الشعب، وما تدعو إليه الاشتراكية من الضمان الاجتماعي للفقراء، دون أن يجبر العالم إلى المشكلات التي جرّته إليها هاتان النظريتان، فالحرية تقرّر وصف كل فرد مختار في أعماله، فهو حر فيما يعمل له وله كل ما ينتجه، أما الضمان فينطلق من حقيقة مفادها:

أ- أن الناس عباد الله، فلهم جميعاً حق البقاء، وكذلك فعلى كل مسلم أن يوافر -حسب إمكانياته- ضرورات الحياة لكل إنسان مسلماً كان أو كافراً، فالإسلام يمزج أساسين في الاجتماع مزجاً معتدلاً وهما^(١):

- أ- أن كل فرد حر مسؤول، له مثل ما عليه من الحقوق والواجبات، وأن لكل فرد ما ينتج، وهذا مبدأ «لكل امرئ حسب كفاءته».
- ب- أن الناس عباد الله ومتساوون في الحقوق العامة، وكذلك «لكل حسب حاجته».

وعلى هذين الأساسين وانسياقاً مع وجهة نظر السيد المدرسي فإن الإسلام يبني صرحه الشامخ في المجتمع الصاعد من دون أن ينزلق في أخطاء النظم المادية المعاصرة.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣١٠.



الحقوق والحريات العامة في الإسلام

يرى السيد محمد تقي المدرسي أن هنالك حقوقاً وحريات تُمنح للمجتمع حسب التطور الزمني وتقدم الإنسان في المدنية والحضارة؛ لذلك فهنالك صعوبة في حصر جميع الحقوق والحريات العامة من الباحثين والمختصين في هذا المجال^(١)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السيد المدرسي -وكما أوضحنا سابقاً- قد جعل من الدستور الإسلامي المقترح ضماناً للحقوق والحريات في وقتنا الحاضر، ولكنه أكد ضرورة أن تعي الدولة الحقوق والحريات المستجدة في الأمم الأخرى ومواكبة تقدمها في هذا المجال^(٢)، ويبدو أن الحقوق والحريات العامة التي ضمَّنها السيد المدرسي في دستوره الإسلامي المنشود تتوافق غالباً مع تصنيفات حقوق الإنسان في الشريعة الدولية لحقوق الإنسان ممثلة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام (١٣٦٩هـ - ١٩٤٨م)، والعهدين

(١) محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٧٧.

للمزيد راجع:

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الخاصين بالحقوق المدنية والسياسية والحقوق

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال الشبكة الدولية للإنترنت على المواقع التالية:

www.huquqalinsan.com

www.arabinsan.jeeran.com

الخاصين بالحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٦م)، فضلاً عن عدد من المواثيق الدولية الصادرة من الأمم المتحدة والمتعلقة بحماية حقوق وحريات فئات اجتماعية خاصة.

وستتناول الحقوق والحريات التي استعرضها السيد محمد تقي المدرسي وفقاً للمطلبين الآتين:

المطلب الأول: الحقوق والحريات المدنية والسياسية.

المطلب الثاني: الحقوق والحريات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

المطلب الأول: الحقوق والحريات المدنية والسياسية

تتمثل الحقوق والحريات المدنية والسياسية بمجموعة من الحقوق والحريات، وهي من وجهة نظر السيد المدرسي على النحو الآتي:

أولاً: الحق في الحياة

يرى السيد المدرسي أن الإنسان هو أعظم ما خلقه الله سبحانه وتعالى، فعليه تُعدُّ حياة الإنسان مقدسة لأنها هبة من الله للإنسان، بوصفه كائناً حياً أراد الله له الحياة فاستحق تكريم الخالق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١).

وإن حق الحياة ليس حكراً على المسلم فقط وإنما الناس أجمعون متساوون في استحقاق الحياة وحرمة الدم^(٢)، تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٣).

ويشمل هذا الحق مجموعة من الحقوق الفرعية المرتبطة بحياة الإنسان

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط ١، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٩، ص ٥٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

وحريته الفردية إذ أعلت الدساتير من قدر هذا الحق ووصفه من الحقوق الطبيعية الكامنة في النفس البشرية التي لا يمكن فصلها عنها، ومنحتها بذلك الرعاية الأدنى والأشمل تأكيداً لقيمتها وبما لا إخلال فيه بالحق في تنظيمها^(١).

الحق في الحياة من الحقوق الأساسية للبشر، وهو قيمة إيمانية نابعة من احترام الآخرين والاعتراف بكل حقوقهم، وهكذا كانت حرمة النفس من أعظم الحرمات في القرآن^(٢)، ويرى السيد المدرسي أن الآية القرآنية المتضمنة قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(٣).

توضح الآية أن قيمة الحياة عظيمة وعلى المؤمنين أن يحافظوا عليها أنى استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ويوضح السيد المدرسي بعض الأحكام المستوحاة من تلك الآية الكريمة^(٤):

١ - على المؤمنين أن يوفرُوا نظاماً صحياً ممتازاً يحافظ على الأرواح من فتك الفيروسات والجراثيم، ونظام مراقبة المواد الغذائية ونظام رعاية الأمومة والطفولة، هذا فضلاً عن نظام صحي متكامل يُعنى بالعلاج ابتداءً من توفير الأطباء والأدوية، وانتهاءً بتوفير المصحات والمستشفيات.

٢ - عليهم أن يوفرُوا نظام المرور الصارم الذي يحافظ على أرواح الناس من مغبة حوادث السير، ويشمل أيضاً توفير عوامل السلامة.

(١) د. نواف كنعان، حقوق الإنسان في الإسلام والمواثيق الدولية والدساتير العربية، ط١، عمان، الأردن، إثراء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطبية، مصدر سابق، ص ٧٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٨٢.

- ٣- الاهتمام بالسلامة الصناعية فيما يتصل بالكهرباء والغاز والماء.
 ٤- على الدول وضع قوانين مناسبة للبناء المقاوم للأخطار كالزلازل والفيضانات والحرائق.

وقد أكد السيد محمد تقي المدرسي على ضرورة الاهتمام بإشاعة ثقافة الحياة في المجتمع من أجل القضاء على الجريمة من خلال الاهتمام بما يأتي^(١):

- ١- مواجهة الثقافات الجاهلية التي تستهين بالحياة البشرية وتجعلها بلا حكمة.
 ٢- التخويف من عاقبة القتل، ومدى الخسارة التي تلحق بالقتلة في الدنيا والآخرة.

- ٣- منع أفلام القتل الشائعة التي تجعل القتل عملاً سهلاً بل ومقبولاً، كما وأنها تعلم أساليبه.

- ٤- منع الأدبيات والقصص التي تُمجّد القتل.
 ولا شك في أن هناك صعوبة في تنفيذ مضمون النقطتين الثالثة والرابعة؛ لأنها يصدران من دول خارجية وشركات إنتاج عالمية يصعب التحكّم بها، ويُمكن اللجوء إلى الإرشاد عن مساوئ تلك الأفلام بدلاً من ذلك.

- ٥- الإعلان للناس عن أبعاد حرمة القتل ليكون ثقافة عامة في المجتمع تماماً بعكس ما نرى في كثير من الأفلام والقصص البوليسية من تبرير عمل الجناة وإثارة الشفقة عليهم.

أما أحكام الدستور الإسلامي المقترح المتضمنة لحق الحياة فهي تدرج في [الحكم السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرون والواحد والعشرون والثاني والعشرون] وجميعها تؤكد أن الشريعة الإسلامية هي دين الحياة وعلى الأمة المحافظة على حياة كل فرد في الدولة الإسلامية وعلى حقوقه الأساسية،

(١) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

ولا يجوز إزهاق الحياة إلاَّ حسب أحكام الشرع مع الأخذ بقاعدة «درء الحدود بالشبهات»^(١)، وقد عدَّ السيد المدرسي أن من أهم الحقوق هو حق الحياة وحق الصحة، فحق الحياة هو أصل سائر الحقوق، وتُشكّل الصحة والسلامة البدنية أساس الحياة، وأكد على الاهتمام الجدي بالصحة بوصفها (حقاً إنسانياً) من خلال تنفيذ التعاليم الآتية^(٢):

- ١ - الصحة العامة مسؤولية مشتركة بين الدولة والأمة وعلى الجميع السعي الدائب من أجل توفير عوامل الصحة العامة، ووقاية المجتمع ممّا يهدّد السلامة مثل حماية الطعام والشراب وما يتّصل بهما من أسباب الفساد والتلوث، وحماية البيئة من الفيروسات والميكروبات، وحماية المرافق العامة ممّا يهدّد السلامة.
- ٢ - على الدولة الاهتمام بوسائل العلاج، وتوفير المستشفيات والمراكز الصحية وتوفير الأطباء والكادر الصحي، وتهيئة الأدوية للعموم.
- ٣ - الدولة عليها أن تسعى من أجل التربية البدنية عبر تشجيع الرياضة بكل أقسامها المشروعة.
- ٤ - على الدولة والأمة الاهتمام بالمرضى الذين يحتاجون إلى رعاية خاصة كالمعوقين والمبتلين بالأمراض المستعصية، وكذلك الاهتمام بالمصابين بأمراض عقلية ونفسية^(٣).
- ٥ - على الدولة الاهتمام بالمواطنين الكبار والمتقاعدين الذين يحتاجون إلى المزيد من الاهتمام المادي والمعنوي^(٤).

(١) انظر، محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، مصدر سابق، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٣) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، الجزء الثامن، مصدر سابق، ص ٣٢٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١١١.

ثانياً: الحق في المساواة

أكد الإسلام على مبدأ المساواة وجعله دعامةً وأساساً لكل النظم التي سنّها لحكم علاقات الأفراد بعضهم ببعض أو علاقتهم بالدولة، وفي جميع الحالات التي تقتضيها كرامة الإنسان والعدالة الاجتماعية^(١).

فليس هناك أبلغ في بيان المساواة بصفة عامة لمصلحة البشر جميعاً من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

وللإسلام فضل السبق في إعلان مبدأ المساواة بين بني الإنسان على اختلاف أصولهم وأجناسهم وألوانهم وقبائلهم وشعوبهم، فهم جميعاً في الحقوق والواجبات وأمام القانون سواء، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف تأكيداً لمبدأ المساواة بين البشر:

«يا أيها الناس أن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا أحرر على أبيض ولا أبيض على أحرر إلا بالتقوى».

وإن طبيعة المساواة التي كان الإسلام يقصدها تشمل مجموعة القواعد المنظمة لحياة الإنسان في الكون كله وفي كل زمان ومكان^(٣).

ولقد كفلت المواثيق الدولية على اختلاف أنواعها الحق في المساواة أمام القانون وأمام القضاء وعدم التمييز أيّاً كان ...

(١) د. حامد سلطان، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، ط ١، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م، ص ١٥٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) د. حافظ علوان حمادي الدليمي، حقوق الإنسان، ٢٠٠٩، ص ٤١ - ٤٢.

وقد كان مبدأ المساواة من المبادئ الأساسية التي نصَّ عليها ميثاق الأمم المتحدة في مواضع عدة، فقد نصَّت المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومضمونها «يولد الناس جميعهم متساوون في الكرامة والحقوق، وقد وُهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يُعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء والكرامة»^(١).

يرى السيد المدرسي أن الإسلام يعني التسليم لله والإيمان بجميع أنبياء الله دون تفريق بينهم، والتعالي عن قيم الأرض إلى قيم السماء، والترفع على حواجز المصلحة والقومية واللغة والعنصرية والإقليمية، والالتقاء على صعيد الإيمان بالله والحق والحرية والعدالة والمساواة، فدعوة التوحيد الحقيقية هي:

المساواة في عالم يسوده الحق، وتنعدم فيه قيم الضلال، وترتفع قيمة التسليم لله وحده دون أي نوع من الاستعباد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

فالعقل والفطرة ورسَل الله وكتبه قد بيَّنت سبيل الرشد للإنسان ولا حاجة لإكراه الإنسان على سلوك الصراط السوي إذا تمسك بحريته وإنسانيته^(٣)، والحكم الإسلامي -وكما أوضحنا سابقاً- قائم على مبدأ العدالة، والذي يقتضي وضع الأنظمة التي تأمر بالمساواة ورفع التمييز تماماً ونشر ثقافة احترام حقوق الآخرين، والأهم من ذلك هو استقلال القضاء وإعطاء الأهمية اللائقة به، وذلك من أركان النظام ومؤسساته ومن مقومات الأمة أيضاً، فالقضاء الحق -ووفقاً لآراء السيد المدرسي- هو الذي يقدر على أخذ حق الضعيف من القوي، بل وعلى الانتصاف لأبناء الأمة من السلطة^(٤).

(١) نقلاً عن: د. نواف كنعان، حقوق الإنسان في الإسلام والمواثيق الدولية والدساتير العربية، مصدر سابق، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٣) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه القضاء وأحكام الشهادات، مصدر سابق، ص ١٢.

ثالثاً: الحق في المحاكمة العادلة

أشار السيد المدرسي إلى حق الإنسان في محاكمة عادلة في كتاباته منطلقاً من كون الحرية نعمة إلهية لكل إنسان، ولا يجوز العدوان عليها ولا يجوز تحديدها إلا حسب أحكام الشرع التي تُنظّم حدود حرية الناس فيما بينهم^(١)، وبما أن كرامة الإنسان يجب أن تكون مصانة في الدولة الإسلامية انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾^(٢).

فإن الإنسان يبقى بريئاً حتى تثبت إدانته، وعندئذ يعاقب وفق الشريعة، ولا يجوز الإسراف في استخدام القوة ضد الخارجين عن حدود الشرع لقوله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾^(٣).

ويحرم إيذاء الناس أو ترويعهم أو إلحاق الأذى بهم وبممتلكاتهم أو سمعتهم إلا وفق الأحكام الشرعية الثابتة، وكما لا يجوز إنزال العقاب الجماعي بحق الآخرين إلا أن يثبت اشتراكهم في الجريمة وملاحقة المجرم المسؤول عن الجريمة وإنزال العقاب به لجرمه^(٤)، والسيد المدرسي أشار إلى أن الشريعة الإسلامية قد وضعت حدوداً لكيفية تعامل القاضي مع من يترافع عنده، ولعل أهمها ما يأتي^(٥):

- ١- ينبغي أن يساوي القاضي بين المتخاصمين من حيث الإكرام والاحترام وآداب اللقاء والاستقبال، فيساوي بينهما في إلقاء التهمة وردّها، وفي مكان الجلوس، والنظر إليهما، والتحدث معهما، والاستماع إليهما، وطلاقة الوجه، وغير ذلك من الآداب الاجتماعية.

(١) محمد تقي المدرسي، المصدر السابق نفسه، ص ٦١.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٢٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٦.

(٥) محمد تقي المدرسي، فقه القضاء وأحكام الشهادات، مصدر سابق، ص ٣٥.

٢- يجب مراعاة العدل في إصدار الحكم، وذلك بأخذ حقوق الطرفين بشكلٍ مساوٍ في الاعتبار.

رابعاً: الحق في الحرية

إن الحق في الحرية -وكما أوضحنا سابقاً- مقدس ولا يجوز لأحد أن يعتدي على هذا الحق، ومن ثمَّ على الدولة توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، إلا أن التمتع بالحرية لا يقتصر على صورة واحدة وإنما ينعكس من خلال صور عدة، ومنها:

١- الحرية الشخصية

يرى السيد المدرسي أن من متطلبات الحرية الشخصية للإنسان هو حمل قوله وعمله على الصحة، فلا تتمكن السلطات من الإساءة إليه؛ بسبب قول أو عمل صدر منه، فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته وفقاً للأحكام القضائية الصالحة^(١)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يجوز اختراق حرمة منزل الإنسان، فقد حرم الله سبحانه وتعالى حدود بيت الناس فلا يجوز تجاوزها من الآخرين إلا بإذن شرعي.

فحرمة كل مسلم مكفولة شرعاً ولا يجوز اختراق حرمة والتسلل إلى بيته أو الاستماع إلى مكالماته أو تفتيش رسائله من أي كان؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يُجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٢).

٢- حرية الاعتقاد

إن حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية هي من الحريات التي أكد عليها السيد المدرسي، من تفسيره للآية الكريمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣).

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، مصدر سابق، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

فالله سبحانه وتعالى منع إكراه الناس على اعتناق الدين دون قناعة ورضا، وعلاقة المسلمين مع غير المسلمين تتحدّد ضمن شروط التوافق، ولهم الحرية في ممارسة شعائرهم غير المخلة بالمبادئ الأساسية للقرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة^(١).

٣- حرية التعبير والرأي

لقد طالب السيد المدرسي في كثير من كتاباته على ضرورة إعطاء الإنسان الحق في إبداء رأيه والتعبير عنه، وألا يكون طوعاً وأداة تنساق إلى آراء الآخرين دون أن يكون له الشجاعة في إبداء رأيه وتبادل خبرته مع خبرات الآخرين وآرائهم للوصول إلى الرأي الحكيم الصائب^(٢).

والسيد المدرسي ينطلق في هذه الحقيقة من قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

فهذا الواقع القرآني يفتح أمام البشرية الأفق الواسع فيما يخص حرية الرأي، أو أنه يُحدّد النظرية السماوية بشأن حقيقة حرية الرأي، وعلى ذلك يكون الله سبحانه وتعالى هو الأول في تحديد هذه الحقيقة للناس، ولا عجب في ذلك؛ إذ إنه هو المصدر الكريم ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٤)، ولكي تتنوع الآراء وتحدّد الطاقات البشرية ضمن مسيرة ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٥)، وتتبلور من ثمّ التجارب ممّا يُسهّل عملية الوصول إلى الأفضل، والشريعة الإسلامية تُوجب على كل مسلم أن يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٧٢.

(٢) محمد تقي المدرسي، الإنسان وآفاق المسؤولية، مصدر سابق، ص ٩٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٤٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٨٤.

(٥) سورة الانشقاق، الآية ٦.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١﴾.

ومن هنا لا يجوز لأحد أن يحرم غيره من بيان آرائه في أمور الدين والدنيا، والشرعية تكفل حرية الناس في الدعوة إلى خيرهم عبر الكلام مباشرة أو في وسائل الإعلان، وعبر الإضراب والاحتجاجات والتظاهرات، أو عبر وسائل الإعلام المختلفة^(٢).

٤ - حرية التجمع أو الاجتماع

لقد أكد السيد محمد تقي المدرسي أن حرية التجمع والاجتماع يجب أن تكون مضمونة من الدولة الإسلامية ومنصوص عليها في الدستور الإسلامي، فقد جاء في أحكام الدستور الذي يقترحه السيد محمد تقي المدرسي ما يأتي^(٣):

الحكم الثاني: من أحكام الدستور ينص: «يمكن أن يجتمع طائفة من الناس في إطار الوحدة في إقليم ويتفقون على إدارة شؤونهم من دون المساس بالوحدة، وفي إطار التعاون».

الحكم الخامس والعشرون: «يجوز لكل مسلم أن يؤسس أي تجمع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي مغلق أو مفتوح، وإن الفتاوى الولائية تُحدد أحكام هذه التجمعات».

الحكم السادس والعشرون: «أي تجمع تخالف أهدافه الشريعة المقدسة أو تُسبب فساداً سياسياً كالدعوة إلى الحميات الجاهلية أو يرتبط بأعداء الأمة ويهدد استقلال البلاد أو يستخدم السلاح كوسيلة لتنفيذ مآربه، كل ذلك يُعدُّ تجمعاً غير شرعي ويصدر بحقه فتوى شرعية».

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٩.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٧١.

الحكم السابع والعشرون: «حق الاجتماع والتظاهرات والاعتراض بالطرق السلمية، حق مكفول شرعاً لكل مسلم».

٥ - حرية المشاركة في الحياة العامة

انسياقاً مع حرية المشاركة في الحياة العامة يتحدث السيد المدرسي قائلاً: «لقد كرس الوحي قاعدة المشاركة السياسية ومسؤولية كل فرد من أبناء الأمة في:

أ- الصلاح والإصلاح لقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١).

ب- أسس مبدأ الوحدة القائمة على قاعدة الميثاق الاجتماعي لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢).

ج- رسخ مبدأ مواجهة الانحراف في الحياة السياسية بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٥١) الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٣).

ويرى السيد المدرسي أن المشاركة في الحياة السياسية واجب كل مسلم وحقه انطلاقاً من قول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ولا يجوز حرمان أي مسلم عن حقه في الترشيح لأي منصب يملك مؤهلاته^(٤)، ولقد أكد السيد المدرسي أن الإسلام قد جعل صلاحية تولي الوظائف العامة مباحة لكل من له الكفاية والمؤهلات الشرعية، وعلى الدولة أن

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٤ - ١١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية ١٥١ - ١٥٢.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٩.

تُوظَّف لمناصبها أصحاب الكفايات والأمانة من دون تمييز بين طائفة وأخرى، وفرد وآخر، وعند تساوي الأفراد في الكفاية والقدرة ينبغي اعتماد القرعة بين طالبي المنصب الواحد^(١).

نمّا تقدّم نلاحظ أن السيد المدرسي قد جعل حق الترشيح والانتخاب للمسلمين فقط، وهنا يرد التساؤل التالي: ما هي حقوق غير المسلمين في الترشيح والانتخاب؟ يجيب السيد المدرسي عن هذا التساؤل قائلاً:

«إن الدين الإسلامي يُقرّر أن الرباط الذي يجمع أفراد المجتمع في الإسلام ليس هو الحدود الجغرافية، ولا اللغة ولا الدم ولا العنصر، كذلك ليس المذهب ولا الحزب ولا الاتجاهات السياسية بل هو رباط الإيمان، فالمؤمنون حيث كانوا وكيف كانوا ومتى كانوا أمة واحدة لهم وعليهم كل حقوق الدولة الإسلامية وواجباتها»^(٢).

ويستطرد قائلاً: «فكما أن دول العالم اليوم تقوم على أساس (التوطنة الجغرافية) فإنها تعد غير أهلها أجنبيّاً، أو على أساس (اللون والعنصرية) فلا تعطي غير الأبيض إلّا مقاماً ثانوياً، كما أن الأحزاب السياسية لا تقبل إلّا من سجد لمبادئها، والأحزاب المبدئية لا تقبل إلّا من اقتنع بأفكارها وتبناها، فكذلك الحكومة الإسلامية لا تقبل إلّا من آمن بمبادئها»^(٣).

وانسياقاً مع ما تقدّم فالسيد المدرسي يُوجّه انتقاداً إلى الحكومات التي تنتقد طائفة من الأحكام الإسلامية فيقال:

«إن الإسلام يُميّز بين المسلم وغيره في الحقوق؛ لأنه يعطي لهذا حقاً ولا يعطيه لذاك، أو أنه يفرض الجزية على أهل الذمة ويحرم عليهم ممارسة طائفة خاصة من التقاليد الدينية، أو أنه لا يقبل منهم رئيساً ولا يتخذ منهم وليّاً ولا نصيراً»، فمن وجهة نظره أن الإسلام حين يشرع هذه القوانين بشأن أهل الذمة

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٧.

(٢) محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٣٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

يعدّهم أجنباً في الدولة الإسلامية ولو كانوا مثبتين بالأرض من عهد نبينا آدم عليه السلام، إذ إن لكل حكم مقياساً يميّز به المواطن عن الأجنبي ولا يمكن أن يقوم حكم بغير هذا المقياس، وبما أن الله كان قد علم أن مقاييس الدم واللون واللغة والحدود وما أشبهه، لا تفيد إذ إنها تجر البشر إلى الويل والدمار، وبما أن الله الخبير العليم أعلم بذلك فإنه برّاً شريعته منها وأنكر هذه المقاييس جميعها، وجعل المقياس الأول والآخر هو (التسليم المطلق لله) وتفويض الأمر إليه لأنه رب البشر وإله الخلق أجمعين، فهو أحق بالطاعة من كل معبود، فلذلك جعل الإسلام هذا الأمر هو المقياس لأنه ينطلق من المبادئ الآتية^(١):

- ١- مقياس معنوي يرفع الإنسان إلى ما فوق المادة واختلافاتها الرخيصة.
- ٢- لأن بوسع كل أحد أن ينضم إليه إذا رآه حسناً، ومن هنا أمر الدين أن يأخذ من أهل الذمة (الجزية) كحق لقاء توفير الإقامة والأمن لهم ويُسقط عنهم صلاحية الانتخاب فلا ينتخبون ولا يرشحون بعد أن أعفاهم الإسلام من الخدمة العسكرية وأداء الضرائب الأخرى التي يدفعها المسلمون، فهم أجنب، ولكنهم أحرار فإن شاؤوا دخلوا في الدين وأصبحوا مواطنين.
- ٣- إن ملاك الانتخاب وشرط المُنتخب والمُنتخب هو (الإيمان والتقوى) ليتمكن العمل بشريعة الله والوفاء لها، ومتى يمكن أن تتوافر مثل هذا فيمن لا يعتنق الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً؟.

وقد لا يتفق الكثير من المفكرين الإسلاميين المعاصرين مع هذه الآراء للسيد المدرسي، إذ إن أغلبهم ركنوا إلى مبدأ المواطنة في تحديد حقوق المسلمين وغير المسلمين داخل المجتمع^(٢).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩.

(٢) للمزيد انظر:

د. أمل هندي الخزعلي، المواطنة: دراسة نظرية تطبيقية، ط ١، بغداد، دار الفراهيدي،

٢٠١٢م، ص ٥.

٦ - حرية الانتقال والسكن

لقد تطرّق السيد المدرسي في كتبه عن حرية الانتقال والسكن جاعلاً هذا الحق منحة من الله سبحانه وتعالى للإنسان^(١)، فقد سخر الله سبحانه وتعالى للإنسان ما في الأرض وأباح له السكن في أية أرض يرتضيها لقوله تعالى: ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾^(٢).

ومنح حرية السفر والهجرة وربما أوجبها فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٣).

فالبلاذ الإسلامية واحدة ويجوز لكل مسلم أن ينتقل بينها بحرية وأن يختار المكان المناسب لسكنه دون اعتراض من أحد، كما يجوز لكل مسلم أن يسافر من البلاد ويعود إليها، كما يجوز له الهجرة الدائمة إلى الخارج^(٤)، كما يجوز لمسلمي الآفاق الهجرة إلى البلاد الإسلامية والسكن فيها بلا قيود، كل ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٥).

مما سبق نلاحظ أن السيد المدرسي يؤكد على حرية حركة الإنسان في الأرض من دون أن تمنعه التقسيمات السياسية (الحدود) الحالية بين الدول، ومن يتأمل هذا الموقف للسيد المدرسي وفقاً لمعايير القوانين الوطنية والدولية المعمول بها في الوقت الحاضر (بخصوص الحدود الجغرافية لكل دولة وأيضاً آلية السفر ومنح

(١) محمد تقي المدرسي، فقه المصالح العامة، مصدر سابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية ٩٧.

(٤) محمد تقي المدرسي، مبادئ الحكمة بين هدى الوحي وتصورات الفلسفة، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

(٥) سورة الملك، الآية ١٥.

الجوازات)، يرى استحالة تحقيقه، ولكن نأمل أن يكون حقيقة مستقبلاً ولو في الدول الإسلامية فقط.

خامساً: الحق في الزواج و تكوين أسرة

أشار السيد محمد تقي المدرسي إلى هذا الحق بقوله: «كل إنسان رجلاً كان أو امرأة له الحق في الزواج في إطار مبادئ الشريعة الإسلامية ولا بد من تشجيع سنة الزواج في المجتمع المسلم وتوفير وسائله»^(١).

وقد تضافرت تعاليم النبي ﷺ بالتأكيد على استحباب تزويج العزاب، ومن وسائل التزويج^(٢):

- أ- تيسير شروطه من تبسيط المعيشة وتسهيلها وتقليل المهور وتخفيف مراسيم الزواج.
- ب- توفير السكن المناسب والرخيص لأبناء المجتمع كافة، وهذا ينحصر في مسؤوليات الدولة.

كما ينبغي للأسرة الحصول على الولد، فإن لم يكن بالإنجاب فالتبني لأنه قرة عين الأسرة، كما يؤكد السيد المدرسي على ضرورة التشجيع على الإنجاب ليضحي المجتمع شاباً مقتدراً عزيزاً يواجه الأخطار التي تُهدد بالأمّة، وتحظى بقوة بشرية تدافع عن كيانها^(٣). ويضع السيد المدرسي على كاهل الدولة الاهتمام بالأسرة والطفولة والأمومة بوصفها الحجر الأساس لنمو الإنسان مادياً ومعنوياً^(٤).

(١) محمد تقي المدرسي، تأملات في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٣٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، مصدر سابق، ص ٢٣.

(٣) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١١١.

سادساً: حقوق الفئات المستضعفة

يرى السيد المدرسي أن الفئات المستضعفة في المجتمع الإسلامي هم العبيد، وبما أن العبد وإن كان خاضعاً لمولاه من وجهة النظر القانونية، إلا أنه يتمتع بحقوق خاصة ينبغي أن ينالها، فهو مهما يكن يبقى إنساناً ذا حرمة كسائر الناس، وليس هو من جهة الحرمة الإنسانية بأقل مرتبة من الآخرين، وعلى المولى أن يعرف بأنه ليس الخالق للعبد ولا هو الرزاق له^(١)، ومهما يكن فإن قضية الرقيق قد مُسخت في الوقت الحاضر وقد قضى عليها الإسلام بشكل تدريجي من طريق التحريض على تحريرهم في مختلف المناسبات، ولكن التقسيمات الطبقية الاجتماعية لا تزال قائمة في كل المجتمعات بأشكال مختلفة، وكل ما يقال عن حقوق العبيد يصدق بالنسبة للفئات الاجتماعية الأدنى مرتبة والأضعف قدرة بالقياس إلى الطبقات الأخرى^(٢)، ويرى السيد المدرسي أن الدول المتقدمة إذا ما قيست بالدول المتأخرة فإنه تنطبق عليها الحالة نفسها، ولذلك كان عليها أن تستغل وتستفيد من تطورها وذخائرها الاقتصادية لمزيد المساعدة للدول الضعيفة والفقيرة بشكل يعود عليها بالفلاح يوم القيامة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرجل في نطاق الأسرة الواحدة الصغيرة يجب أن يستفيد من قوته واقتداره ومشروعية قيموميته بصورة شرعية صحيحة، فلا تنتهي به إلى حالة من التفرعن والتكبر^(٣).

ويرى السيد المدرسي أنه بالإمكان الإفادة من التحرير في العصر الراهن، ففي كل يوم نرى أفراداً في المجتمع يتعرّضون إلى الانتكاسات الاقتصادية والعجز

(١) محمد تقي المدرسي، تأملات في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٥.

(٣) محمد تقي المدرسي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٣٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م، ص ٥٠.

المالي جرّاء ما يترتب عليهم من صكوك مصرفية لا رصيد لها، أو ما يتوجّب عليهم من ديون ثقيلة يعجزون عن تسديدها، الأمر الذي ينتهي بهم إلى المحاكم والسجون، ولذلك فإنّ الخيرين من أبناء المجتمع باستطاعتهم إنقاذ هؤلاء الناس من الفضيحة أو الحبس ومواجهة المشكلات النفسية فيسدّدون عنهم ما يتعلّق بذمتهم، إذ يُعدُّ هذا العمل أشبه شيء بالعتق والتحرير^(١)، إذ لا يجوز اعتقال المفلس لحساب غرمائه لقول الرسول ﷺ: «المفلس في أمان الله»^(٢).

المطلب الثاني: الحقوق والحريات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

أولاً: حرية العمل

حرص السيد محمد تقي المدرسي على تأكيد حرية العمل فقد وصف أن قيمة الإنسان ما يُحسّنه، وسعيه ميزان جزائه لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾^(٣) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٣٩﴾.

ولا شك في أن الإنسان يلقي نتيجة ما يعمل من خير أو شر لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٤) ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥).

ويختلف الناس في اختيار مساعيهم ويتفاضلون في مستوى قدراتهم ليتكاملوا وليُسخر بعضهم بعضاً من أجل عمارة الأرض إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَهْمَرِ يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٥).

(١) محمد تقي المدرسي، تأملات في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ص ٧٣.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ٨٦.

(٣) سورة النجم، الآية ٣٩ - ٤١.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان ٧، ٨.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٣٢.

انسياقاً مع ما تقدّم يرى السيد المدرسي أن على الدولة الإسلامية حماية الطبقة العاملة من البطالة والاستغلال، كما أن عليها توفير فرص العمل حسب حاجة البلاد، ووضع أحكام تُحدّد العلاقة بين العامل ورب العمل، وتأمين مستقبل العمال ومسكنهم، وتحديد ساعات العمل وأيام العطلة وحقوق التقاعد^(١)، ولا يجوز السُّخرة إلاّ عندما يهدّد الأمة خطر داهم، ممّا يقتضي حشد طاقات البلاد كلها لدفع الضرر البالغ.

ولا يجوز تسخير الأطفال للشغل^(٢)، ويجب أن يقترن العمل بالتقوى لسببين^(٣):

الأول: أن التقوى ليست فقط تدفعك إلى العمل وإنما تُوجد فيك تلك الدوافع المباركة التي تدعوك إلى الاستمرار في العمل.

الثاني: أن التقوى تُصحّح العمل، فالعمل إذا كانت وجهته باطلة فإنه قد يكون كبيراً ومفيداً في الظاهر ولكنه في لحظة واحدة يتحطم، وقد أباح السيد المدرسي حرية العمل للرجل والمرأة على حدّ سواء (مع حفظ الحجاب الشرعي من المرأة)، ويرى السيد المدرسي أن القرآن الكريم يؤكد أن الرجال قوامون على النساء، ولكن بماذا؟!

يقول: بما أنفقوا من امواهم؛ بسبب ما تفضّل بعضهم على بعض بالعمل، فإذا كانت هناك امرأة كاتبة ورجل كاتب ولكن كتابة الرجل كانت أقل قيمة علمية من كتابة المرأة، فإننا لو قدّمنا الرجل في هذه الحالة نكون قد كفرنا بقيمة التقوى والعمل الصالح؛ لأن الإسلام حين يضرب القيم الفاسدة في المجتمع فإنه يضع لجهود الناس حصناً، فجهودك في المجتمع، الذي تسود فيه القيم الفاسدة، لا يمكن لها أن تثمر؛ لأنك مهما عملت واجتهدت فإن نتيجة عملك

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٤.

(٣) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، مصدر سابق، ص ٥٩.

ستكون للآخرين^(١).

هذا العمل يُبرر لنا هجرة العقول من العالم الثالث إلى الخارج لأنهم لم يحظوا بالتقدير والاهتمام في مجتمعاتهم^(٢).

ثانياً: حق التملك

من وجهة نظر السيد المدرسي أن الإسلام أقر حق التملك سواء أكان فردياً (خاصاً) أم جماعياً (عاماً)، إذ عدّ الآيات القرآنية التي تتحدث عن البيع والدين والتجارة والإرث دالة على الملكية الفردية، فقد صان الدين ملكية الناس وأمر بصونها بحجج بالغة الدقة لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ بِحُكْرَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٣).

وإنما يجدر أخذ مال الناس بحكم شرعي واضح لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٥).

ويترتب على هذه الأحكام القرآنية عدة أمور هي على النحو الآتي^(٦):

أولاً: كل فرد له حق امتلاك ما يكسبه من أعيان أو منافع.

(١) محمد تقي المدرسي، قيم التقدم في المجتمع الإسلامي، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عجلت علائهم، ١٣٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م، ص ٧١ - ٧٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٩.

(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

(٥) سورة الذاريات، الآية ١٩.

(٦) محمد تقي المدرسي، الفقه الإسلامي، ط ١، كربلاء المقدسة، دار المدرسي للطباعة والنشر، ١٣٩١ هـ، ص ٩٨ - ٩٩.

ثانياً: لا يجوز انتزاع ملكية أحد إلا حسب فتوى شرعية ولمصلحة عامّة وبعد التعويض المناسب، كما لا يجوز التجسس على ما يملكه الشخص إلا لمصلحة عامة وبعد صدور حكم قضائي.

ثالثاً: كل مسلم يملك ما يشاء حسب الأحكام الشرعية في أنحاء الدولة الإسلامية كافة، أما غير المسلمين وغير المواطنين في البلاد الإسلامية فيملكون وفق الفتاوى الشرعية التي تميز لهم ذلك حسب المواثيق والمعاهدات المتبادلة والتي تخضع للمصالح العليا للأمة^(١).

رابعاً: على كل مواطن في الدولة الإسلامية أن يدفع ما تفرضه عليه الدولة من الحقوق الشرعية حسب الأحكام الثابتة (كالزكاة) أو المستحدثة (كالضرائب الضرورية)، ولا يجوز جباية أي مال دون فتوى شرعية، ولا بد أن تراعى العدالة وحرمة الأضرار في جباية الضرائب^(٢).

ثالثاً: الحق في الضمان الاجتماعي

إن الحق في التكامل الاجتماعي والضمان الاجتماعي يُؤمّن حياة الناس ضمن إطار المجتمع مادياً ومعنوياً، ويتم توفير هذا الضمان من خلال عدة مستويات منها المجهودات الوطنية المالية وغيرها، وبهذه الحالة توافر الدولة لأفراد المجتمع الاتفاقات والإمكانات لتأمين مستلزمات حياتهم، وبهذا الشكل نرى الدولة تسعى لإقامة نوع من التكامل بين أبناء المجتمع، كما تُعنى بحماية الأفراد من الفقر والعوز وضمان معيشتهم عند العجز عن العمل، وإيصال الخدمات إلى أكبر عدد من المواطنين^(٣).

(١) محمد تقي المدرسي، تأملات في رسالة الحقوق للأمام علي بن الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ص ١١٦.

(٢) محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي، مناهجه ومقاصده، ج ٨، مصدر سابق، ص ٦٣.

(٣) أمير موسى، حقوق الإنسان مدخل إلى وعي حقوقي، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤م، ص ١٩٩.

ويؤكد السيد المدرسي على قانون التكافل الاجتماعي والضمان الاجتماعي بوصفه من القوانين التي تُحافظ على ديناميكية المجتمع، فالفقراء والمساكين وذوو الحاجة، أو الذين أَلَمَّ بهم مرض ما، أو شيخوخة أصابتهم، يجب أن تنشأ لأجلهم جميعاً مؤسسات خاصة تقوم برعايتهم، وهذا القانون سوف يجلب الاطمئنان للفرد فيما يخص مستقبله، ومن ثم يُؤدّي إلى زيادة إنتاجه، فضلاً عن إشاعة روح التراحم بين أفراد المجتمع^(١)، فالمجتمع الإيماني - عند السيد المدرسي - هو المجتمع الذي يتماسك أبنائه بأصرة الولاء الواحد، والثقافة المشتركة، إذ يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما أن الشعائر الواحدة تزيد ترابطهم (كالصلاة)، و(الزكاة) بدورها فريضة إلهية تُقيم المجتمع وتنشر روح العدالة والتكافل الاجتماعي^(٢).

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

رابعاً: حرية التجارة والصناعة والزراعة

أشار السيد محمد تقي المدرسي إلى أن الشريعة الإسلامية أكدت انتهاج العدالة في كل مناحي الحياة، وبالذات في الناحية الاقتصادية، ويترتب على ذلك عدة أمور أهمها:

أ- الاقتصاد في الدولة الإسلامية قائم على أساس العدالة في توفير فرص العمل وفي توزيع الثروة، اعتماداً على أن ما في الأرض مسخر لكل البشر، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^(٤).

(١) محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقات وأهدافه، مصدر سابق، ص ١٩.

(٢) محمد تقي المدرسي، بحوث في القرآن الحكيم، ط ٤، قم المقدسة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٦ م، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ
الْشُّورُ﴾^(١).

والأحكام الشرعية الثابتة والفتاوى الولائية المتغيرة تُحدد طبيعة الاقتصاد حسب الأحوال، وهكذا تُحدد أحكام التجارة الخارجية والداخلية حسب متغيرات المصالح العامة، وتنظم في أحكام تشرع على أساس المبادئ الإسلامية السامية.

ب- السياسة المالية وإصدار النقود وطبيعة البنوك اللاربوية ودورها في التنمية للموارد الاقتصادية، كل ذلك يتحدد حسب مبادئ العدالة والحرية والتنمية التي تُقرّر مفرداتها الفتاوى الولائية بعد اقتراحها من المختصين.

ج- على الدولة الإسلامية وضع خطة حكيمة وشاملة من أجل التنمية الاقتصادية في مختلف الحقول الزراعية والصناعية (سواء الثقيلة منها والخفيفة) والتجارية والمعدنية، ويتم وضع الخطة وفق مبادئ الأمن الاقتصادي والاكتفاء الذاتي ومواكبة تقدم الأمم وكرامتها، حسب سياسة الانفتاح والمنافسة الحرة، ومع اعتماد استقلال الأمة وكرامتها^(٢).

خامساً: الحق في التربية والتعليم والثقافة السليمة

يعد السيد المدرسي التربية تسبق التعليم، ويجعل عمادها التبتّل والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى، فعندما يُصبح العالم قمة المجتمع الإيمانى لقوله تعالى: ﴿قُلْ

(١) سورة الملك، الآية ١٥.

(٢) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٧٦ - ٧٧. للمزيد راجع:

- محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٦، مصدر سابق، ص ١٥١، ص ١٨١.

- محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٩، مصدر سابق، ص ٨٠.

- محمد تقي المدرسي، تأملات في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ص ٩١ - ٩٢.

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾.

سيكون هذا المجتمع صالحاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو يعد التربية والتعليم من أولى مهمات الرسول ﷺ إذ مَنْ الله بهما على المؤمنين لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

وانسياقاً مع الآيات الكريمة السابقة فقد أوضح السيد المدرسي مجموعة من الحقوق المتعلقة بالتربية والتعليم والثقافة السليمة تدرج كالآتي (٣):

أ- الدولة الإسلامية تسعى بكل جهد من أجل تنمية الأمة في التربية والتعليم، وتضع بالتعاون مع مراكز الدراسات المتخصصة استراتيجية ثقافية علياً تُنفَّذ عبر المراكز والمدارس التعليمية، والوسائل الإعلامية والمنابر التوجيهية، عبر الكتب والفنون المختلفة، وترمي الثقافة إلى النهوض بالأمة حضارياً بعيداً عن الحميات الجاهلية وعن التطرّف وعن مؤثرات الثقافات الدخيلة.

ب- من واجب الدولة تجاه أبنائها توفير فرص التعليم، وحسب المقدور تتحمّل الدولة تكاليف التعليم.

ج- لا فرق في التعليم بين الذكر والأنثى، والمدني والقروي، ولا بين مواطن مسلم وغيره.

(١) سورة الزمر، الآية ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

(٣) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٠٠ - ص ١٠١، للمزيد راجع:

- محمد تقي المدرسي، معالم التربية الإسلامية، مصدر سابق.

- محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٨، مصدر سابق، ص ٣٥٢.

- محمد تقي المدرسي، العرفان الإسلامي بين نظريات البشر وبصائر الوحي، ط ٣، بيروت، دار البيان العربي، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م، ص ٦.

- د- يجوز أن تتغير مناهج التعليم غير الأساسية من منطقة لأخرى، كما يجوز تغيير لغة التعليم حسب المناطق المختلفة.
- هـ- مناهج التعليم تتناسب مع الثقافة الإسلامية وحاجات البلاد وأعرافها، وتفتح على تجارب الحضارات البشرية.
- و- التعليم من واجب الدولة، ويجوز للهيئات الخاصة أن تؤسس المدارس والمعاهد والجامعات حسب الشروط التي تقرها الدولة.
- ز- التقدم العلمي من مسؤوليات الأمة، وعلى الدولة الإسلامية أن تضع برامج للتطوير العلمي والاكتفاء بالقدرات الذاتية في مختلف المجالات، ومن تلك البرامج تشجيع مراكز البحث، وحماية المخترعين، وتوفير فرص الإبداع للجميع، ووضع آلية في المجتمع لدفع عجلة التقدم إلى الإمام.
- ح- التقدم الثقافي والأدبي والفني من أهداف المجتمع المسلم، وعلى الدولة الإسلامية الاهتمام الجدي بتطوير مصادر الثقيف ومراكز الفن والأدب.
- ط- الثقافة السليمة من أهداف المجتمع المسلم ومن مسؤوليات الدولة، وعلى الدولة الإسلامية التخطيط لتنمية وتطوير ونشر الثقافة عبر كل الوسائل المتاحة كالإذاعة والتلفاز ودور النشر ودور السينما والمسرح وسائر الفنون النافعة، وتشجيع العاملين فيها والمبدعين في حقولها المختلفة، كل ذلك بهدف نشر الفضيلة والتقوى والروح الحضارية، وتمثل الثقافة السليمة في الأفكار التي تستوحي من الشرع القيم المثلى ومن العقل تطبيق تلك القيم على حقائق الحياة، ومنها الحقائق الآتية^(١):

(١) محمد تقي المدرسي، الابتلاء مدرسة الاستقامة، ط ٥، قم المقدسة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م، ص ٧٤ - ٧٥.

- ١- فهم التحديات التي تُواجه الأمة وكيفية التعامل معها.
- ٢- معرفة التيارات الفكرية التي تحتاح العالم، وما فيها من النفع أو الضرر تمهيداً للتعامل السليم معها.
- ٣- النهوض بالأمة وتفجير طاقاتها الكامنة لتحقيق هدف التكامل والمسارة إلى الخيرات.
- ي- الإعلام السليم يخدم أهداف الأمة، ومنها الأهداف الثقافية، ولا بد من تنمية الإعلام وكفالة حريته في إطار قيم الأمة المثل^(١).

سادساً: حق التمتع ببيئة سليمة

إن التمتع ببيئة سليمة حق لكل إنسان، فالطبيعة مملكة الربّ التي سخرها للإنسان واشترط عليه ألا يفسد فيها، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢).

ومن خلال هذا الحق ينطلق السيد المدرسي موضحاً أن على الدولة الإسلامية أن تهتم بإصلاح البيئة والمحافظة عليها، ويجعل مسؤوليات الدولة والأمة الإسلامية في هذا المجال الآتي^(٣):

- ١- الاهتمام بالغابات والحقول وأنواع الحيوانات، لا سيما الوحشية منها.
- ٢- الاهتمام بنظافة المياه.
- ٣- الاهتمام بحفظ البيئة من التلوث الهوائي والضوضائي والإشعاعي والموجي.

(١) محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦٥. للمزيد راجع:

- محمد تقي المدرسي، الإمام الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة، مصدر سابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

(٣) محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، مصدر سابق، ص ١٦٦.

- ٤- على الدولة الإسلامية الإسهام الفعّال في أنشطة المنظمات والجمعيات الدولية المهتمة بسلامة الأرض من كل ما يُسبّب التلوث البيئي، والاشتراك في الاتفاقات الدولية والإقليمية التي تحافظ عليها.
- ٥- على الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية حفظ الأجواء الاجتماعية من التلوث الأخلاقي.

وختاماً لهذا الفصل فإننا نرى أن السيد المدرسي قد أكد على أن الله سبحانه وتعالى قد تفضّل على عباده فجعل للناس حقوقاً تُؤدّي له، وكفله بأداء حقوق الله سبحانه وتعالى وللآخرين، فالإسلام كفل للمسلمين مجموعة من الحقوق والحريات العامة تُنظّم حياتهم اليومية بما يبعث السعادة لهم في الدنيا والآخرة إذا ما رعوا حقوق الآخرين، وقد حدّد الإسلام مجموعة من الضوابط التي تُحدّد الحقوق وتحوّل دون تحوّلها إلى أداة لهدم الفرد والمجتمع، تمثّلت بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتربية والعقوبة، أما عن ضمانات حقوق الإنسان فكما هو معروف فالحديث ينصرف إلى الضمانات القانونية، والسيد المدرسي وضع مسودة لدستور وقد ضمنه مجموعة من الحقوق والحريات العامة في مجال الاقتصاد والبيئة وحياة وكرامة الإنسان والمشاركة السياسية وحرية الانتقال والسكن والملكية الشخصية والتربية والتعليم والعمل والصحة العامة والأسرة والمواثيق الدولية.. وغيرها، وقد جعل ممارسة تلك الحقوق والحريات مكفول من الدولة، للحفاظ على كرامة جميع أفراد الأمة على حدّ سواء.



الخاتمة

بعد أن بدأت هذه الدراسة بالفصل الأول الذي خُصّص الحديث فيه عن شخصية السيد محمد تقي المدرسي والجانب السياسي عنده، بحثنا وبصورة معمقة في مسائل مهمة وهي:

١- تعد البيئة الأساس الفكري للسيد محمد تقي المدرسي، فما دامت هي الأساس فهي حتماً مؤثرة، ففي هذه البيئة ولد ونشأ ودرس، وهذه البيئة هي بيئة المرجعية الدينية، وكانت رؤيته تنطلق من هذه البيئة، فولد ونشأ وترعرع فيها، فهو من أسرة علمية عريقة، فوالده السيد محمد كاظم المدرسي الذي عرف في وسط الحوزات العلمية بكرّ بلاء المقدسة ومدينة مشهد المشرفة فقيهاً وعالمًا وعارفاً وأستاذًا للمعارف الإسلامية، جدّه الأعلى السيد محمد باقر المدرسي كان مرجعاً للتقليد في زمانه، وجدّه السيد محمد جواد المدرسي كان أستاذًا في الفقه والأصول، أما من جهة الأم فإن السيد محمد تقي المدرسي ينتمي إلى أسرة الشيرازي التي كان لها دور كبير في الجهاد والعلم لأكثر من قرن من الزمن، فقد اشتهر فيها سبعة مراجع تقليد وخمسون عالمًا من علماء الدين أبرزهم (المجدد الميرزا السيد حسن الشيرازي) و (الميرزا محمد تقي الشيرازي) و (المجدد السيد محمد مهدي الشيرازي).

٢- يعد السيد محمد تقي المدرسي من المجددين في القضايا الدينية والفكرية والثقافية التي شغلت بال العلماء والمفكرين والمثقفين، فقد أسهم في عملية التجديد والتحديث التي ظهرت في حوزة النجف الأشرف، فكان مناصراً لتيار التحديث في المواد الدراسية التي كانت تدرس آنذاك، فكانت رؤيته أن تُعاد صياغة المنهج على أساس متطلبات العصر الذي يقضي ألواناً من المعرفة، وأيضاً يعد من المجددين في مجالات وحقوق الاجتهاد، ورؤيته هو أن الفقيه يجب أن يكون مُلمّاً بقضايا عصره، ومشكلات البشر المعاصرين، في قضايا البيئة وقضايا التنظيم المجتمعي في الحقوق كافة وتفاعلات المجتمع مع الطبيعة ومجالات كثيرة موجودة، لأن الشريعة الإسلامية ليست قوالب جامدة، كما أنها ليست كلها أحكام نهائية، كما أنها ليست كلها أحكاماً محدودة بجيل من الأجيال وعصر من العصور.

٣- ويعدّ السيد محمد تقي المدرسي زعيماً سياسياً ومفكراً إسلامياً ومنظراً حركياً، فقد تجلّت زعامته السياسية في تصديه للعمل في مختلف الأبعاد للقضية العراقية، سواءً عبر تأسيس واجهات سياسية أم على شكل إرشادات وتوجيهات معارضة لنظام حكم صدام حسين، فخلال فترة السبعينات من القرن العشرين أصبح نشاطه نشاطاً ثقافياً تنظيمياً سياسياً، أما العمل السياسي فقد تجسّد في طرح النظرية السياسية الإسلامية وتوضيح معالمها والعمل من أجل تنفيذها على الأرض، أما النشاط التنظيمي المتمثل في العمل التربوي وبناء كيان مكون من خلايا متعددة موجهة بخط حركي خاص يعتمد على ثقافة خاصة تنسجم مع روح الدين وحالة المعارضة السياسية، هذه الحالات شكّلت فيما بعد البذور الأولى لتشكيل منظمة العمل الإسلامي في (أواسط عقد السبعينات)، لقد كان يعتقد أن الهدف من تشكيل منظمة العمل الإسلامي هو كسر حاجز الخوف لدى العراقيين وبث الوعي بضرورة مواجهة النظام الظالم واجهزته القمعية، في هذا المجال قامت المنظمة بعشرات العمليات داخل العراق وخارجه، لقد أدّت

هذه الاستراتيجية دوراً كبيراً في إيصال قضية الشعب العراقي إلى مسامع الرأي العام العالمي، لقد اهتم السيد المدرسي بالعمل الموحد مع فصائل المعارضة العراقية، فقد كان دوره سياسياً بالدرجة الأولى، وقد أكد ضرورة التخلص من نظام صدام القمعي، وبعد أن سقط نظام بغداد في ٢٠٠٣م برز السيد المدرسي في الساحة العراقية كأحد الشخصيات التي لديها تصورات معينة للدستور العراقي الجديد والدولة العصرية وداعياً للوحدة بين أبناء الشعب العراقي ونبد الطائفية.

٤- يؤمن السيد محمد تقي المدرسي بأن الدولة ظاهرة سياسية اجتماعية فطرية، منبثقة من مجتمع هو بطبيعته مُتحوّل ومتغيّر، وأن تشريع الدولة ليس جزءاً من التشريع الإسلامي انضم إلى أجزاء أخرى، وإنما هو -فضلاً عن ذلك- نتيجة طبيعية وضرورية للعقيدة والشرعية، وانتقد القراءات التي تقول بأن الدين شيء والدولة شيء آخر، وقال عنها: إنها جانبت الموضوعية؛ لأن الدين يحتم أن تكون الدولة من ضمنه ونتيجة للالتزام بمجموع أحكامه وقوانينه، والدولة هي ظاهرة نبوية (نشأت على يد الأنبياء)، ونتيجة لأمر الله، إذ اقتضت حكمة الله وتدبيره أن تكون النبوة دليلاً ومرشداً لبناء حياة اجتماعية وسياسية رامية، فالدولة ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في جميع الأحوال، وذلك لأن المجتمع الإنساني حاجة نفسية للكائن البشري، فمن البداهة بمكان أن الفرد لا يمكن أن ينعتق من هذه الغريزة، غريزة المجتمع، مهما حاول الانعتاق، لذا فإن الدولة ضرورية في المجتمع الإنساني، وهي تأخذ شكلها ومضمونها من انتهاء الأمة وطبيعة التزامها، فإذا كان انتهاء الأمة إلى الإسلام، كانت الدولة إسلامية ومعبرة عن الرسالة، إذ إنه لا يعقل أن تكون الدولة نتاجاً للرسالة، ولا تكون الدولة إسلامية، وأكد على دور الأمة، لأن تأريخ الإسلام في الحقيقة إذا حذفنا منه تأريخ الأمة، فإن الدولة الإسلامية التي تعقبت على هذه الأمة لا يبقى لها شيء على الإطلاق، ومع أن الدولة ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها، لكنها في الوقت نفسه غير مقدّسة، وإنما الأمة مقدّسة، وهذا

يعني أن الدولة - في ضوء منهجه - ليست شيئاً مقدساً وإنما هي وسيلة لغاية أسمى وأرفع في بناء الدولة، وأن المقدس الأعظم هي الأمة، فقد فنت الكثير من الدول إلا أن الأمة باقية إلى يومنا هذا.

٥- يتفق رأي السيد المدرسي مع أغلب الآراء الإسلامية التي ترى أن الدولة الإسلامية هي دولة عقائدية تركز على الإسلام، وتنطلق منه في تحقيق الرسالة المقدسة التي تحملها، وأنها دولة ذات فكرة شاملة وفلسفة عامة تشمل كل نواحي الحياة الإنسانية، كونها تنطلق من دين كامل وشامل، وتقوم على عقيدة ومنهج، وأنها دولة تعد الإنسانية كلها أسرة واحدة متلاحمة يجمعها الإيمان بالله تعالى، دون اعتبار لجنسية أو قومية أو طبقية؛ لأنه لو كان هناك ثمة اعتبار للجنسية والقومية والطبقية، لما كان ممكناً أن توسم بالعالمية، وتتجاوز كل الانتماءات الضيقة لتكون دولة الإنسان الرسالي المؤمن المنفتح على مجتمعه والعالم، فهذه الدولة ليست مفروضة على المجتمع البشري، وإنما هي دولة واقعية تنبثق عن المحتوى الثقافي للأمة، فإذا كانت الأمة مسلمة وموحدة وملزمة بالإسلام عقيدة وشريعة، فلا بد أن ينعكس هذا الالتزام في صيغة تنظيمية هي الدولة بمؤسساتها السياسية، والإدارية، والقضائية، والتشريعية، والمالية، والاقتصادية وإن أهم ما يميز هذه الدولة عن سائر الدول والتكوينات السياسية، هو تميزها بالخاصية الأخلاقية، ولكون هذه الدولة هي تجسيد لعقيدة وشريعة ورسالة حضارية، فهي ليست مجرد تعبير عن ضرورة الإنسان إلى الدولة لحفظ حياته، واستمرار وجوده، والحصول على خدمات ومكاسب أكثر مما يستطيع أن يحققه بجهد الفرد؛ لأن الدولة قبل ذلك تعبير عن التزام رسالي، ومهمة حضارية، وهذه الدولة ليست مؤسسة جامدة، وإنما هي تتطور وفقاً لتطور المجتمع السياسي الإسلامي، مع الالتزام في الوقت نفسه، بالأسس والمبادئ الثابتة في الإسلام، ومن أهدافها، هي العدالة، لأن من السمات البارزة للإسلام والخطوط العريضة التي وضعها للرفاه والسعادة، هي العدالة والمساواة لجميع

الناس، فهذه الدولة تكفل بحماية المواطن من أية محاولات للقضاء على وجوده (حياته)، أو مستلزمات بقاءه (ماله)، أو مكانته الاجتماعية (شرفه)، وأن تحقق هذه الدولة التوازن المادي والروحي في حياة الإنسان فلا يطغى فيه جانب على آخر، وقد أوكل لتلك الدولة مجموعة من الوظائف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تقوم بها لغرض تحقيق الرفاه والسعادة للأمة.

٦- لا شك في أن إقامة الدليل على ضرورة إقامة الدولة يؤدي بشكل منطقي وضروري إلى إقامة الدليل على ضرورة أن يكون هناك سلطة، لأن السلطة هي عنصر من عناصر الدولة وركن من أركانها، لقد أكد السيد محمد تقي المدرسي على أن مصدر شرعية السلطة والقوانين في الإسلام هو الله تعالى، الذي له الحاكمية المطلقة على الكون والعالم، فالأمة مأذونة من الله تعالى بممارسة السلطة خارج الحقل الذي تحكمه أحكام الشريعة بواسطة وكلائها وممثليها، وأما في الحقل الذي تشغله أحكام الشريعة والذي يحتاج إلى تشريع فقهي إسلامي، فهذا الأمر هو من شأن الفقيه الجامع للشرائط.

فولاية الفقيه لدى السيد المدرسي هي ولاية عامة ومن ثم فالشورى هي عنده غير ملزمة للحاكم الإسلامي، ولكن في حالة لم نتمكن من تحقيق هذه الصورة المثلى من القيادة التي تتمتع بشرعية مطلقة فإن هناك نوعاً من القيادات التي تمتلك شرعية نسبية يعود إليها الفضل في استمرار الحكومة العادلة، وقد أنشأ على هذا الأساس صيغة للحكومة الإسلامية المستجيبة لمتطلبات الواقع الراهن (الوضعي) واصفاً فيها شكل الحكم رئاسياً يعمل إلى جانب الرئيس مجموعة من المؤسسات كهيئة كبار العلماء ومجلس الشورى والقضاء.

٧- أراد السيد محمد تقي المدرسي، من خلال حديثه عن حقوق الإنسان، تأكيد الأمور الآتية:

- أصالة حقوق الإنسان وحياته العامة في الإسلام، مما يعني إطلاقها

لجميع البشر في الدولة الإسلامية - حتى الكفار منهم -، ولا نهوض ولا استقرار ولا استقلال للمسلمين دون ذلك، حتى لو كان الحاكم الولي الفقيه نفسه.

- إن ضوابط حقوق الإنسان وحياته العامة تحددها الشريعة الإسلامية من خلال السعة أو الضيق، مقترناً ذلك بوجود الضمير الإنساني الحي المتمسك بالأخلاق الحسنة والمتحري للعدل، فضلاً عن وجود الأوعية القانونية والمؤسسات التي تحفظ الحقوق والحريات وتمنعها من التحول إلى فوضى هدامة.

- لا يمكن ضمان حقوق الإنسان وحياته العامة من خلال الضمانات القانونية فقط، كما هو الحال في الدول المعاصرة، لأن هذا الأمر يحتاج عند المدرسي إلى مزيج من الضمانات المادية والروحية من خلالها تلبس الحقوق والحريات رداء القدسية والهيبة لمنع انتهاكها أو مصادرتها، والتي تمثلت بذكر الله والخوف منه، وذكر الموت والحرص على خدمة الناس وقضاء حوائجهم.

- إن حقوق الإنسان وحياته العامة في الإسلام تبلغ من السعة درجة تستوعب بها كل ما جاء في الشريعة الدولية لحقوق الإنسان، بل وتزيد عليها، ممّا يدل على تجديد الإسلام، وصدق مقولة الإسلام صالح لكل زمان ومكان، لكن الجهل بالمنظومة الإسلامية حول الحقوق والحريات هو الذي يمنع المسلمين وغير المسلمين من إدراك الأبعاد الحقيقية للإسلام في هذا المجال.

والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

The Abstract

The Abstract involving this message (The political thought of Al-Sayid Mohammad Taqi Al- modarssi) on a number of key areas within the framework of political thought contemporary Islamic basis of life thinker passing analyze and clarify the ideas of political and other ideas that are in the framework of political thought contemporary Islamic

Began the study with an introduction and then we dealt Biography self to be a gateway to learn the extent of the impact of personal (Al-Sayid Mohammad Taqi Al- modarssi) environment where he was born and grew and grew and refined his ideas in and the reflection of this influence on the formulation of the idea of political, and then move the study to try to find out the political thought of Al-Sayid Mohammad Taqi Al- modarssi through research in various topics of political thought Alldolh and power, rights and public freedoms, it has dealt with the second quarter placed the state, which he considered Al-Sayid Mohammad Taqi Al- modarssi state legal because they abide by the law Divine So

the ruler and the ruled are equal before the law Divine, while the third chapter dealt with placed power as the source of legitimacy is God and exalted platform of the theory (that the ruling only God), while the fourth chapter has dealt in place of human rights in Islam, saying that the system of Islamic human rights are wider than they are in systems Bank, and then came the conclusion and findings to put Mode intense and focused for this study, which describes. The decomposition of the end of what we reached in the framework of the study of the political thought of Al-Sayid Mohammad Taqi Al- modarssi, then comes the sources that we have adopted in the eating and studying and analyzing this message.

المصادر

القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

١. إبراهيم محمد زين، السلطة في فكر المسلمين، ط ١، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ١٩٨٣ م.
٢. إبراهيم المطيري، في رحاب الوعي، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ٢٠٠٤ م.
٣. إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٤. أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٩ م.
٥. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب ج ١، بلا رقم، منشورات الحوزة، ١٤٠٥ هـ.
٦. أحمد سرحان، القانون الدستوري والأنظمة السياسية، ط ٢، بيروت، دار الريف، ١٩٨٠ م.
٧. أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ط ١، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٨ م.

٨. آدمون رباط، الوسيط في القانون الدستوري العام، ج ١ ط ٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣ م.
٩. أرسطو، كتاب السياسة، ط ٣، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٠ م.
١٠. الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، بلا، بيروت، دار صادر، بلا.
١١. إمام عبد الفتاح إمام، توماس هوبز، ط ٢، بيروت، دار التنوير، ١٩٨٥ م.
١٢. د. أمل هندي الخزعلي، المواطنة: دراسة نظرية تطبيقية، ط ١، بغداد، دار الفراهيدي، ٢٠١٢ م.
١٣. باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، ط ٢، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٨ م.
١٤. بلا مؤلف: المرجع الديني آية الله العظمى الحاج السيد محمد تقي المدرسي، ط ٥، كربلاء المقدسة، دار الهدى للثقافة والاعلام، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
١٥. بلا مؤلف: في رحاب الإمام الشيرازي، القائد الأسوة، ط ٦، كربلاء المقدسة، دار صادق للطباعة والنشر، ٢٠٠٣ م.
١٦. بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، ط ١، (كربلاء المقدسة)، دار الهدى للثقافة والإعلام، ٢٠٠٥ م.
١٧. بلا مؤلف: محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، ط ١ (بغداد، هيئة قائم آل محمد، ٢٠٠٩ م).
١٨. بلا مؤلف، الصحافة تحاور المدرسي، ط ١، دار البصائر للطباعة والنشر، ١٩٨٥ م.
١٩. توفيق السيف، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، ط ١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢ م.
٢٠. توفيق الشيخ، عن العراق والحركة الإسلامية (حوارات مع العلامة محمد تقي المدرسي، ط ١، لندن، الصفا للنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢١. جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي من (١٩٠٥

- (١٩٢٠)، ط ١، بغداد، دار الروابي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.
٢٢. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير، محمد حسب الله، ج ٢، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
٢٣. جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة: ماجد فخري، ط ١، بيروت، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، ١٩٥٩ م.
٢٤. حسان محمد شفيق العاني، نظرية الحريات العامة، تحليل ووثائق، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٤ م.
٢٥. د. حسين سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، ط ١، النجف الأشرف، مطبعة الشروق، ٢٠١٠ م.
٢٦. د. حامد سلطان، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، ط ١، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ٢٠٠٤ م.
٢٧. د. حافظ علوان حمادي الدليمي، حقوق الإنسان، بلا، ٢٠٠٩ م.
٢٨. حسن الظاهر، دراسات في تطور الفكر السياسي، ط ٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢ م.
٢٩. حسن علي القبانجي، علي بن الحسين عليه السلام، شرح رسالة الحقوق، ط ٢، قم المقدسة، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، ١٤٠٦ هـ.
٣٠. رسول محمد رسول الإسلام السياسي في العراق الملكي، ط ١، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ٢٠٠٧ م.
٣١. رشيد الخيون، المشروطة والمستبدة مع كتاب تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ط ١، بغداد، معهد الدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٦ م.
٣٢. رضوان السيد، سياسات الإسلام المعاصر، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧ م.
٣٣. روح الله الخميني، الأربعون حديثاً، تعريب: محمد الغروي، ط ٤، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٢ م.

٣٤. ريموند كيتل، العلوم السياسية، ترجمة د. فاضل زكي ود. حسن علي ذنون، ج ٢، ط ١، بغداد، شركة الطباعة الأهلية، ١٩٦٠ م.
٣٥. د. رياض عزيز هادي، حقوق الإنسان تطورها، مفاهيمها، حمايتها، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٥ م.
٣٦. د. سليمان محمد الطماوي، الوجيز في نظام الحكم والإدارة، ط ١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٢ م.
٣٧. صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي .. أسسه وأبعاده، ط ١، بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩١ م.
٣٨. صادق الحسيني الشيرازي، المسائل الإسلامية، ط ١، بيروت، دار صادق للطباعة والنشر، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
٣٩. صدر الدين القبانجي، مدخل إلى علم السياسة، «تجديد وجهة نظر إسلامية»، ط ٣، النجف الأشرف، وحدة الدراسات والبحوث في الجامعات الإسلامية، ٢٠٠٦ م.
٤٠. طعيمة الجرف، الدولة وأنماط النظم السياسية، القاهرة، دن، ١٩٦٦ م.
٤١. عبد الجبار آل سيد جاسم الصافي، الكولات عاصمة العراق، ط ١، مؤسسة عاشوراء، ٢٠٠٤ م.
٤٢. عبد الحميد متولي، الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي للدستور، ط ١، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٥ م.
٤٣. عبد الحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، ط ٣، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٧ م.
٤٤. عبد السلام المزروعى، مركز الإنسان في المجتمع (دراسة تاريخية عن حقوق الإنسان)، ط ١، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ١٩٩٧ م.
٤٥. عبد السلام العبادي، حقوق الإنسان في الإسلام، ج ١، بلا، عمان، المجمع الملكي للبحوث الحضارة الإسلامية، ١٩٩٣ م.

٤٦. عبد الغني عباس، تطلع أمة (قراءة في أفكار آية الله السيد محمد تقي المدرسي)، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤٧. عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ط ٧، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٦م.
٤٨. عبد الهادي الفضلي، مبادئ أصول الفقه، مطبعة الإمامين، ط ١، النجف الأشرف، ١٩٦٧م.
٤٩. عبد الغني بسيوني، النظم السياسية، ط ١، بيروت، دار الجامعة، ١٩٨٤م.
٥٠. عبدالله العروي، مفهوم الدولة، ط ٥، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.
٥١. عدنان حمودي الجليل، نظرية الحقوق والحريات العامة في تطبيقاتها المعاصرة، ط ١، القاهرة، مطبعة سجل، ١٩٧٥م.
٥٢. علاء الدين خروقة، نظرات في الإسلام، دراسة مقارنة لنظام الإسلام المالي والأنظمة الاقتصادية الحديثة، ط ١، بغداد، مطبعة النجاح، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.
٥٣. علي أحمد البهادلي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: معالمها وحركتها الإصلاحية، ط ١، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.
٥٤. علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، بلا، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.
٥٥. علي شريعتي، الإنسان والتاريخ، ترجمة خليل علي، قم - بيك فذك، ٢٠٠٦م.
٥٦. علي صادق، مصارحة نقدية في إشكاليات ولاية الفقيه ومبدأ شورى الفقهاء بلا طبعة، بغداد، بلا جهة نشر، بلا تاريخ.
٥٧. د. عامر حسن فياض، الرأي العام وحقوق الإنسان، ط ١، بغداد، (ل.م.ط)، ٢٠٠٣م.
٥٨. د. عدنان حمودي الجليل، نظرية الحقوق والحريات العامة في تطبيقاتها المعاصرة، بلا، القاهرة، بلا، ١٩٧٣م.
٥٩. علي عبود المحمداوي، الفكر الشيوعي المعاصر رؤية في التجديد والإبداع

- الفلسفي، الصدر، المدرسي، الميلاد نماذج، ط ١، سوريا، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٩ م.
٦٠. عمر الإسكندري بك، الشيوعية على حقيقتها، ط ١، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١ م.
٦١. د. فاروق سلوم السامرائي، حقوق الإنسان في القرآن في كتاب (حقوق الإنسان في الفكر العربي)، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢ م.
٦٢. فاضل الصفار، فقه الدولة (بحث مقارنة في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والأنظمة الوضعية)، ج ١، ج ٢، قم المقدسة، دار الأنصار، ط ١، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
٦٣. د. فرح موسى، خيارات الأمة وضرورات الأنظمة، ط ١، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
٦٤. فهمي جدعان، نظريات الدولة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر (في مجموعة باحثين الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي)، ط ١، ج ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩ م.
٦٥. قاسم زين العابدين، الانتفاضة (حاضر العراق ومستقبله بنظر آية الله السيد محمد تقي المدرسي)، ط ٢، كربلاء المقدسة، مكتب آية الله المدرسي، ١٤١١ هـ.
٦٦. كاظم الحسيني الحائري، أساس الحكومة الإسلامية: دراسة الاستدلالية مقارنة بين الديمقراطية والشورى وولاية الفقيه، ط ٢، قم المقدسة، دار البشير، ١٤٢٧ هـ.
٦٧. كاظم الحسيني الحائري، الفتاوى المنتخبة، مجموعة إجابات في فقه العبادات والمعاملات، الجزء الأول والثاني، ط ٢، قم المقدسة، دار البشير، ١٤٣١ هـ.
٦٨. محمد تقي المدرسي، استفتاءات (الفتاوى الجديدة لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله)، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.

٦٩. محمد تقي المدرسي، الابتلاء مدرسة الاستقامة، ط ٥، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م
٧٠. محمد تقي المدرسي، الأخلاق عنوان الإيمان ومنطلق التقدم، ط ٤، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م
٧١. محمد تقي المدرسي، الإسلام ثورة اقتصادية، ط ١، كربلاء المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٣٨٩ هـ.
٧٢. محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، ط ٢، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م
٧٣. محمد تقي المدرسي، الإمام الحسين عليه السلام والدستور العراقي المقترح (بيان الاربعين لعام ١٤٢٥ هـ للسيد المدرسي)، كراس صغير صدر عن مكتب السيد المدرسي في كربلاء المقدسة.
٧٤. محمد تقي المدرسي، الإمام الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، ط ١، طهران، دار البصائر، انتشارات المدرسي، ١٤١٤ هـ
٧٥. محمد تقي المدرسي، البعث الإسلامي، ط ٤، مكتب العلامة المدرسي، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
٧٦. محمد تقي المدرسي، التاريخ الإسلامي دروس وعبر، قراءة في تاريخ الحركة الإسلامية للفترة ما بين عام (٦١ - ٢٥٠ هـ)، ط ١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٠٤ هـ.
٧٧. محمد تقي المدرسي، التحدي الإسلامي، ط ٢، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٤ هـ.
٧٨. محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ١، ط ١، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٣١٢ هـ.
٧٩. محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٢، ط ١، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١١ هـ.

٨٠. محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٣، ط ١، طهران، دار نشر المدرسي للطباعة والنشر، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
٨١. محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٦، ط ١، طهران، دار نشر المدرسي للطباعة والنشر، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
٨٢. محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٧، ط ١، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٤ هـ.
٨٣. محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ٨، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.
٨٤. محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، ج ١٠، ط ٢، قم المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٩ هـ.
٨٥. محمد تقي المدرسي، التمدن الإسلامي أسسه ومبادئه، ط ١، كربلاء المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.
٨٦. محمد تقي المدرسي، التوحيد يتجلى في الحياة، ط ١، طهران، انتشارات المدرسي، ١٤١٨ هـ، د.ق.
٨٧. محمد تقي المدرسي، الثقافة الرسالية، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٩٧١ م.
٨٨. محمد تقي المدرسي، الحكم الإسلامي في مدرسة الإمام علي عليه السلام، ط ١، بيروت، مركز العصر للثقافة والنشر، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.
٨٩. محمد تقي المدرسي، العرفان الإسلامي بين نظريات البشر وبصائر الوحي، ط ٣، بيروت، دار البيان العربي، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
٩٠. محمد تقي المدرسي، العمل الإسلامي، ج ٣، ط ١، طهران، دار نشر المدرسي للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ.
٩١. محمد تقي المدرسي، الفقه الإسلامي، ط ١، كربلاء المقدسة، دار المدرسي للطباعة والنشر، ١٣٩١ هـ.

٩٢. محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، ط ٤، كربلاء المقدسة، المركز الثقافي الإسلامي، ١٣٨٩ هـ.
٩٣. محمد تقي المدرسي، القيادة الإسلامية، ط ٢، بلا، بلا.
٩٤. محمد تقي المدرسي، المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، ط ٦، كربلاء المقدسة، انتشارات المدرسي، ١٤٠٨ هـ.
٩٥. محمد تقي المدرسي، المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.
٩٦. محمد تقي المدرسي، المعهد الإسلامي بين الأصالة والتطوير، ط ١، كربلاء المقدسة، دار المدرسي، ١٤١٣ هـ.
٩٧. محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي، أصوله ومناهجه، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٨. محمد تقي المدرسي، النبي محمد قدوة وأسوة، ط ١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
٩٩. محمد تقي المدرسي، النهج الإسلامي (تأملات في مسيرة الحركة الإسلامية)، ط ١، طهران، انتشارات المدرسي، ١٤١٧ هـ.
١٠٠. محمد تقي المدرسي، الوعي الإسلامي (الواقع المعاصر وآفاق المستقبل)، ط ٢، بيروت، مركز العصر للثقافة والنشر، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م.
١٠١. محمد تقي المدرسي، بحوث في القرآن الحكيم، ط ٤، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٦ م.
١٠٢. محمد تقي المدرسي، تأملات في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام، ط ١، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٣٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.
١٠٣. محمد تقي المدرسي، تزكية النفس سبيل المؤمنين، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.
١٠٤. محمد تقي المدرسي، رؤى في طريق العودة، ط ١، بيروت، مركز العصر

- للثقافة والنشر، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
١٠٥. محمد تقي المدرسي، عقود الإحسان (الوجيز في الفقه الإسلامي)، ط ١، قم المقدسة، مؤسسة انتشارات مشهور، ١٤٢٥هـ.
١٠٦. محمد تقي المدرسي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٣٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٠٧. محمد تقي المدرسي، فقه الجهاد وأحكام القتال، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٠٨. محمد تقي المدرسي، فقه الحدود وأحكام العقوبات، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
١٠٩. محمد تقي المدرسي، فقه الحياة الطيبة، ط ٤، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
١١٠. محمد تقي المدرسي، فقه الدستور وأحكام الدولة الإسلامية، ط ١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
١١١. محمد تقي المدرسي، فقه القضاء وأحكام الشهادات، ط ١، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
١١٢. محمد تقي المدرسي، فقه المصالح العامة، ط ١، قم المقدسة، انتشاران محبات الحسين عليه السلام، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
١١٣. محمد تقي المدرسي، في رحاب الإيمان، ط ١، طهران، انتشارات مدرسي، ١٤١٧هـ.
١١٤. محمد تقي المدرسي، قيم التقدم في المجتمع الإسلامي، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٣٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
١١٥. محمد تقي المدرسي، كيف نبني حضارتنا الإسلامية، ط ٣، قم المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
١١٦. محمد تقي المدرسي، للعراق كلمة، ط ١، دمشق، مكتب المدرسي، ١٩٩١م.

١١٧. محمد تقى المدرسي، مبادئ الحكمة بين هدى الوحي وتصورات الفلسفة، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
١١٨. محمد تقى المدرسي، معالم التربية الإسلامية، ط ٢، طهران، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
١١٩. محمد تقى المدرسي، معالم الفكر الرسالي المسؤول، ط ١، كربلاء المقدسة، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.
١٢٠. محمد تقى المدرسي، معالم على طريق الخلاص، ط ١، كربلاء المقدسة، مكتب آية الله المدرسي، ١٤١٢ هـ.
١٢١. محمد تقى المدرسي، معالم على طريق الخلاص في بيانات آية الله المدرسي، ط ١، كربلاء المقدسة، إعداد ونشر مكتب آية الله المدرسي، ١٤١٢ هـ.
١٢٢. محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن (تفسير للقرآن الكريم)، الجزء الثامن، ط ٢، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٢٣. محمد تقى المدرسي، من هدى القرآن، الجزء الثاني، ط ٢، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.
١٢٤. محمد تقى المدرسي، مناسك الحج، ط ٢، مشهد، دار محبي الحسين عليه السلام، ٢٠٠٣ م.
١٢٥. د. منذر الشاوي، في الدولة، بغداد، مطبعة سفين، ١٩٦٥ م.
١٢٦. مالك بن بني، شروط النهضة، ط ١، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩ م.
١٢٧. محمد الدين محمد بن بعقوب، القاموس المحيط ج ٣، بلا رقم، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر.
١٢٨. محسن الأراكي، نظرية الحكم في الإسلام، ط ١، قم المقدسة، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٥ هـ.
١٢٩. محمد الحسيني الشيرازي، وصولاً إلى حكومة واحدة، ط ١، بيروت، مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، ٢٠٠٧ م.

١٣٠. محمد الحسيني الشيرازي، أسئلة حول أحداث إيران والحكومة الإسلامية المرتقبة، ط ١، بيروت، دار صادق للتحقيق والنشر، ٢٠٠٢ م.
١٣١. محمد الحسيني الشيرازي، اغتنام الفرص، ط ١، بيروت، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٧ م.
١٣٢. محمد الحسيني الشيرازي، الصياغة الجديدة لعام الإيمان والحرية والرفاه والسلام، ط ٤، بيروت، مؤسسة الفكر الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م.
١٣٣. محمد الحسيني الشيرازي، حكم الإسلام: مبادئ قيامه - ماهيته - أهدافه، ط ١، بيروت، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٢ م.
١٣٤. محمد الحسيني الشيرازي، فقه الاجتهاد والتقليد، ط ٢، بيروت، دار العلوم، ١٩٩٧ م.
١٣٥. محمد الحسيني الشيرازي، فقه الحقوق، ط ١، بيروت، دار العلوم للتحقيق والنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م.
١٣٦. محمد الحسيني الشيرازي، فقه السياسة، ج ٢، ط ٦، بيروت دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧ م.
١٣٧. محمد الحسيني الشيرازي، فلسفة التاريخ: دراسة تحليلية في المناهج والسلوك، ط ٢، بيروت، مؤسسة الوعي الإسلامي، ٢٠٠٥ م.
١٣٨. محمد الحسيني الشيرازي، كيف ولماذا أخرجنا من العراق، ط ١، بيروت، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٢ م.
١٣٩. محمد الحسيني الشيرازي، لماذا يحاربون القرآن؟ ط ٢، كربلاء المقدسة، مؤسسة الرسول الأكرم، ٢٠٠٣ م.
١٤٠. محمد الحسيني الشيرازي، مع الحرس والشرطة، ط ١، كربلاء المقدسة، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٥ م.
١٤١. محمد الحسيني الشيرازي، نحو إدارة ناجحة، ط ١، كربلاء المقدسة،

- مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٦م.
١٤٢. محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط ١، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٩م.
١٤٣. محمد المهدي الشيرازي، العدالة الإسلامية، ط ١، النجف الأشرف، مطبعة العزي الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٠هـ.
١٤٤. محمد أمين شبر، محمد باقر الصدر، المواجهة والشهادة، ط ١، د.م، ٢٠٠١م.
١٤٥. محمد باقر الحكيم، نظرية العمل السياسي عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر في مجموعة باحثين، (الإمام الشهيد محمد باقر الصدر.. سمو الذات وخلود العطاء)، كتاب المنهاج، ط ١، بيروت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠م.
١٤٦. محمد باقر الصدر، اقتصادنا (دراسة موضوعية تتناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية الماركسية والرأسمالية والإسلام في أسسها الفكرية وتفاصيلها)، ج ١، ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م.
١٤٧. محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ط ١، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٠م.
١٤٨. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط ٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م.
١٤٩. محمد باقر الموسوي، الشورى والديمقراطية، ط ١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٣م.
١٥٠. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، الكويت، دار الرسالة، د.ت.
١٥١. محمد بن الحسين (الجامع) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان، إيران، مؤسسة دار الهجرة، ١٣٨٠هـ، الخطبة ٢١٦.
١٥٢. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، بيروت،

- مؤسسة عز الدين، د.ت، ج ٣.
١٥٣. محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، إشراف: يوسف المرعشلي، د.م، دار المعرفة، د.ت، ج ٤.
١٥٤. محمد حسين فضل الله، ١٠٠ سؤال وجواب، ج (٢١)، ط ١، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٤ م.
١٥٥. محمد حسين فضل الله، الحركة الإسلامية.. ما لها وما عليها، إعداد نجيب نور الدين [د.م]، دار التوحيد (د.ت).
١٥٦. محمد حسين فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، ط ٦، بيروت، دار الملاك، ١٤١٨ هـ.
١٥٧. محمد حسين فضل الله، الفتاوى الواضحة، ط ٢، بيروت دار الملاك، ١٩٩٨ م.
١٥٨. محمد حسين فضل الله، دنيا المرأة، (د.م)، المركز الإسلامي الثقافي، ١٤١٧ هـ.
١٥٩. محمد طالب الأديب، رحلة في آفاق الحياة: ألف كلمة وكلمة، للمجدد الشيرازي الثاني، ط ١، بيروت، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ٢٠٠٤ م.
١٦٠. محمد عبد المتوكل، الإسلام وحقوق الإنسان في حقوق الإنسان العربي، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩ م.
١٦١. محمد عبدالله السمان، السلطات الثلاث في الدولة الإسلامية، مجلة منار الإسلام، العدد ١١، ١٩٨٢ م.
١٦٢. محمد علي النجار وآخرون، المعجم الوسيط ج ١، ج ٢، ط ٢، أسطنبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت.
١٦٣. محمد مهدي الآصفي، الإصر والأغلال، في رحاب القرآن (٧)، طهران، المشرق للثقافة والنشر، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

١٦٤. محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، ط ١، بيروت، المؤسسة الدولية، ١٩٨٥ م.
١٦٥. محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، ط ١، قم المقدسة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٤ م.
١٦٦. محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط ٣، قم المقدسة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٢ م.
١٦٧. محي محمد مسعد، حقوق الإنسان، دراسة تحليلية مقارنة، ط ١، القاهرة، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٦ م.
١٦٨. مرتضى مطهري، المجتمع والتاريخ، ط ١، بيروت، دار المرتضى، ١٩٨٨ م.
١٦٩. محمد مبارك، نظام الإسلام الحكم والدولة، ط ١، طهران، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
١٧٠. محمد رأفت عثمان، الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، بلا، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٢ م.
١٧١. منير بعلبكي، قاموس المورد، ط ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠ م.
١٧٢. مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩١ م.
١٧٣. مورييس نخلة، الحريات، ط ١، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ١٩٩٩.
١٧٤. الموسوعة الفقهية، ج ١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، ١٩٨٩.
١٧٥. ناصر حسين الأسدي، شورى الفقهاء المراجع ومفتاح الإصلاح العام، ط ٣، بيروت، دار صادق للطباعة والنشر، ٢٠٠٤ م.
١٧٦. نصير الدين الطوسي، أخلاق محتشمي، ط ١، بيروت، الدار العالمية، ١٩٨١ م.
١٧٧. د. نواف كنعان، حقوق الإنسان في الإسلام والمواثيق الدولية والدساتير

- العربية، ط ١، عمان، الأردن، إثراء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م.
١٧٨. هادي المدرسي، شخصية الطاغوت، دراسة في نمط العلاقة بين الحاكم والمحكوم في ظل الاستبداد (صدام نموذجاً)، ط ١، ١٤١٧ هـ، قم المقدسة، دار البقيع للطباعة والنشر.
١٧٩. هان بيار لوفيفر، هيغل والمجتمع، ترجمة: منصور القاضي، ط ١، د.م، د.ن، ١٩٩٣ م.
١٨٠. هيثم غالب الناهي، خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية، ط ١، لندن، الدار الأندلسية، د.ت.

ثانياً: الدوريات والمقالات والمحاضرات والصحف والمجلات والكراسات

١٨١. بلا مؤلف: قالوا في الإمام الشيرازي، مجلة النبأ العدد ٦٥، دمشق، المستقبل للثقافة والإعلام، ٢٠٠٢ م.
١٨٢. بلا مؤلف، العراق بحاجة إلى شجاعة في الاعتراف بالخطأ والتفكير بعقلانية، مجلة البصائر، العدد ١٢٠٣.
١٨٣. بلا مؤلف، منظمة العمل الإسلامي، كراس خاص.
١٨٤. بلقيس محمد جواد، محاضرات في الاجتماع السياسي، جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٣ م - ٢٠٠٤ م.
١٨٥. البيان السنوي إلى حجاج بيت الله الحرام، مجلة البصائر، العدد ١١٢٧، (وهي نشرة أسبوعية تصدر عن المكتب الإعلامي للسيد المدرسي).
١٨٦. جعفر عبدالرزاق، الحاكم الإسلامي والضمانات ضد الاستبداد، الفكر الجديد، لندن، مؤسسة دار الإسلام، العدد ٧، السنة الثانية، تشرين الثاني، ١٩٩٣ م، رجب، ١٤١٤ هـ.
١٨٧. حسن آل حمادة، رسالة الإمام الشيرازي إلى الكتاب الإسلاميين، مجلة النبأ، العدد ٥٨، دمشق، المستقبل للثقافة والإعلام، ٢٠٠١ م.
١٨٨. راجي أبو هيفاء، قرارات في النظرية الثقافية عند الإمام الشيرازي، مجلة

- النبأ، العدد ٨٥، كربلاء المقدسة، مؤسسة النبأ الثقافية، ٢٠٠٧م.
١٨٩. محمد جواد أرسطا، السلطة السياسية في الإسلام، كتاب مدخل في الفكر السياسي في الإسلام، مجموعة مقالات، ترجمة خليل العصامي، ط ١، طهران، مؤسسة الهدى للتوزيع، ٢٠٠١م.
١٩٠. مارسيل غوشيه، أصل الدولة، ترجمة: علي حرب، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد ٢٢، ١٩٨١م.
١٩١. منظمة العمل الإسلامي في العراق، السيرة، التأسيس، الأهداف، كراس خاص.
١٩٢. صحيفة العمل الإسلامي، العدد ٤.
١٩٣. صحيفة العمل الإسلامي، العدد ٦، ١٢ / كانون الثاني ٢٠٠٤، (صحيفة تصدر عن منظمة العمل الإسلامي).
١٩٤. عبد الحسين الصالح، آل الشيرازي وتاريخ المرجعية العظمى، مجلة النبأ، العدد ٦٩، دمشق، المستقبل للثقافة والإعلام، ٢٠٠٣م.
١٩٥. نشرة البصائر، الأعداد، ١١٤٢ - ١١٤٦ - ١١٥٣.
١٩٦. نشرة البصائر، العدد ١١٢١ - ٩ صفر، ١٤٢٤ هـ.
١٩٧. نشرة البصائر، العدد ١١٤٨.
١٩٨. مجموعة محاضرات أُلقيت على طلبة كلية العلوم السياسية للعام الدراسي ٢٠١١ / ٢٠١٢م.
١٩٩. د. ياسين الأيوبي، بنية الدولة الملوكية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٢٤، شباط، ١٩٨٣م.

ثالثاً: المقابلات

٢٠٠. مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد المدرسي بتاريخ ١٥ / ٤ / ٢٠١١م في جامع الإمام موسى الكاظم عليه السلام في كربلاء المقدسة.
٢٠١. مقابلة أجرتها الباحثة مع السيد المدرسي بتاريخ ١٧ / ٣ / ٢٠١٢م في

جامع الإمام موسى الكاظم عليه السلام في كربلاء المقدسة.

رابعاً: الرسائل الجامعية والأطاريح

٢٠٢. أكرم ناصر عبد الحسين العقابي، منظمة العمل الإسلامي في العراق وتطورها الفكري، ١٩٦٧ - ١٩٩٢، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

خامساً: الشبكات الدولية للمعلومات (الانترنت)

٢٠٣. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الخاصين بالحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال الشبكة الدولية للإنترنت على المواقع التالية:

www.huquqalinsan.com

www.arabinsan.jeeran.com

٢٠٤. عادل شمران، ضمانات حقوق الإنسان وحياته العامة في النظم الداخلية، مقال منشور على الإنترنت على الموقع:

www.fcds.com

٢٠٥. عبد اللطيف بن سعيد الغامدي، حقوق الإنسان في الإسلام، الإنترنت، فقرة الملف العلمي.

٢٠٦. الموقع الإلكتروني للسيد محمد تقي المدرسي.

www.almodarresi.com